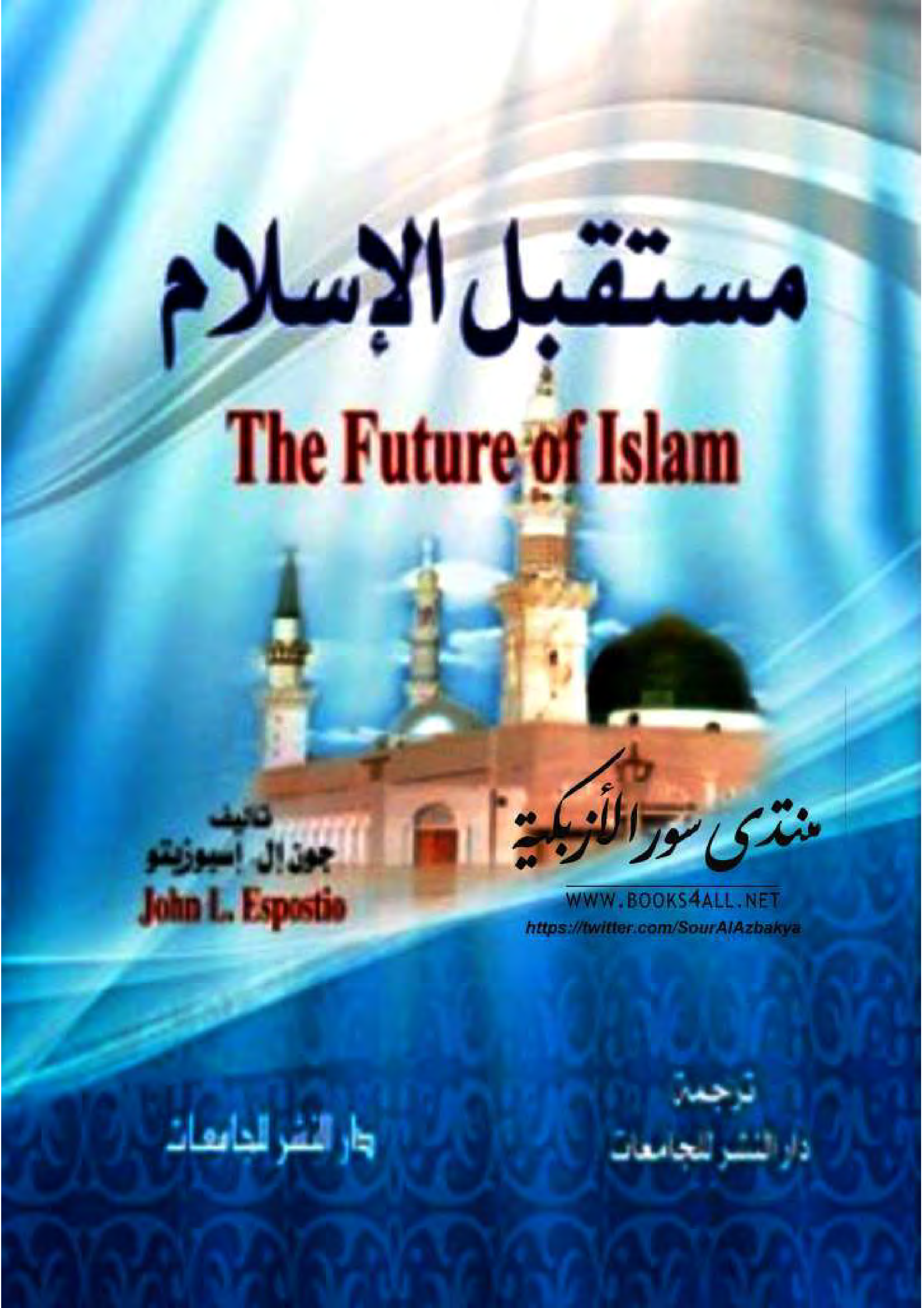


مستقبل الإسلام
The Future of Islam
تأليف
جون إل. إسبوزيتو
John L. Espostio
منتدى سور الأزبكية
WWW.BOOKS4ALL.NET
https://twitter.com/SourAlAzbakya
ترجمة
دار النشر للجامعات
دار النشر للجامعات


منتدى سور الأزبكية





مستقبل الإسلام



بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية

إدارة الشئون الفنية

إسبوزيتو، جون إل.
مستقبل الإسلام / جون إل. إسبوزيتو؛ ترجمة: دار النشر للجامعات.
ط١ - القاهرة: دار النشر للجامعات، ٢٠١١.
ص؛ ٢٤سم.
تدمك ١ ٤٠٤ ٣١٦ ٩٧٧ ٩٧٨
١- الإسلام – حركات الإحياء والإصلاح والتجديد. ٢- الديانات المقارنة.
أ- دار النشر للجامعات (مترجم).
ب- العنوان.

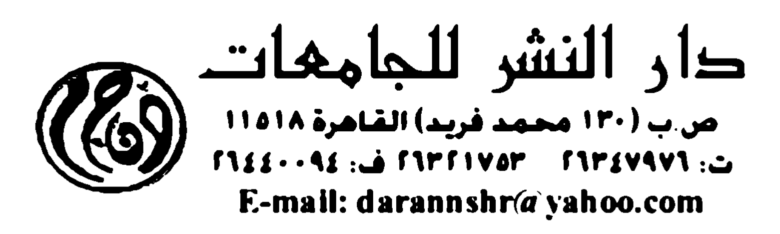
تاريخ الإصدار: ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

حقوق الطبع: محفوظة للناشر

رقم الإيداع: ١٦٥٨٨/ ٢٠١١م

الترقيم الدولي: ISBN: 978 - 977 - 316 - 404 - 1

الكود: ٢/ ٣٥٢





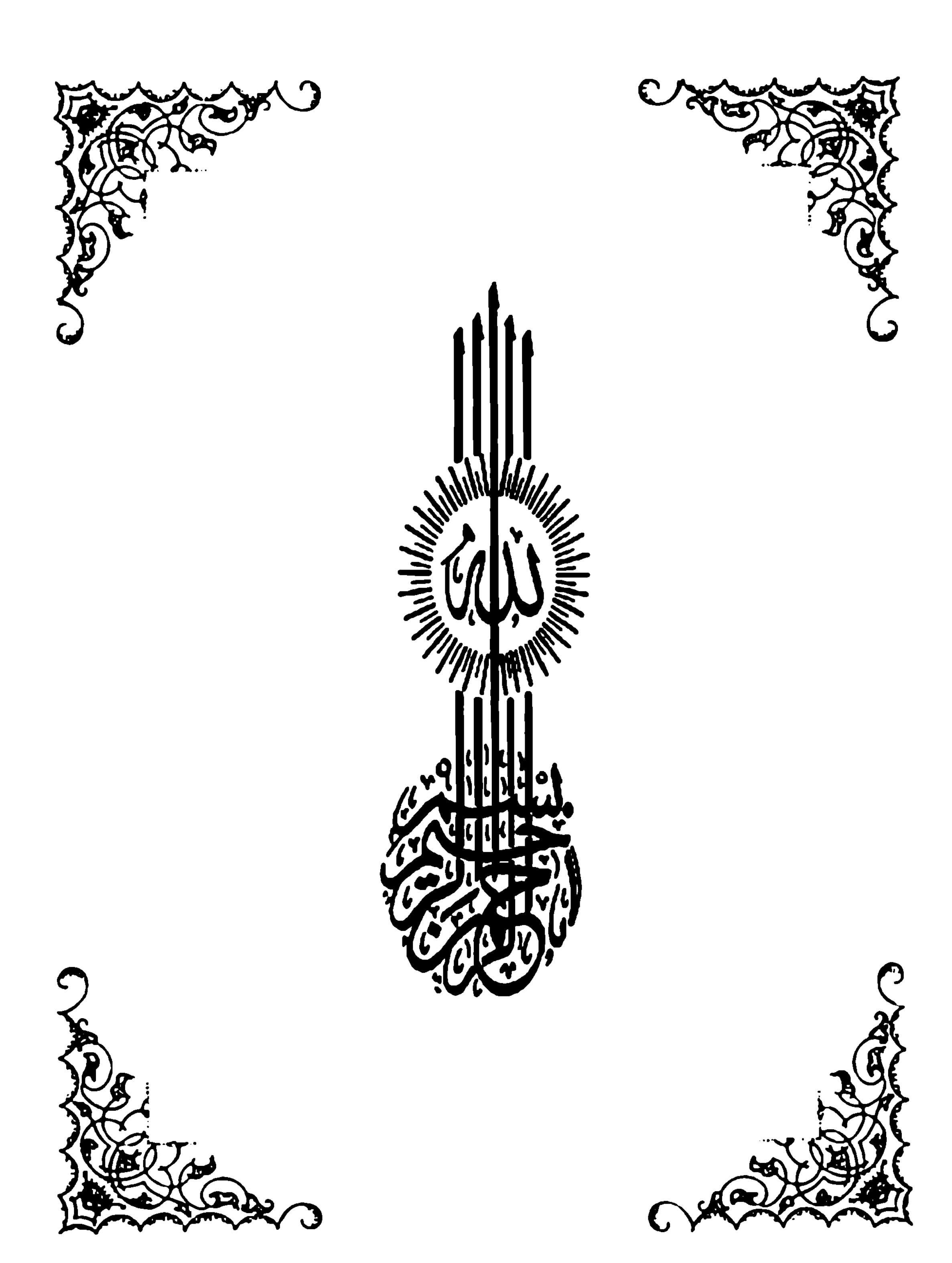
The Future of Islam

جون إل. إسبوزيتو

John L. Esposito

ترجمة

دار النشر للجامعات


بسم الله الرحمن الرحيم

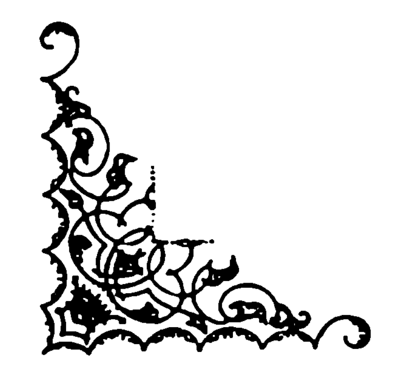
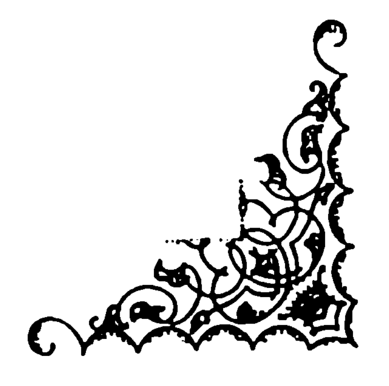



إهداء

إلى جيل

الماضي .. والحاضر .. والمستقبل

* * *

تقديم

هذا كتاب في غاية الأهمية، فالذين كانوا يتحملون المسئولية منا منذ أحداث ١١ من سبتمبر ٢٠٠١ الوحشية في توضيح حقيقة الإسلام للعالم الغربي- سرعان ما أصبحوا على دراية، ليس فقط بالجهل المنتشر عن الدين الإسلامي في أوروبا والولايات المتحدة، بل أيضًا بالمقاومة الحصينة لرؤية الإسلام في منزلة محبة، فقد ترى وجوه الناس تبدو محبطة أو متمردة في غموض عندما تشرح أن القرآن لا يؤيد قتل الكافر أو نشر العقيدة بالسيف وبالرغم من أنه مازال هناك الكثير الذي يمكن عمله من أجل تحقيق المساواة بين الجنسين في الدول الإسلامية، إلا أن رسالة القرآن كانت في صف تحرير المرأة.

وهناك واحد من الأسئلة الشائعة، وهو: "لماذا لم تخضع الدول الإسلامية للإصلاح؟"، وهو تساؤل يعكس الجهل بالتاريخ الإسلامي والغربي، وهو يفترض وجود شيء ما خاص وفريد في حركة الإصلاح التي بدأها مارتن لوثر كينج (١٤٨٣- ١٥٥٦) وجون كالفين (١٥٠٩- ١٥٦٤)، والتي تشير إلى التفوق المتأصل والطبيعة التقدمية للثقافة الغربية. ففي الحقيقة، كانت الحركة اللوثرية حركة إصلاحية تحديثية تقليدية مشابهة للكثير من حركات الإصلاح والتجديد التي ظهرت على نحو منظم في التاريخ الإسلامي. فالجميع، سواء أكانوا مسيحيين أو مسلمين، يتبعون أجندة مشابهة: يحاولون استرجاع ينابيع التراث ودرء تقويض الماضي. لهذا، حاول لوثر وكالفين استرجاع المسيحية "الخالصة" من الإنجيل وآباء الكنيسة بنفس الطريقة التي حاول بها أحمد بن تيمية من دمشق (١٢٦٣- ١٣٢٨) الدعوة إلى استرجاع القرآن والسنة المحمدية، ومن أجل رغبته في استرجاع القواعد، تخلى ابن تيمية عن كثير من فلسفة وتشريع القرون الوسطى، مثلما هاجم لوثر وكالفين رجال الدين من القرون الوسطى، كأي إصلاح إسلامي، لهذا جاءت حركتهم ثورية رجعية.

غالبًا ما تحدث حركات الإصلاح خلال فترات التغيير الثقافي أو صحوة الكوارث السياسية الكبيرة، عندما لا تكفي الإجابات القديمة، ويسعى المصلحون إلى تحديث التراث حتى يستطيع مواجهة التحدي المعاصر، فقد حدث الإصلاح البروتستانتي أثناء

التغيرات المجتمعية العميقة في العصر الحديث، عندما وجد الناس أنهم لم يعودوا يستطيعون ممارسة عقائدهم طريقة أسلافهم نفسها لذا، كان هذا التغيير نتيجة لا سببًا للتحديث، وبدلًا من أن ينظر له على أنه محرض على التغيير، يجب أن ينظر للوثر وكأنه المتحدث الرسمي عن الاتجاه الحالي، وهناك عملية مشابهة في طريقها الآن إلى العالم الإسلامي، تبدو أكثر تعقيدًا من تلك العملية الأوروبية في القرن السادس عشر؛ حيث يعقدها التدخل الاستعماري والتأثير الغربي المستمر على الشئون الداخلية في المستعمرات السابقة.

ومرة أخرى، مازال الغرب متشككًا بشأن قدرة الإسلام على إصلاح نفسه، كما يشككون جزئيًا في وجود وتأثير المصلحين المسلمين بسبب ما يلاقيه هؤلاء المفكرون من تغطية محدودة في الإعلام الغربي. وبفضل هذا الكتاب، لم يعد هناك مبرر لهذا الجهل، فقد أعطى الأستاذ إسبوزيتو مقدمة واضحة وثرية بالمعلومات عن أعمال المصلحين مثل: طارق رمضان، وعمرو خالد، والشيخ علي جمعة، ومصطفى سيرك، وتيم وينتر، وهبة رءوف. ومثل لوثر، يرتبط هؤلاء الأفراد باتجاه مهم في التفكير الإسلامي يتحدى النظرة الغربية التقليدية للإسلام، هذا الاتجاه لا ينظر إلى التفسير الحرفي للكتاب المقدس على أنه معياري، لكنه على دراية بأن القوانين والأعراف تحكمها الظروف التاريخية التي تطورت في كنفها، ويجب أن تفسر في ضوء هذا الفهم، كما أن هذا الاتجاه ينظر إلى نقد الذات على أنه شيء خلاق، وضروري وواجب ديني، ويبغض الإرهاب والعنف، والتوق لبدء "جهاد بين الجنسين".

أما الشيء الأهم، فهو ما يشير إليه الأستاذ إسبوزيتو بأن الغرب لا يحتمل فكرة أن يبقى على غير دراية بتلك التطورات في العالم الإسلامي، كما أنه يوضح كيف أن فشل السياسة الأجنبية الغربية كان أحد أسباب الانزعاج الحالي في المنطقة، مثل: الجهل بأن الانشقاق بين السنة والشيعة في العراق قد جعل من الصعب على الولايات المتحدة أن تعرف أصدقاءها من خصومها. نحن الآن نعيش في عالم واحد ويجمعنا مأزق مشترك، فما يحدث في غزة أو أفغانستان اليوم قد ينعكس على لندن أو واشنطن غدًا، ولكي تستمر في الإيمان بأن كافة المسلمين يدعمون الإرهاب ويعارضون الديمقراطية والحرية- فهذا

ليس فقط يعطي نتائج عكسية للمصالح الغربية، لكنه، كما سنرى في هذه الصفحات، ذباب يلوح أمام الدليل كما يبدو من خلال استطلاع رأي جالوب، فالغربيون لا يستطيعون أن يتوقعوا من المسلمين تبني وجهة نظر أكثر إيجابية تجاه قيمهم الثقافية إذا ما استمروا أنفسهم في زراعة النظرة النمطية عن الإسلام التي تبدو مثل العصور الوسطى. وحتى نتعلم أن نحيا سويًا بطريقة أكثر عدلًا وعقلانية، فإننا على الأرجح لن يكون لدينا عالم قابل للحياة، نسلمه من بعدنا للجيل القادم.

يخرج المرء من هذا الكتاب وهو مقتنع بأن مستقبل الإسلام لا يعتمد ببساطة على تأثير فئة قليلة من المصلحين المسلمين، لكن بأن للولايات المتحدة وأوروبا دورًا كبيرًا تلعبانه. فإذا كانت السياسات الغربية- قصيرة النظر- قد ساهمت في خلق الطريق المسدود في الوقت الراهن، فإنها سوف تستمر في تأثيرها السلبي على المنطقة إذا لم يتم تعديلها، بل، وسوف تضعف أسباب الإصلاح. ففي القرآن، يدعو الله الرجال والنساء إلى الوحدة والمساواة بين الجنس البشري: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟﴾[الحجرات:١٣]. ولذلك فإن أحد أكبر المهام التي تقع على عاتق جيلنا هي بناء مجتمع عالمي؛ حيث يستطيع كل الناس من كافة المذاهب أن يعيشوا سويًا في تناغم واحترام متبادل، وقد قام الأستاذ إسبوزيتو بإسهام كبير عند كتابة هذا الكتاب، من أجل مساعدة الكثير من القراء الغربيين في تحقيق نظرة إدراكية متوازنة مطلعة وفارقة عن العالم الإسلامي.

كارين أرمسترونج

* * *

شكر وتقدير

إنني أدين بالكثير للعديد من الأشخاص؛ لذا سوف أذكر القليلين منهم، وأعلم أن الباقين سيتفهمون ضيق المساحة. أولًا: جون فول، الذي تعاملت معه عن قرب وشاركت معه في تأليف بعض الكتب على مدار سنوات، كان دائمًا منجم ذهب للمعلومات والنصائح، أما بالنسبة لتماراسون وأنا، فقد عملنا سويًا على العديد من المشروعات الأكاديمية التي لا أكاد أتذكرها من كثرتها، وهي إنسانة يمكن الاعتماد عليها من أجل الحصول على رد سريع ومفيد. وهناك داليا مجاهد واستطلاعات رأي جالوب التي أمدتنا بأهم الآراء الشمولية والمنهجية في العالم الإسلامي، كما أتاحت لنا الاستماع لأصوات المسلمين حول العالم فيما يخص القضايا الحيوية، وقد تعاونتُ مع داليا، بصفتي أحد كبار علماء جالوب، في بحث السؤال التالي: "من يمثل الإسلام؟ ما يدور برأس مليار مسلم". كما تعاونا في بعض المشروعات الأخرى بما فيها بيانات استطلاع رأي جالوب، والتي كانت بمثابة مصدر غني للمعلومات. ومثل بقية زملائي، كان ناتانا ديلونج- باس، وجوناثان براون وشميل إدريس على استعداد دائم للقراءة والتعليق، بل وللمشاركة بمقترحاتهم ورؤاهم.

لقد كنت محظوظًا في معرفة مجموعة جورج تاون من الخريجين كباحثين في المراحل المختلفة من هذا المشروع، فقد قدمت ميلاني تريكسلر، وعبد الله العريان وهادية مبارك أبحاثًا مطولة زاد عليها ريبيكا سكريسلت، وفؤاد نعيم وأدريان بول زاكار.

أما مطبعة جامعة أكسفورد فلها مكان خاص في حياتي العلمية؛ فمنذ عام ١٩٨١، عندما قدت سيارتي منفعلاً من ورسيستر ماساتشوستس إلى نيويورك؛ كي أسلم كتابي الأول من أكسفورد وحتى الآن، فقد حظيت بالعمل مع العديد من صفوة المحترفين، بداية من الرؤساء مثل: إد باري، وصولًا إلى المنقحين ومتخصصي التسويق. لم يكن هناك شيء أهم من سينثيا ريد رئيسة التحرير، التي بالرغم من كونها مساعدة أصغر سنًا من المنقحين الدينيين المعهودين، أخذت على عاتقها مهمة تسليم مؤلفاتي، وبالرغم من أنه يسعد أي مؤلف أن يشكر من قام بتنقيح عمله، إلا أن سينثيا ريد كانت منقحة خاصة ومميزة، بالإضافة إلى كونها صديقة جيدة، عملت معها لأكثر من خمسة وعشرين عامًا. فقد كانت دائمًا منبعًا للتشجيع والنقد، وسببًا رئيسيًا لكوني مؤلفًا بدار نشر أكسفورد طوال هذه السنوات. كما أنني محظوظ لتعرفي على اثنين من المحترفين، وهما: إنديا كوبر

محرر الطباعة، وجولين أوسانكا محرر الإنتاج اللذان شرفت بالعمل معهما.

كانت جامعة جورج تاون ومركز التفاهم الإسلامي- المسيحي (الذي يعرف الآن بمركز الوليد بن طلال للتفاهم الإسلامي- المسيحي) الذي شاركت في تأسيسه والإشراف عليه، هما بيتي الأكاديمي منذ عام ١٩٩٣. ويرجع الفضل في إنشاء هذا المركز ودعمه خلال العقود الأولى إلى كرم حسيب صباغ وزملائه المسيحيين والمسلمين العرب. كما أننا نلاقي الدعم حاليًا ومستقبلاً في مركز الوليد بن طلال للتفاهم الإسلامي- المسيحي من قبل مؤسسة الوليد بن طلال الخيرية. وكان لرؤساء جامعة جورج تاون- وهما ليوأو دونوفان، الذي كان صاحب قرار إنشاء المركز، وخليفته جون ديجيويا- دورٌ مهمٌ في دعم المركز ومهمته، بل وفي تطور مشواري المهني. كما أنني أدين بالعرفان للفريق الإداري المميز الذي أتاح لي وللمركز أن ننجز أعمالنا على الوجه الأكمل وفي الموعد المحدد. وهناك أليكسا بوليتو مساعد المدير، ودينيس بونيلا تشاوي المساعد التنفيذي وآدم هولمز منسق البرنامج الذين كانوا أصدقاء ومهنيين مميزين، وفريقًا لم نستطع أنا وزملائي أن نعمل بدون نشاطه، ورؤيته وتأثيره.

كل ما حققته في حياتي يرجع الفضل فيه بنسبة كبيرة إلى وجود وتأثير عائلتي، فقد أمدني والداي جون وماري إسبوزيتو بجو من الحب والدعم، كما قاما بإلهام "أبنائهم" برعاية أسرهم، ومجتمعهم، والتعليم، والحفاظ علي القيم. أما أخواي لوي وريك، فقد كان لكل منهما طريقته في حمل ميراثه. وجين إسبوزيتو، زوجتي وشريكة حياتي، فقد حافظت دائمًا على توازن حياتها، ومشوارها المهني، وعليَّ، وجعلت من الخمسة والأربعين عامًا الماضية حياةً أكثر غنى ومعنى عما كنت أتصور، وهي أفضل منقح وناقد، وهي السبب في أنني تخرجت من خمس سنوات "غير مكتملة". وابنتنا ماندي التي كانت تقف بجانب مكتبي أثناء كتابة هذا الكتاب، أول من يصل لمكتبي وآخر من يغادره.

وأخيرًا، أنتهي عند البداية، عند إسماعيل راجي الفاروقي، الذي بدأ طالبًا مترددًا وخريجًا حديثًا من جامعة تمبل أراد أن يأخذ مقررًا تعليميًا واحدًا عن الإسلام، ولكنه انفتح على عالم ورحلة استمرت لأربعة عقود من الاكتشاف والخبرات، كانت تلك الرحلة بمثابة نداء روحاني خفي، وأثرت تجاربي مع المسلمين حول العالم في حياتي بشكل كبير.

تمهيد

عقب طباعة هذا الكتاب منذ أقل من عام، شهد العالم ثورة تاريخية، ثورة غير متوقعة جاءت على يد الحركات الداعية إلى الديمقراطية في العالم العربي. كانت تلك الثورات مثل موجة تسونامي، انطلقت من اللامكان واكتسحت معظم أراضي العالم العربي لتُسقِط تباعًا الأنظمة العربية الديكتاتورية مثل نظام ابن علي في تونس وحسني مبارك في مصر، إلى جانب بعض المحاولات في ليبيا واليمن، ومطالبات بالإصلاح في المغرب، والجزائر، وسوريا، والأردن، والمملكة العربية السعودية، والكويت، والبحرين، وعمان.

لقد جاءت النهاية التي لم يتوقعها أحد لا في شعوب الحكومات العربية والإسلامية، ولا في الغرب. فقد أدت سيطرة الأنظمة الديكتاتورية وقمع الأجهزة الأمنية في معظم بلدان العالم العربي إلى إثارة التساؤلات في نفوس المواطنين عما إن كانوا سوف يشهدون تحولًا ديمقراطيًا في حياتهم، حتى أكد بعض الخبراء أن الثقافة العربية والإسلامية لا تتوافق مع الديمقراطية. لذلك، مع ازدياد الاحتقان، توقع البعض حدوث ثورات سلمية تقوم بها بعض الحركات المطالبة بالديمقراطية للإطاحة بالحكومات في مصر وتونس.

وقد أثارت تلك الثورات السريعة والمفاجئة التي أسقطت نظام ابن علي في تونس ومن بعده مبارك في مصر باقي الدول العربية التي قيل فيها: إن العرب يرفضون الديمقراطية، وأن الإسلام لا يتوافق مع السيادة الشعبية، بل وأن القبضة الحديدية للأنظمة الأمنية لا يمكن أن تنكسر، وأن البديل الوحيد هو وصول الإسلاميين المتطرفين إلى الحكم. لذلك، كان شبح وصول أنظمة جديدة إلى الحكم يخيف الدول الغربية حيث يخشون العواقب غير المتوقعة والأنظمة الجديدة مستقلة الفكر. فكانت النتيجة أن ترددت الحكومات الغربية في التعليق على الأحداث، بل والتخلي عن النظامين المصري والتونسي من أجل دعم الحركات الديمقراطية. وعلى العكس، قام آخرون مثل الرئيس الفرنسي نيكولا ساركوزي والإيطالي سيلفيو بيرلسكوني بدعم ابن علي والقذافي حتى النهاية.

لقد تسببت تهديدات الإرهاب العالمي في خلق مبرر لوجود أنظمة ديكتاتورية في الدول الإسلامية يدعمها العالم الغربي من أجل الحد من الديمقراطية، وحكم القانون، وحقوق الإنسان، والمجتمع المدني والمنظمات غير الحكومية. وقد حذر الديكتاتوريون من أن فتح الطريق أمام الديمقراطية سوف يهدد بوصول الإسلاميين إلى مراكز القوة؛ مما

يهدد الاستقرار والأمن، ومن ثم المصالح الغربية. ومن أجل الحفاظ على المصالح القومية (الحصول على النفط، وأمن اسرائيل والأماكن المهمة والإستراتيجية)، زادت الحكومات الغربية من المشكلة بدعم الحلفاء الديكتاتوريين الأصدقاء.

وقد اتخذت بعض الحكومات المثل القائل: "الشيطان الذي تعرفه أفضل من الشيطان الذي لا تعرفه"، وتجاهلت الدليل الذي تناولناه في هذا الكتاب سلفًا، بأن استطلاعات الرأي العالمية- مثل استطلاع جالوب- تقول بأن أغلبية المسلمين في العالم العربي يؤيدون الديمقراطية: مشاركة أوسع للسلطة، وحكومات مسئولة، وحريات، وحقوق إنسان وقطع دابر الفساد. هذا بالإضافة إلى أن الإسلاميين في مصر، والأردن، والكويت، والجزائر، والمغرب، وتركيا، وماليزيا، وإندونيسيا قد شاركوا على مر القرون في الانتخابات المدنية والحكومات المحلية (في البرلمان، والوزارة وكرؤساء مجالس وزارات).

كان الدافع وراء إثارة الحركات والمطالبات بالديمقراطية هو التاريخ الطويل من المظالم الاقتصادية والسياسية: فقدان الديمقراطية، والقمع، والفجوة بين الأقلية من الأغنياء والأغلبية من الفقراء، وتفشي الفساد، وارتفاع أسعار الغذاء، ومعدلات البطالة المرتفعة، وقلة الفرص والإحساس بانعدام المستقبل أمام الشباب؛ فقد أرادوا استعادة كبريائهم وكرامتهم، والتحكم في حياتهم وحقهم في اختيار حكوماتهم ومصير حياتهم وأممهم من أجل مزيد من المسئولية والشفافية، وحكم القانون وحقوق الإنسان.

كشفت الثورات في تونس ومصر واليمن وليبيا إلى جانب الإصلاحات في العديد من الدول العربية- عن قاعدة حركية عريضة، لا يقودها فرد واحد أو جهة علمانية أو أيديولوجية دينية معينة. فالناس من مختلف التوجهات- الموظفون والعمال- قد اتحدوا بدافع واحد، وما بين شاب وشيخ، رجل وامرأة، مسلم ومسيحي، فقير وغني، إسلامي وعلماني- اتحد الجميع في تونس وميدان التحرير بمصر وفي العديد من الدول العربية. وبالرغم من التحذيرات شديدة اللهجة من جانب الزعماء ومخاوف الحكومات الغربية، لم تتخذ تلك الثورات شكلا إسلاميًا، بل كانت فقط بمثابة نداء بالإصلاح، لم تكن الشعارات والمطالبات من أجل قيام دولة إسلامية، بل من أجل القضاء على الاستبداد وخلق وحدة قومية. بالنسبة للمصريين، فقد تحدثوا عن مصر واحدة، وتغنوا بالسلام الجمهوري رافعين الأعلام المصرية، لا الشعارات الإسلامية.

كانت الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي، مثل الزعماء العرب، مصدومين من حركة التمرد العربي. لكن هل كانت الصدمة شديدة؟ ليس حقيقيًا؛ يشير استطلاع رأي جالوب العالمي إلى أن أكثر من ٣٥ دولة مسلمة تمثل أصوات ملايين المسلمين- قد أشارت أنه في مصر وأغلب الدول الإسلامية، تتوق الأغلبية إلى ديمقراطية أكبر، وإلى الحريات وحكم القانون. وقد عبرت تلك الدول قائلة: إن الولايات المتحدة والعديد من الدول الأوروبية مازالت تساند الأنظمة الاستبدادية التي تقوم على النظام الأمني. فبالرغم من ادعاءات أمريكا بدعم الديمقراطية وحقوق الإنسان كما زعمت إدارة بوش، تبنت أمريكا ما أسمته بـ "ديمقراطية استثنائية" (بالرغم من الأحداث الأخيرة)، وهي ما وصفها البعض بسياسة "الكيل بمكيالين"؛ حيث تدعي أمريكا دعم الديمقراطية العالمية بينما تدعم في الوقت ذاته الأنظمة المستبدة في العالم الإسلامي.

وقد أدى نهج الكيل بمكيالين إلى خلق مشاعر عداء تجاه أمريكا وبعض الدول الأوروبية بسبب دعمهم للديكتاتوريين العرب، فكان ما حرك المصلحين المطالبين بالديمقراطية هو إدراكهم وقناعتهم بأن التمكين واستعادة الكرامة يمكن أن ينجح دون الحاجة لأية مساعدات خارجية.

علاقة أمريكا بالعالم الإسلامي:

بالرغم من رؤية الرئيس باراك أوباما في خطابه الافتتاحي، وكلماته في القاهرة وأنقرة التي ارتفعت بالطموحات في خلق عصر جديد للعلاقات العربية/ الإسلامية- الغربية، أدى السجل الحافل لإدارة أوباما إلى ضعف مصداقيتها رغم أنها تختلف قليلا عن سياسات بوش. لكن أصبحت هناك فجوة بين وعود أوباما وما تحقق منها، حتى اتهمه النقاد بعدم تنفيذ الوعود والسير على "نهج سابقيه".

تشير استطلاعات الرأي الكبيرة مثل استطلاع رأي جالوب الذي شمل ٤٤ دولة إسلامية، أن الأمل والحماسة تجاه إدارة أوباما قد تبددت ما أن اكتُشِف أنه لا فرق بين إدارتي بوش وأوباما. وقد سأل الكثيرون في العالمين العربي والإسلامي وحتى الأوروبي والأمريكي عما حدث لوعود أوباما فيما أسماه بالطريق الجديد، وأين ذهبت الادعاءات الأمريكية حول دعم الديمقراطية وحق تقرير المصير؟ فإدارة أوباما لم تغلق سجن جوانتانامو، ومازال المعتقلون يخضعون لمحاكمات عسكرية لا جنائية. فلم تكن إدارة

بوش تتبنى ممارسات مسئولة أو قانونية، بل كانت تنتهك الحريات المدنية الإسلامية، فلاتزال آثار أقدام أمريكا محفورة على أرض أفغانستان بمزيد من القوات الأمريكية الموجودة، مما يعطي انطباعًا بأن الولايات المتحدة في ورطة بلا أية مؤشرات عن موعد وآلية الخروج منها، وقد فقد حامد قرضاي مصداقيته عندما جرت انتخابات الإعادة وسط اتهامات مستمرة بالفساد الحكومي.

يبدو أنه قد تلاشت تعهدات أوباما في فترته الرئاسية الأولى بسياسة أمريكية جديدة تحل مشكلة الصراع الفلسطيني- الإسرائيلي. فإدارة أوباما وأعضاء الكونجرس يتحدثون عن الصراع الفلسطيني- الإسرائيلي وكأنه قضية مستعصية قد تحل خلال الفترة الرئاسية القادمة لأوباما. ومن المفارقات أن الصحيفة الإسرائيلية الشهيرة هاآرتس قد ذكرت أن تلك كانت نصيحة أعطتها الإدارة الإسرائيلية للبيت الأبيض.

عندما عادت أمريكا وتدخلت من أجل الضغط لإيجاد حل لمشكلة الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، لم يبد أن وزيرة الخارجية الأمريكية هيلاري كليتون ولا وزارة الخارجية أو مجلس الأمن القومي على استعداد لطرح مبادرات جادة. فقد بدا البيت الأبيض وكأنه يتابع ولا يبادر، مما اضطر الحكومة الإسرائيلية إلى أن تدفن تقرير جولدستون للأمم المتحدة بشأن استغلال إسرائيل لمهندسين من الجيش الأمريكي لمساعدة مصر في بناء أنفاق تعزز من حصار غزة. وكان الموقف الأمريكي خلال الجدل بشأن أسطول غزة مؤيدًا لإسرائيل في تشويه الحقائق على الأرض والسيناريوهات المزيفة. بدت الإدارة الأمريكية تابعة للقيادة الإسرائيلية، ورغبات محمود عباس الذي يفتقد دعم وثقة الفلسطينيين بسبب تأييده لاتفاق بشأن الضفة الغربية وإسرائيل دون غزة وحماس. فعباس، مثله مثل أمريكا وأوروبا وإسرائيل، يتجاهل حقيقة أن حماس تقود حكومة منتخبة ديمقراطيًا مما يوجب أن تكون طرفًا في أية مفاوضات تعطي فرصة لحل الصراع. أما بالنسبة للحصار الإسرائيلي لغزة والذي تدعمه أوروبا وأمريكا، فقد قضى على الشعب والبنية التحتية، وخلق كارثة إنسانية وصحية ساهمت في صعود الجماعات السلفية المعارضة لإسرائيل وحماس وفتح.

فشلت الإدارة الأمريكية في الوقوف بحزم ضد الممارسات غير الشرعية من جانب حكومة نتنياهو في بناء المستوطنات. وهو ما عاد بالموقف الأمريكي إلى الوراء من حيث دعم الإدارات السابقة لموقف إسرائيل التي تضرب عرض الحائط بقرارت مجلس الأمن

بشأن انسحابها من الأراضي المحتلة. ومن ثم، تمضي الإدارة الأمريكية في دعم إسرائيل ومساندتها للرئيس غير المنتخب محمود عباس، الذي انتهت فترته الرئاسية في عام ٢٠٠٩، ومازال يمارس سياساته في تهميش وتجاهل حركة حماس وغزة في المفاوضات الفلسطينية- الإسرائيلية، بل ويستمر في الحصار المدمر لغزة.

لقد واجهت الإدارة الأمريكية عوائق كبيرة، يأتي على رأسها عدم وجود قيادة فلسطينية موحدة، مع وجود حكومة إسرائيلية متصلبة، وكونجرس أمريكي ولوبي صهيوني متميزين في دعم إسرائيل دائمًا. وقد أثبت أوباما أنه غير قادر، أو على الأقل لا يرغب في المخاطرة بعواقب سياسية إذا ما اتخذ خطوات جادة في هذا المناخ.

إطار جديد للعلاقات الأمريكية- العربية:

إن التحدي الذي يواجهه صناع القرار في أمريكا وأوروبا اليوم هو استبدال النموذج الفاشل والحكمة التقليدية الخاطئة. يجب أن يترك صناع السياسة الآليات القديمة التي فرطت في الحفاظ على المصالح القومية وأمان واستقرار الأنظمة بحجة الخوف من المجهول وعواقب لا يمكن السيطرة عليها، وأن تتجه لدعم المبادئ الغربية في حق تقرير المصير والديمقراطية وحقوق الإنسان. وكما تشير استطلاعات رأي جالوب، وبي إي دابليو، وزوجبي وغيرهم، أن تلك السياسة- بالرغم من كونها جذابة لحلفاء الأنظمة الاستبدادية والنخبة الراسخة- قد عززت المشاعر المناهضة لأمريكا والمخاوف من التدخل الغربي، والغزو والاحتلال. لذا، يجب إيجاد سيناريو جديد يختلف عن الحرب الباردة التي بدأت في أعقاب انهيار إمبراطورية الاتحاد الأوروبي، وسياسات الكيل بمكيالين "والديمقراطية الاستثنائية" في العالم العربي والإسلامي. يجب إدراك المبادئ الجديدة لحقوق الآخر المماثلة. وقد فصل باراك أوباما تلك الحقوق العالمية في كلمته بالقاهرة عندما قال: "الإيمان بأن كافة الشعوب تتوق لأشياء محددة، مثل: الحق في التعبير عن رأيك تجاه من يحكمك، والثقة في حكم القانون، والمساواة والعدل، وفي وجود حكومة شَفَافِيَّة لا تسرق الشعب، والحرية في أن تعيش ما تختاره. تلك ليست أفكارًا أمريكية، ولكنها حقوق إنسان، لذلك سوف ندعمها في كل مكان".

إن النجاح في تطبيق الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي لسيناريو وإطار عمل جديد (كما في حالات انطلاق ديمقراطيات عربية) يتطلب عقلية جديدة من قبل صناع القرار والحكومات التي سوف تتبنى تطوير وتطبيق السياسات الجديدة. يجب التخلي عن

الماضي بعقوده الطويلة وحكمه التقليدي الذي شكل منظور رؤيتهم للعلاقات الدولية والأمن القومي والعالمي. يضاف إلى ذلك، حاجة الحكومات إلى الاستعانة بالمستشارين والمسئولين ذوي الرؤية البديلة، وإدراك الحاجة إلى تغيير العديد من صناع القرار والمستشارين السابقين.

يعني الإطار الجديد: المخاطرة بمستقبل لا يمكن التنبوء به من خلال العمل مع حكومات ذات فكر مستقل، لها رؤية خاصة للمصالح القومية. وعلى عكس ما كان يحدث في الماضي، يجب أن تضع الولايات المتحدة وأمريكا تأكيدات أولية على الاستثمار في التعليم والاقتصاد والتكنولوجيا، لا في التعزيزات العسكرية، وبالعمل سواء بسواء مع الحكومات والمنظمات غير الحكومية ومنظمات المجتمع المدني. يجب أن تكون الجهود بوعي ذاتي ومتعددة الأطراف حتى تقضي على ما وصفه الرئيس أوباما بالأحادية الأمريكية. هذا يعني أيضًا الشراكة الأمريكية في تطوير الاقتصاد مع الشركات ورجال الأعمال المحليين الذين يرغب العديد منهم في الاستثمار بشكل أكبر في الاقتصاد القومي ودول النفط العربية والشركات، على الاستثمار في المبادرات الأمريكية التي تخاطر برءوس الأموال.

ماذا عن دور الإسلاميين؟

كما رأينا على مدار عقود، فشلت الأنظمة والحركات العلمانية، بل والحكومات الغربية، في التفريق بين الحركات الإسلامية السلمية التي تسعى إلى إصلاح المجتمع، وبين المتطرفين الذين يلجئون إلى العنف والإرهاب. فقد أصر ابن علي ومبارك والقذافي، بل وحلفاؤهم في الغرب، عند التصدي للثورات المتزامنة التي قامت، على أن التغيير يعني الفوضى وعدم الاستقرار وسيطرة الإسلاميين المتطرفين على الحكم. لكن حان الوقت الآن إلى أن ننظر لما هو أبعد من الترويج لمخاوف لا أساس لها، وأن نفرق بين الجماعات الإرهابية مثل القاعدة، والجماعات غير المتطرفة التي تسعى للعمل من خلال نظام سياسي، فمنذ نهايات القرن العشرين - وأنا هنا لا أدافع عن التطرف الديني - قدم الإخوان المسلمون في مصر والأردن وغيرهم مرشحين إسلاميين للانتخابات البرلمانية، كما قامت الأحزاب السياسية في الجزائر، وتونس، والمغرب، ومصر، ولبنان، وتركيا،

والأردن، والكويت، والبحرين، وباكستان، وماليزيا، وإندونيسيا بالعمل في التيار المجتمعي، مختارين البطاقات لا الطلقات.

في مصر على سبيل المثال، أثبتت جماعة (الإخوان المسلمون)- على الرغم من كونها جماعة محظورة- على مدى عقود أنها من أكبر الجماعات المعارضة، لكنها لا تتبنى العنف، بل تسعى للعمل السياسي والاجتماعي من خلال تيار المجتمع المصري. وعلي العكس من بعض المنظمات المصرية المتطرفة، أبلى (الإخوان المسلمون) بلاءً حسنًا في الانتخابات، قائمين بتحالفات مع الأحزاب العلمانية، بالرغم من التحرش الحكومي بأشكاله المختلفة ما بين حبس واعتقال المرشحين دون اتهام أو إدانة- لم تتحول الجماعة إلى ممارسة العنف. ومن بين العديد من التيارات التي تنتقد (وتعادي) جماعة (الإخوان المسلمون)، كانت منظمة القاعدة التي كونها أيمن الظواهري.

على الصعيد الأخر، انتهجت حكومة مبارك (مثل الحكومة التونسية) سياسة وسجلا طويلا من القمع وتزوير الانتخابات، واستخدمت الحكومة الحمقى العنف لتخويف ومضايقة كل الحركات العلمانية والإسلامية المعارضة. فقد سيطرت على تكوين وتنظيم المؤسسات غير الحكومية ومنظمات المجتمع المدني والإعلام، واستخدمت المحاكمات العسكرية للتحايل على محاكم مصر المستقلة.

في ظل مناخ سياسي جديد وحر، سيظل للإسلاميين دور مؤثر دون شك، بل وسيصبحون رمزًا واحدًا ضمن أحزاب وجماعات متعددة. كما سوف يظلون موهوبين ومنظمين بل ومؤثرين، بالرغم من كونهم أقلية من السكان. فهناك جماعة الإخوان المسلمون في مصر وجماعة النهضة في تونس وجماعات إسلامية أخرى قد خاضت الانتخابات السابقة في ظل غياب الاختيارات السياسية مما جعلها بمثابة لعبة. فقد حصلوا على أصوات مؤيديهم وأعضاء جماعاتهم، وعلى أصوات من أرادوا أن يبدوا معارضتهم أيضًا للحكومة. ففي مناخ انتخابات حرة وعادلة تخوضها أحزاب سياسية متعددة، بها أناس من توجهات سياسية ودينية مختلفة- سيكون لتلك الجماعات دور مهم، ولكن ليس بالضرورة مسيطر. وقد عكست الحركات المعارضة قاعدة عريضة لفئات ذات توجهات مختلفة سياسيًا واجتماعيًا واقتصاديًا ودينيًا (من علمانيين ويساريين وإسلاميين وغيرهم)، تقوم وحدتها على تطلعات سياسية واقتصادية لا دينية.

لم يشعل الإسلاميون حركات التظاهر في مصر أو تونس أو ليبيا أو اليمن، ولم يقودوها. فهم مثل بقية المواطنين، لهم الحق في تكوين حزب سياسي قانوني، ومن ثم خوض الانتخابات وتمثيل الحكومة. وقد أعلنت جماعة الإخوان المسلمون عن عدم نيتها تقديم مرشح للانتخابات الرئاسية القادمة، وأنها لا تسعى حتى للوصول إلى مجلس الوزراء. لكن التحدي الآن في العديد من الدول هو أن تقوم الأحزاب السياسية التي عانت من المنع والقمع والتهميش ببناء تحالفات حزبية قوية. فإذا كان نظام التعددية الحزبية سوف يؤدي إلى انتشار مبالغ فيه للأحزاب- إذًا فوجود حزب واحد قوي ومنظم سوف يكون أكثر فائدة من منافسة ٣٠ أو ٤٠ حزبًا.

ماذا عن فلسطين؟

إن بناء نظام جديد للعالم العربي سوف يتضمن تناول أكبر قضية معقدة أثرت على العلاقات العربية- الأمريكية الأوروبية، وهي إيجاد حل للصراع الفلسطيني الإسرائيلي وقيام دولة فلسطينية. وبشكل مبسط، يستطيع الاتحاد الأوروبي القيام بذلك أفضل من أمريكا. وبينما كان اختلاف الدول عقبة في اتحادها، كان أيضًا سببًا في قيام دول مثل النرويج وسويسرا وغيرها بتبني علاقات سياسية مستقلة وشاملة في تقديم العون الأجنبي والمساندة للضفة الغربية وقطاع غزة، وفي الحوار مع الفصائل الإسلامية. وقد أظهرت أوروبا دلائل على الاستمرار في حوار جاد حول تلك السياسات. وعلى العكس من ذلك، وبرغم اختلافات بين الرؤساء الأمريكيين، إلا أنهم أجمعوا على التعامل مع قوى محلية قوية ولوبي إسرائيلي وكونجرس أمريكي- كانت النتيجة، برغم اختلاف الآراء الشخصية للرؤساء الأمريكيين، أن كونت السياسات الأمريكية سجلا حافلا بالانحياز لإسرائيل. وكما ذكرنا آنفا، فإن الرئيس أوباما غير قادر، أو لا يرغب في اتخاذ قرارات سياسية مهمة لإنجاح عملية السلام. وقد زادت حقائق السياسات الأمريكية من المشكلة اليوم، وعززت الموقف الإسرائيلي في السياسة الأمريكية. وجاءت انتخابات الكونجرس الأمريكي عام ٢٠١٠ بسيطرة الحزب الجمهوري على مجلس الشيوخ، ونمو ظاهرة الإسلاموفوبيا (معاداة الإسلام)، ومن ثم تأثيرها على السياسات القومية والضغط على موقف الرئيس باراك أوباما. فهو على أعتاب انتخابات فترته الرئاسية الثانية خلال عامين، ومازال يجادل في خطابه حول مخاوف الناخبين الأمريكيين، وتأثير انهيار الاقتصاد العالمي (نسب البطالة المرتفعة، والفقر المتزايد، ومشاكل الإسكان وازدياد تكلفة العلاج).

ومن المعروف أن للمجتمع الصهيوني الأمريكي تأثيرًا كبيرًا على السياسات القومية. وبرغم الاختلاف، فإن اللوبي الصهيوني، الذي يشمل منظمات مثل: AIPAC والمسيحية الصهيونية المتشددة، سوف يقف عائقًا في انتخابات أوباما. فبينما تمثل المبادئ الأمريكية والواقعية السياسية قاعدة لإدارة أوباما في بناء شراكات وسياسات جديدة من العلاقات العربية- الأمريكية، فإن الواقعية السياسية نفسها سوف تقوض التغير في السياسات الأمريكية تجاه إسرائيل، ومواصلة عملية السلام الناجحة حتى الانتخابات الرئاسية الأمريكية القادمة.

ولمصر وتونس وباقي حركات الإصلاح كل الحق في الاحتفال بإنجازاتهم وشعورهم بالتمكين. وهذا النجاح ليس النهاية، بل هو فقط البداية؛ فإنشاء الديمقراطية يتطلب سلوك طريق طويل، سوف يحتاج إلى تأكيد قوي ودائم على الوحدة القومية في السياسة والدين والمجتمع والتعددية الثقافية لبناء أحزاب ديموقراطية متعددة.

أما عن المرحلة السياسية القادمة في تكوين الحكومة، فإن المصلحين سوف يواجهون تحديًا كبيرًا في تكوين حكومة ائتلافية وطنية تعبر عن الحرية السياسية والمجتمع المدني وحقوق الإنسان، بتعزيز تطور المؤسسات المدنية وقيم الديمقراطية. هذا الاختبار سوف يظهر مدى تَقَبُّل السياسات وممارسات الحريات الديمقراطية، واختلاف الآراء، والأحزاب السياسية المتعددة، ومنظمات المجتمع المدني وتَقَبُّل مبدأ "المعارضة المخلصة" بدلًا من الأصوات البديلة وتهديد النظام السياسي. لكن بناء شراكات دولية جديدة وبناء ثقة بالنظام الديمقراطي لن يكون أمرًا سهلا؛ فالعقليات القديمة والسيناريوهات والمظالم لن تموت بسهولة، بل وتتطلب التعددية الجديدة إعادة تفسير وإصلاح وتنظيم الممارسات والقيم والعلاقات السياسية والدينية، والمساواة بين الجنسين. هذا كله بالإضافة إلى خلق موقع متميز في الحكومة والمحيط العام لجيل جديد من الشباب والرجال والنساء الذين كانوا بمثابة الوقود الذي أشعل محركات الإصلاح.

كان للولايات المتحدة وأوروبا كافة الأسباب لعمل نموذج أو إطار جديد يستجيب لإرادة الشعوب وعملية التحول السياسي في العالم العربي؛ فنحن نعيش في عالم متغير متعدد الأقطاب، يتطلب التعايش على أساس الاحترام المتبادل والتعاون. ولذلك، التحدي الآن بالنسبة لصناع القرار الأوروبيين والأمريكيين سوف ينتقل لما هو أبعد من الخوف من المجهول أو من نتيجة لا يمكن السيطرة على عواقبها. فبالرغم من الفروق

الحتمية، يجب أن تبنى العلاقات على فهم واحترام متبادل، ومعرفة وتَقَبُّل فكرة أن كافة البلدان لها حق التصرف فيما يناسب المصلحة القومية، وأن مصلحتها القومية يجب أن تُرْسَى على أرض مشتركة للمصلحة السياسية والاقتصادية والعسكرية. وسوف يحتاج صناع القرار ليس إلى إدراك المشاعر الحكومية وحدها، بل طموحات وتطلعات شعوبهم والأحزاب السياسية ومنظمات المجتمع المدني.

هذه في الواقع مرحلة تاريخية في التاريخ العربي المعاصر، سوف تستمر رياح التغيير في الهبوب، ليس فقط لأن المصلحين سوف يستمرون في الصراع لإعادة تنظيم العلاقة بين الحكومات وشعوبها، بل لأن هذه هي فقط بداية تحول سياسي واجتماعي صعب، وفرصة لشعوب المنطقة، لا للأنظمة، في تحديد طبيعة الحكم الرشيد ومستقبلهم. فبينما تلك الشعوب وحدها هي التي تملك مصيرها، تستطيع الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي والعالم الديمقراطي تحقيق مصالحه بدعم هذا التحول، وبناء شراكات جديدة على أساس قاعدة إعادة الصياغة، وتطبيق السياسات الأجنبية المتأصلة في قيمهم ومبادئهم الديمقراطية.

***

مقدمة

تأثرت حياة ومستقبل الكثيرين بعد هجمات الحادي عشر من سبتمبر الإرهابية على برجي مركز التجارة العالمي ومبنى البنتاجون. وفي غضون ساعات، حول مجموعة من الإرهابيين القرن الواحد والعشرين إلى عالم تسيطر عليه حرب تقودها الولايات المتحدة الأمريكية ضد الإرهاب العالمي، والصورة القوية للإسلام والمسلمين، كدين وشعب يجب الخوف منه ومحاربته. وقد أدى هذا إلى ما يعرف بصراع الحضارات، حتى تساءل البعض "ما الذي حدث؟" و"لماذا يكرهوننا؟".

إن حرب أمريكا الباهظة ضد الإرهاب وأعمال العنف المستمرة من ناحية، والعمليات الإرهابية التي يقوم بها المتطرفون الإسلاميون ومشاعر الكراهية تجاه الولايات المتحدة في العالم الإسلامي (وكثير من دول العالم غير الإسلامية) من ناحية أخرى، إلى جانب انتشار الإسلاموفوبيا، كل تلك الأشياء قد أثارت العديد من الأسئلة حول مستقبل الإسلام والمسلمين. فقد رأى الكثيرون أن الحرب ضد الإرهاب العالمي ما هي إلا حرب ضد الإسلام والمسلمين. ولهذا ينظر إلى أمريكا على أنها تقوم بمحاولات استعمارية جديدة لإعادة رسم خريطة الشرق الأوسط في ضوء المصالح السياسية والاقتصادية الأمريكية. ويأتي هذا في صور الاعتقال دون محاكمة، وسوء معاملة المسجونين المسلمين، وتدنيس القرآن، وتشويه سمعة المسلمين، إلى جانب تعذيب المعتقلين في سجني جوانتانامو وأبو غريب، وتآكل الحريات المدنية للمسلمين من خلال استخدام الدلائل السرية وبنود قانون الوطنية الذي وضعته إدارة الرئيس الأمريكي جورج بوش لتفعيل الديمقراطية وحقوق الإنسان.

ويسعى كتاب The Future of Islam أو مستقبل الإسلام إلى فهم الصراع من أجل الإصلاح الإسلامي، أحيانًا من أجل إعادة اكتشاف روح الإسلام والتعددية السياسية والدينية والثقافية للمسلمين، في مواجهة التحديات في الدول الإسلامية والغرب من أجل توضيح الجدل القائم حول الإصلاح الإسلامي لمواجهة التطرف الديني والإرهاب، والنظر في مستقبل العلاقات الإسلامية الغربية.

ويعد هذا الكتاب ثمرة أعمالي التي تتناول سياسات الإسلام والمسلمين؛ فقد وضعت فيه خلاصة أعمالي وخبراتي لعقود بدأت منذ أن كان الإسلام خفيًا عن خريطتنا الديموغرافية والمعرفية في الغرب. واليوم، فإنه يصعب على كثير منا أن يقدر أنه منذ

بضعة عقود، لم يكن يتوقع أحد ظهور مثل هذا الكتاب. فلم يكن الإسلام أو السياسات الإسلامية واضحة أو متصلة بالشئون الغربية. وتلك الضحالة في المعرفة والاهتمام، سواء من جانب الحكومة أو الجهات الثقافية أو الإعلام- تنعكس في عدم النشر عن كل ما له علاقة بالإسلام في رؤية خاصة بجهات النشر والجهات المكتبية فيما قبل السبعينيات، ويعكس نشاط التغير الذي حدث خلال العقود القليلة الماضية فيما يخص سياسات الإسلام والمسلمين، والتي انتقلت من الصفوف الخلفية إلى بؤرة الاهتمام، وشهدت انفجارًا في المصالح وتغطيتها.

واليوم، أصبح الإسلام أسرع الأديان انتشارًا في أفريقيا وآسيا وأوروبا بل وأمريكا. فهناك أكثر من ١,٥ مليار مسلم يعيشون في سبع وخمسين دولة ذات أغلبية مسلمة، كما يكونون أقليات واضحة في أوروبا (حيث يمثل حوالي عشرين مليون مسلم من الإسلام ثاني أكبر الأديان)، وكذلك في أمريكا (حيث يبلغ عدد المسلمين من ٦ إلى ٨ ملايين مسلم مكونين ثالث أكبر وأسرع الأديان انتشارًا هناك). فالدين الإسلامي أكثر انتشارًا وتفاعلا مع الأديان والمجتمعات الأخرى حول العالم الآن من أي وقت مضى. ويغطي الإسلام أكبر العواصم والمدن ابتداءًا من القاهرة إلى جاكرتا في العالم الإسلامي، ومن نيويورك وديترويت ولوس أنجلوس إلى باريس ولندن وبرلين في الغرب. فبالنسبة للأمريكان والأوروبيين، فإن فهم الإسلام والمسلمين هو أمر محلي (أن تتعرف على جيرانك من المواطنين الآخرين) والأولوية للسياسة الخارجية.

ومن المهم أن نتذكر أن قضية الإسلام والمسلمين هي قضية سياسية ودينية في نفس الوقت. فالإسلام اليوم ليس فقط عقيدة وتقوى شخصية، بل هو معنى ودليل لحياتنا الآن والحياة القادمة، وهو أيضًا بمثابة أيديولوجية ونظرة عالمية تتحدث عن السياسات والمجتمعات الإسلامية. وتتجه الحكومات الإسلامية، وحركات المعارضة، والقادة الدينيين وسواد الناس إلى استخدام الدين في إضفاء الشرعية على معتقداتهم وسياساتهم وحركاتهم. وهذا هو ما يفعله قادة المملكة العربية السعودية والسودان وإيران وآخرون من الركون إلى الإسلام من أجل الشرعية، كما تقوم بهذا النهج بعض الحركات السياسية والاجتماعية والمتطرفة. ولذلك تنقسم المجتمعات الإسلامية الآن إلى قطاعات علمانية ودينية.

ونظرًا لتأثير الإسلام على الشئون الأجنبية والعلاقات الدولية، فقد كان- وسيظل الإسلام- محور اهتمام صناع السياسة والمحللين السياسيين. وبينما تظل الأنشطة السياسية والاجتماعية الإسلامية محل إثارة وجدل، فإنها تظل مفعمة بالتفسيرات التنافسية والجدلية والتي تنقسم إلى معسكرين: إما اتحادي وإما توفيقي. ويؤمن أصحاب الفريق الأول أن كافة الناشطين الإسلاميين يشكلون تهديدًا، بينما يفرق المعسكر الآخر- والذي أنتمي إليه فكريًا- بين الناشطين المعتدلين (غير المتشددين) والذين يشكلون الأغلبية في المجتمع، وبين القلة الخطرة من المتطرفين والإرهابيين [١].

ويتناول كتاب The Future of Islam مستقبلنا جميعًا. فالإسلام والمسلمون هما جزء لا يتجزأ من التاريخ العالمي، بل من المجتمعات الأمريكية والأوروبية. وفي عالم، حيث نخضع دائمًا لفكرة "نحن" و"هم"، يجب ألَّا ننكر اختلافاتنا، بل نسمو فوقها ونؤكد على إنسانيتنا المشتركة لنكتشف "أننا" سواء، شئنا أم أبينا، نتواصل ونتداخل بعضنا مع بعض في بناء مجتمعاتنا وعالمنا ككل.

ولكن أهم درس تعلمته خلال سنوات دراستي للإسلام والمجتمعات الإسلامية- أنه إذا أردت أن تعرف بماذا يؤمن الناس، وأن تتعرف حقيقة حياتهم اليومية، فيجب عليك أن تنظر وتستخدم المصطلح الأكاديمي (text and context) أو النص والسياق؛ ففهم عقائد الآخرين لا يتطلب فقط معرفة مصادر النصوص الدينية المقدسة (الكتب المقدسة، العقائد، المبادئ والتعاليم)، لكنه يتطلب أيضًا معرفة ما يؤمن به الناس فعليًا بل ويفعلونه؛ فمعرفة أصول الدين لا يمكن أن تستثني إدراك تنوع أشكاله وهيئاته. فعلى سبيل المثال؛ كي تفهم التوراة (العهد القديم) والإنجيل (العهد الجديد)- يجب أن تشاهد ما يؤمن به ويمارسه اليهود والمسيحيون من خلال السياق التاريخي والثقافي والاجتماعي. فاليهودية هي التوراة والتلمود معًا. وقد تتشابه اليهودية في إثيوبيا وإسرائيل ونيويورك، إلا أن الهيئة الثقافية تختلف كثيرًا. وفي المسيحية، بالرغم من الاعتراف بالمسيح في مختلف المذاهب، إلا أن لكل من مسيحيي الغرب والشرق نظريات وممارسات مشروطة بخبرات تاريخية وثقافية. لهذا، فبالرغم من أن هناك الكثيرين الذين يرون الإسلام في صورة المملكة العربية السعودية وإيران، تتنوع ممارسات وشعائر المسلمين بشكل كبير من أفريقيا وآسيا إلى أمريكا وأوروبا.

ونحن نخضع للإغراءات المشتركة، مقارنين "رموزنا" بحقائق "الآخرين". فعندما نناقش عقيدتهم، يعرض المؤمنون بها رموزها، ويفرقون بينها وبين عقيدة الآخرين من خلال تأكيد الحقائق والمعتقدات والممارسات السلبية لمجموعة ما، حتى وإن كانت لا تمثل أغلبية. ولقد أصبحنا أكثر احترامًا للآخر في الثقافة اليهودية- المسيحية، أو أننا على الأقل نشعر بالحاجة إلى أن نتصرف بأسلوب سياسي أصح بشكل عام. وقد بدأنا ندرك أن المسلمين مثلهم مثل أبناء إبراهيم والهندوس والبوذيين والسيخ- يستحقون الاحترام نفسه. ولو كان المسئول عن أحداث تفجير مركز التجارة العالمي هم مجموعة من المسيحيين أو اليهود، لكان هناك القليلون الذين أرجعوه لمعتقدات الدين اليهودي أو المسيحي نفسه. فاغتيال رئيس الوزراء الإسرائيلي إسحاق رابين على يد أحد اليهود الأصوليين- لم ينسب إلى جوهر معتقدات وممارسات اليهودية، كما لم ترجع فضيحة الاعتداء الجنسي التي قام بها بعض رجال الدين المسيحي إلى ممارسات الكاثوليكية. فأشنع الجرائم التي قام بها متطرفون مسيحيون ويهود لم ينظر لها كممارسات مجموعات متشددة ومتطرفة، بل يشار إلى الأفراد الذين يقومون بهذه الجرائم على أنهم متعصبون ومتطرفون أو مختلون عقليًّا، لا على أنهم متعصبون مسيحيون ويهود. وعلى العكس، ينظر إلى أقوال وممارسات المتطرفين والإرهابيين الإسلاميين على أنها جزء لا يتجزأ من الإسلام. وأنا لا أنكر أن المسلمين يقومون بأعمال إرهابية وعنيفة شائنة، لكن السؤال هو كيف يقوم الأغلبية من المسلمين بتوصيف ذلك من وجهة نظرهم الإيمانية.

لقد كان هدفي من كتابة هذا الكتاب The Future of Islam هو الحاجة إلى- كما يرى الرئيس باراك أوباما وآخرون- إعادة بناء العلاقات مع العالم الإسلامي والتفريق بين الأغلبية المسلمة وممارسات أقلية إرهابية. فأنا أريد أن أحكي لكم قصة كيف وصلنا إلى ما نحن عليه الآن، ويجب علينا أن نفهمه ونفعله كي نخلق ما يسميه الرئيس أوباما بـ" الطريق الجديدة إلى الأمام".

من هذا المنطلق، فإني أقوم بتوجيه مجموعة من الأسئلة والقضايا في سلسلة متتالية من الفصول التي بالرغم من أنها تبدو متصلة، إلا أنها يمكن أن تقف منفردة. ومن بين كثير من الأسئلة التي أثيرها: هل مستقبل الإسلام مستقبل إصلاحي أم ثوري؟ هل يتكامل الإسلام والحداثة؟ ما هو مدى انتشار وتمثيل الحركات الإسلامية المتعصبة؟ هل تمثل تهديدًا للمجتمعات الإسلامية والغربية؟ هل يتكامل الإسلام مع مفهوم

الديمقراطية وحكم القانون، والمساواة بين الجنسين والحقوق الإنسانية؟ وهل يستطيع سكان مجتمعات الأقليات المسلمة في أمريكا وأوروبا أن يكونوا مواطنين أوفياء؟

يقدم الفصل الأول، والذي يأتي تحت عنوان "الأوجه المتعددة للإسلام والمسلمين"، مقدمة مختصرة عن الإسلام والمسلمين، عن الإسلام في الغرب وعن الإسلام والغرب. ومن أجل فهم مستقبل الإسلام، يجب إدراك تعدديته الدينية والثقافية والسياسية. من هم المسلمون وأين؟ بماذا يؤمن المسلمون ولماذا؟ ما هو الفرق بين السنة والشيعة من المسلمين؟ وهل يمثل هذا الاختلاف أهمية؟

مع الأسف، أدى الإرهاب العالمي إلى شعور بالخوف وعدم الثقة تجاه الإسلام والمسلمين. لذلك، فإنه من المهم أن نثير تساؤلات مثل: لماذا لم يدافع المسلمون عن موقفهم؟ هل هناك مخاوف من أن يكتسح الإسلام أوروبا ويحولها إلى ما يسمى بـ"يورابيا"؟ ومن أجل الإجابة عن تلك المخاوف، يجب إلقاء نظرة ثاقبة على المسلمين في الغرب. ما هي التحديات والخبرات التي يواجهها المسلمون الأمريكيون والأوروبيون؟ هل تأقلموا؟ وإذا كانت الإجابة: لا، فلماذا؟ أما إذا كانت الإجابة: نعم، فكيف فعلوها؟ وبالنظر إلى الهجمات في الولايات المتحدة وإنجلترا وإسبانيا وأسكوتلندا، فما هي طبيعة وأبعاد تلك التهديدات للإرهاب الإسلامي؟

هناك اعتقاد سائد في السنوات الأخيرة بأن الإسلام والغرب قد انخرطا في صراعات على مدار قرون طويلة بسبب الانقسام في مبادئنا وقيمنا، وهذا هو مصدر الإرهاب والعداء لأمريكا. إذًا، فماذا يريد المسلمون؟ وما هي مخاوفهم وآمالهم؟ لعل هناك مشكلة عند العامة صناع السياسة وفي فهم تنوع العالم الإسلامي والمسلمين واصطدامهم بآراء الخبراء المعارضين وتهديدات المتطرفين والأقلية الإرهابية. فالحلقة المفقودة هي أصوات الأغلبية المسلمة. واليوم، لدينا اتصال مباشر بوجهات النظر المسلمة في المواضيع المهمة والمختلفة. وفي كثير من الأحيان، سوف ننظر لبيانات الاستطلاعات الكبيرة، وبالأخص استطلاعات منظمة جالوب التي تعد الأكبر والأعقد على مستوى العالم وفي الدول الإسلامية والمجتمعات العالمية.

في الفترة ما بين ١٩٧٩- ١٩٨٠، نظر العالم باستغراب لآية الله، الذي عاش في المنفى بإحدى ضواحي باريس، وقاد ثورة أطاحت بأحد أقوى الحكام في الشرق الأوسط. وينظر بعض المحللين إلى الثورة الإسلامية الإيرانية كأول علامة على عودة

الإسلام الذي بدأ منذ عقد مبكر. هذا البعث الديني قد وصل إلى السياسة والمجتمع الإسلامي، بل إن بعض البلدان الإسلامية المتحضرة قد تحدت العديد من معتقدات وتوقعات الخبراء حول الحداثة والتطور والتي نُظر إليها على اعتبار أنها تهديد للحلفاء والمصالح الغربية.

ويقدم الفصل الثاني، الذي جاء تحت عنوان "الدين في السياسة"، الخلفية والسياق لفهم الإسلام السياسي، ودور الدين في السياسة والمجتمع، وتأثيره على المجتمعات الإسلامية والغرب، والأحداث الكبيرة التي شكلت السياسات الإسلامية وإدراكنا للإسلام والعالم الإسلامي ولماذا وكيف بدأ الإسلام في السياسات الإسلامية؟ وهل الحركات الاجتماعية والسياسية الإسلامية تمثل تهديدًا الآن وفي المستقبل؟

وما هي جذور وأسباب الإرهاب العالمي، وما هو الدور الذي يلعبه الدين؟ ولماذا وكيف وصلت المعارضة القومية والحركات المتطرفة للجهاد العالمي؟ ومن كانوا نظراءها وقادتها؟ وأية أحداث وممارسات أثرت في أسامة بن لادن، وتكوين القاعدة، ودورها في نشر الإرهاب العالمي؟ لذا، سوف نناقش دلالات وتأثير الإسلام الوهابي/ السلفي، ودور الحكومات المسلمة الاستبدادية، وتأثير الطائفية: السنة والشيعة، وتأثير السياسة الأمريكية الأجنبية.

تعد قضية الإصلاح الإسلامي ركيزة أساسية في مستقبل الإسلام والمسلمين والإرهاب العالمي. لذلك، يناقش الفصل الثالث، وهو بعنوان "الإسلام يحتاج إلى مصلحين" أسئلة وقضايا حيوية حول الإصلاح الإسلامي. لكن، من هم المصلحون والمفكرون والدعاة الكبار في الإسلام؟ وما هي القضايا التي يعتبرونها حيوية بالنسبة للدين الإسلامي والعلاقة بين المسلمين والغرب في القرن الحادي والعشرين؟

ومنذ نهايات القرن التاسع عشر، تناول المصلحون الإسلاميون قضايا علاقة الإسلام بالحقائق المتغيرة في الحياة الحديثة. وسوف يلقي هذا الفصل الضوء على جذور الإصلاح، ومدى تأثيره اليوم من مصر لإندونيسيا في ظل طابور طويل من الزعماء والمفكرين المسلمين رجالًا ونساء، سواء من الأصوليين أو المحْدَثين، يتناقشون ويتجادلون في عملية حيوية للتفسير والإصلاح. وكما ستوضح مناقشتنا، فإن هناك حوارًا حيويًا حول قضايا متعددة كأبعاد وحدود الإصلاح، ودور التراث أو العرف وعلاقته بالتغيير، بالإضافة إلى تمكين المرأة، والأشكال الشرعية وغير الشرعية للمقاومة والعنف

والعمليات الانتحارية والاستشهاد، ومخاطر الأصولية وقضية تكامل الإسلام مع الديمقراطية والتعددية الدينية، ودور المسلمين في الغرب.

ويتبنى المصلحون وجهات نظر مختلفة، وهي أن الإسلام هو دين للعصور الوسطى، دين جامد غير قادر على التغيير، وأنه دين عنف يحتقر المرأة، كما أنه لا يتكامل مع الديمقراطية؛ حيث لا يتحدث المسلمون عن التطرف والإرهاب؛ لأنهم يرفضون التعددية الدينية، وحوار الأديان، إذن فهم لا يمكن أن يكونوا مواطنين أوفياء في دول غير إسلامية.

ظهر جيل جديد من الدعاة الإسلاميين الذين يحركون الشباب والنساء والطبقات الوسطى والفقيرة، يطالبون بتوحيد الإيمان مع العمل من أجل الارتقاء بحياتهم. ومثل بعض الواعظين المسيحيين الذين تحولوا لنجوم إعلام في الدين، يصل الدعاة المسلمون إلى مئات الملايين؛ حيث يملئون قاعات وملاعب ضخمة، وينشرون رسالاتهم على أقراص DVD، وفيديو وأوديو، وعلى الإذاعات والقنوات الفضائية والإنترنت.

ويقدم هؤلاء الدعاة ومنظماتهم بديلا لصورة رجال الدين التقليديين، والمساجد، والمفتين والفتاوى. وقد يدعو بعض العلماء البارزين إلى مركزية أكبر للسلطة الدينية، لكن تلك البدائل تمكن الدعاة المسلمين، مثلهم مثل الواعظين المسيحيين، من الانتقال إلى الجهة المعارضة، نحو اللامركزية في السلطة الدينية. فمعظمهم يوجهون رسائل مباشرة وبسيطة، تتناول بعض الوصايا حول المشكلات اليومية، كما ترتقي بروحية إسلامية عملية وصلبة، ونجاح في هذه الحياة والحياة القادمة. وينجذب جمهورهم إليهم، ليس لخطابهم الديني، بل لشخصياتهم وأسلوبهم ورسالاتهم المختلفة.

وأخيرًا، من أين نبدأ؟ وما هي القضايا الحيوية والمعوقات التي تواجه المسلمين وتؤثر على علاقة أمريكا وأوروبا بالعالم الإسلامي؟ وفي كلمته الافتتاحية، أبعد الرئيس أوباما نفسه عن السياسات الفاشلة لإدارة بوش، وأعرب عن رغبته في عودة مكانة أمريكا كدولة رائدة لا تضحي "بشرعيتنا"، ومبادئنا وقيمنا تحت ستار الحرب على الإرهاب. وبسبب إدراكه لجدية العلاقة، أعرب أوباما عن رغبته في استعادة " الاحترام نفسه والمشاركة التي كانت تتمتع بها أمريكا مع العالم الإسلامي منذ عشرين أو ثلاثين عامًا". وقد تحدث أوباما مباشرة إلى العالم الإسلامي، قائلا: "إني أتوجه إلى العالم الإسلامي وأقول: نحن نسعى إلى إيجاد طريق جديد للمستقبل مبني على المصالح المشتركة والاحترام المتبادل".

يناقش الفصل الرابع "أمريكا والعالم الإسلامي - بناء طريق جديد للمستقبل": تحديات الإسلاموفوبيا، والسياسات القومية والأجنبية الأمريكية الفاشلة، ودور المتشددين المسيحيين والصهاينة، بالإضافة إلى الإعلام، والتهديد المستمر من التطرف الديني والإرهاب. هل هناك حاجة إلى نموذج جديد للعلاقات الإسلامية الغربية؟ وكيف تستطيع إدارة أوباما بناء الصورة الأمريكية والنموذج، والتأثير في العالم الإسلامي؟

كيف يمكن أن يكون شكل أجندة الإصلاح؟:

وبالرغم من اختلاف توجهاتهم - كما سنرى - فهناك قاعدة عريضة من الزعماء الدينيين والمفكرين الإسلاميين قد اجتمعوا ووضعوا مسودة بيانات رئيسية ومشروعات لمواجهة تهديد التطرف الإسلامي وبناء قاعدة أقوى لعلاقات أفضل بين الإسلام والمسيحية، وبين المسلمين والغرب. وفي الوقت نفسه، جمعت المنظمات الدولية - ومن بينها الأمم المتحدة والمنتدى الاقتصادي العالمي - مجموعات من المنظمات غير الحكومية الدينية والسياسية والإعلامية في محاولة إلى تقوية والارتقاء بالعلاقات الإسلامية الغربية، وبناء ثقافة عالمية للتعددية من خلال الحوار الدولي والمشروعات والأنشطة المشتركة.

وفي النهاية، يتناول الفصل الرابع دور الدبلوماسية العامة في النموذج الجديد لبناء صورة أمريكا ودورها في العالم الإسلامي. ما هو أفضل ما يمكن أن تصل إليه الولايات المتحدة لجمهورها المستهدف، واستجابتها لمخاوف المتطرفين المحتملة؟ كيف سيكون شكل المنظور الجديد لحلفاء أمريكا من الجماعات الاستبدادية والإسلامية؟

* * *

الفصل الأول

الأوجه العديدة للإسلام والمسلمين

يعد فهم الإسلام والمسلمين محيرًا بالنسبة للكثير. فقادة الإسلام يتحدثون عنه كدين للسلام والعدالة، ولكن أسامة بن لادن وأمثاله من الإرهابيين يذبحون المسلمين وغير المسلمين عالميًّا. فقد أشار الرئيس جورج دبليو بوش إلى الإسلام على أنه دين سلام؛ أما المبشر المسيحي فرانكلين جراهام فقد وصف الإسلام بأنه دين شر؛ وساموييل هنتنجتون الأستاذ بجامعة هارفارد ومؤلف كتاب "صراع الحضارات" كتب قائلا: "الإسلام لديه حدود دموية... وهو كذلك من الداخل،" ولكن كما أشار الرئيس باراك أوباما: "لقد أظهر الإسلام بالأقوال والأفعال إمكانية التسامح الديني والمساواة العرقية... يجب أن تقوم شراكة بين الإسلام وأمريكا بناءً على ما يتصف به الدين الإسلامي، وليس بناءً على ما ليس به".

يواجه المسلمون وغير المسلمين على حد سواء- تحديات جديدة في القرن الواحد والعشرين؛ حيث إن قوى العولمة جعلتنا معتمدين بعضنا على بعض سياسيًّا، واقتصاديًّا وبيئيًّا، وخلقت هجرة المسلمين بأعداد كبيرة في القرن العشرين مجتمعات جديدة في أمريكا وأوروبا أثرت إيجابيًّا في المجتمعات، ولكن نتج عنها أيضا اضطرابات اجتماعية. ولكن بغض النظر عن مخاوف وآمال المسلمين وغير المسلمين، فإن أحداث ١١ من سبتمبر و"الحرب ضد الإرهاب العالمي" - أشارت إلى تحول كبير في التاريخ العالمي والعلاقات بين مسلمي العالم والغرب.

إن هجمات ١١ من سبتمبر على مركز التجارة العالمي والبنتاجون والأعمال الإرهابية التي تلت ذلك في أوروبا- حطمت حياة الكثير، وصورها البعض على أنها تهديد إسلامي من الناحية الداخلية والخارجية. فتأثير تلك الأحداث في نيويورك وواشنطن، كما في مدريد ولندن- أثارت تساؤلات جديدة حول دين الإسلام وديانة المسلمين.

وفي القرن الواحد والعشرين كان تزايد الإرهاب العالمي وتزايد العداء ضد الأمركة وضد الغرب بصفة عامة، مصحوبًا في أمريكا وبعض البلدان في أوروبا بظهور السياسيين اليمنيين، والمعلقين السياسيين، وشخصيات إعلامية، وقادة دينيين خلطوا بين الإسلام

والإرهاب. وقد ساعد هؤلاء على زيادة التعصب ضد الإسلام والمسلمين (الإسلاموفوبيا)، مما نتج عنه شك واسع بالمسلمين، وجرائم الكره، والاعتقاد أن الإسلام ذاته، وليس فقط المسلمون المتطرفون يشكلون- تهديدًا عليهم.

إن أحداث ١١ من سبتمبر وُصِفَت بأنها نتيجة الصراع بين الحضارات التي لدى أفرادها مبادئ، وقيم، واهتمامات متعارضة تمامًا. ورأى البعض ذلك على أنه معركة بين الإرهاب العالمي والغرب، ولكن آخرون كثيرون رأوها على أنها صراع بين نظام إسلامي تقليدي ديني شمولي معادٍ للغرب، وبين النظرة الغربية الحديثة الديمقراطية الرأسمالية العلمانية. كما أن النقاد يتهمون الإسلام بتناقضه مع الديمقراطية والمساواة وحقوق الإنسان، وأن هذا هو السبب الخفي لحقيقة أن العديد من البلدان الإسلامية هي مجرد مجتمعات شمولية، تحد من الحريات، ولديها مجتمع مدني ضعيف. وفي الوقت نفسه، يعتقد الكثير من المسلمين أن الحفاظ على قيمهم وتقاليدهم الإسلامية شيء ضروري جدًّا؛ لكي ينجحوا في تقوية مجتمعاتهم والحفاظ على الديمقراطية والتطور. فهل الإسلام هو السبب الأساسي للمشكلة أم أنه جزء من الحل؟

هل هناك إسلام واحد أم أكثر من إسلام؟

بينما نتحدث بصفة عامة عن الإسلام فإنه في الحقيقة توجد العديد من الصور والتفسيرات للإسلام. إن صور وحقائق الإسلام والمسلمين كثيرة ومتعددة: دينيًّا، وثقافيًّا، واقتصاديًّا، وسياسيًّا. إن المسلمين يمثلون الأغلبية في سبع وخمسين دولة، كما يمثلون العديد من الجنسيات، واللغات، والمجموعات العرقية والقبلية.

إن معظم مسلمي العالم، البالغ عددهم ١٠٥ مليار، ليسوا من العرب، ولكن من آسيا وأفريقيا؛ حيث يمثل العرب خُمس مسلمي العالم فقط (مع العلم أنه يوجد الكثير من المسيحيين العرب في العديد من البلدان العربية ومازالوا هناك منذ وجود السيد المسيح). إن أكبر المجتمعات الإسلامية تعيش في إندونيسيا، وبنجلاديش، وباكستان، والهند، ونيجيريا أكثر مما يوجد في المملكة العربية السعودية، ومصر، وإيران. كما يعيش ملايين من المسلمين في أوروبا وأمريكا الشمالية، ويمثلون اليوم ثاني وثالث أكبر ديانة على التوالي. ونتيجة؛ لذلك لا توجد المجتمعات الإسلامية الكبرى فقط في داكار، والخرطوم، والقاهرة، ودمشق، والرياض، وطهران، وإسلام آباد، ولكن أيضًا في لندن، وباريس، وروما، وبرلين، ونيويورك، وواشنطن. ولغة المسلمين لا تشمل فقط اللغة العربية، ولكن

اللغات الفارسية، والتركية، والأردية، والسواحيلية، والإندونيسية، والصينية بالإضافة إلى الإنجليزية، والفرنسية، والألمانية، والدنماركية والإسبانية.

وكحال كل الديانات والمذاهب القوية والمهمة، يحفل الإسلام بتاريخ طويل في كل تلك الثقافات المتنوعة بجانبه الإيجابي والسلبي. ومثل كل الديانات الأخرى يعترف الإسلام بوجود حقيقة عليا ومطلقة. بالنسبة للمسلمين: الله هو الإله الأوحد القوي الرحيم الغفور، وهو الإله الخالق ومالك الكون، وهو الحاكم بين الخلائق يوم القيامة. وهو يدعو البشر للسمو، واتباع طريقه القويم، وأن يحيوا حياة أخلاقية، ويعملوا لإيجاد مجتمع عادل. ولكن مثل الأديان الأخرى لم يكن الإسلام على مر التاريخ فقط- وسيلة للرحمة، والفضيلة، والعفة، ولكن شهد أيضًا عصورًا من استخدامه لأغراض الإرهاب، والظلم والاضطهاد.

تجربة الجانب المظلم:

اهتم القليلون بمعرفة العالم الإسلامي قبل الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩. فلم يكن الإسلام والمسلمون مرتبطين، أو بعضهم لهم علاقة ببعض بصفة خاصة. ولكن اليوم الإسلام والمسلمون يساوون عند البعض العبارات اللاذعة من الكراهية التي يقولها دعاة الكراهية المسلمون، مثل أسامة بن لادن وتنظيم القاعدة، والصراعات بين الشيعة والسنة، والتفجيرات الانتحارية، وقطع الرءوس، وتخريب المساجد، وذبح الرجال والنساء والأطفال الأبرياء في العراق، وباكستان، والهند، والهجمات الإرهابية في أوروبا. أما بعض المبشرين، والمعلقين السياسيين، ورجال السياسة المسيحيين فيرفضون الإسلام باعتباره دينًا للشر والعنف، ويسخرون من النبي محمد على أنه متحرش بالأطفال. فكانت النتيجة النهائية لذلك أن عددًا كبيرًا من الأمريكان يرون الإسلام، وليس فقط المسلمين المتطرفين، على أنهم المشكلة التي تواجه العالم اليوم.

وقد توصل استطلاع للرأي العام أجرته صحيفة الواشنطن بوست وقناة إي بي سي الإخبارية إلى أن تقريبًا ما يعادل نصف الشعب الأمريكي ٤٦٪ لديه نظرة سلبية عن الإسلام، وهي أعلى بنسبة سبع نقاط في المائة بعد أشهر قليلة من هجمات ١١ سبتمبر(١).

وفي أوروبا تم اختيار الإسلام بأغلبية ساحقة على أنه الدين الأكثر ميلا للعنف، بنسب تتراوح من ٦٣٪ في بريطانيا، إلى ٨٧٪ في فرنسا، و٨٨٪ في هولندا(٢). فهل من العجيب أن يكون الإسلام والمسلمون بشكل عام، وليس فقط الأقلية المتطرفة، هم محور فوبيا الإسلام وضحايا الإساءة للمسلمين؟

"الإسلاموفوبيا" هو مصطلح جديد لظاهرة واسعة الانتشار اليوم. فجميعنا يعرف جيدًا مصطلحات مثل "معاداة السامية" أو "العنصرية"، ولكن لم يكن هناك مصطلح مشابه لوصف العداء، والتحيز، والتفرقة الموجهة للإسلام ومسلمي العالم المليار ونصف. ففي عام ١٩٩٧، قام مجموعة من الخبراء المتخصصين في العرقية والتنوع الثقافي في مؤسسة الراني ميدي تراست Runnymede Trust بتأليف مصطلح "إسلاموفوبيا" لوصف ما رأوه من تحيز بسبب المظهر الخارجي "المختلف" للمسلمين، وكذلك معتقداتهم الدينية والثقافية. ويقوم هذا التحيز (كغيره من أشكال التحيز الجماعي) على الجهل والخوف من المجهول، والذي ينتشر بشكل كبير في العالم غير الإسلامي. وقد تحدث كوفي عنان أمام المجتمع الدولي عن هذه المشكلة في مؤتمر الأمم المتحدة لعام ٢٠٠٤، "مواجهة الإسلاموفوبيا: تعليم من أجل التسامح والتفاهم"، قائلا:

"عندما يجبر العالم على ابتكار مصطلح جديد ليضع في اعتباره التعصب الأعمى المتزايد في الانتشار - فهذا تطور محزن ومزعج؛ لأن ذلك هو الحال مع "الإسلاموفوبيا"... فهناك حاجة إلى نسيان الآراء الشائعة التي أصبحت محفورة في الكثير من العقول وفي كثير من وسائل الإعلام. فالإسلام غالبًا ما يُرى على أنه قالب واحد... والمسلمون ينظر إليهم على أنهم نقيض الغرب... هناك ضغوط حقيقية ناجمة عن العيش مع أشخاص ذوي معتقدات وثقافات مختلفة عن ثقافة ومعتقدات المواطن... ولكن هذا لا يبرر التشويه المتعمد، أو استخدام الخوف المتعمد لأغراض سياسية. هذا فقط يعمق حدة الشك والاغتراب"[٣].

ولكن ماذا نعرف نحن عن المواطنين المسلمين في أمريكا؟ ربما تدهشك الكثير من الحقائق.

النجاح في أمريكا:

يقطن أمريكا طائفة متنوعة من المسلمين تعتبر واحدة من أكثر المجتمعات تنوعًا في العالم؛ حيث تقول داليا مجاهد المدير التنفيذي لمركز جالوب لدراسات الإسلام: "إن المسلمين يمثلون نموذجًا مصغرًا من الشعب الأمريكي... فهم المجتمع الديني الوحيد الذي بلا عرق غالب"[٤]. إن المسلمين هم أمريكيون جاءوا من ٦٨ دولة مختلفة، بالإضافة إلى الأمريكيين من أصل أفريقي والمعتنقين للإسلام من خلفيات عرقية ودينية مختلفة. وطبقًا لتقرير مركز جالوب لعام ٢٠٠٩ الذي كان عنوانه (المسلمون

الأمريكيون: صورة وطنية)، فإن ٢٨٪ من الأمريكيين المسلمين يعرفون أنفسهم على أنهم من "البيض"؛ و ١٨٪ يقولون: إنهم من الآسيويين، بينما يصنف ١٨٪ أنفسهم على أنهم "آخرون"، وهم ربما يعكسون هويات من أكثر من جماعة. أما ١٪ فقط فيقولون: إنهم من أصل إسباني، في حين أن هؤلاء الذين يعرفون أنفسهم بأنهم أمريكيون من أصل أفريقي يشكلون ٣٥٪.

وهذه التشكيلة الواسعة من المسلمين في أمريكا، بعضهم جاء بحثًا عن الحرية الدينية والسياسية، والرخاء الاقتصادي، أو للتعليم، والآخرون الذين ينحدرون من العبيد الذين تشكلوا عن طريق النضال من أجل الحقوق المدنية وقضايا العدالة الاقتصادية والسياسية، يمثلون أحد أكبر الجماعات الدينية المختلفة، اقتصاديًا، وعرقيًا، وسياسيًا. وذلك كما أشارت طيبة تايلور مؤسسة ورئيسة التحرير في مجلة عزيزة إلى أن تنوع المسلمين "يعطينا مدخلا عدد مدهش من الأفكار والحلول، وبإدخال مرونة الثقافة الإسلامية على مرونة الثقافة الأمريكية، يمكننا، ليس فقط من احترام التنوع، ولكن أيضًا من استخدام هذا التنوع للتنقيب عن مواهبنا المختلفة"(٥).

إن معظم المسلمين في أمريكا من الشباب وصغار السن؛ حيث إن حجم عينة المسلمين في سن السادسة والخمسين أو أكبر في دراسة جالوب كان صغيرًا جدًا ليذكر في التقرير، ولكنهم مقارنة بالجماعات الدينية الرئيسية يمثلون العدد الأكبر من الشباب الذين تتراوح أعمارهم بين ١٨ إلى ٢٩ (بنسبة ٣٦٪ مقابل ١٨٪ في تعداد السكان العام في الولايات المتحدة)، وكانت نسبتهم أيضًا أعلى من نسبة الأشخاص الذين أعمارهم من الثلاثين إلى الرابعة والأربعين (بنسبة ٣٧٪ مقابل ٢٦٪ من الأمريكان ككل). ويعتقد السيد جهاد صالح وليامز، منسق برنامج رابطة العاملين المسلمين بالكونجرس، أنه عندما يستثمر المسلمون في شبابهم، "فإنهم يستثمرون للجيل القادم من القادة الأمريكيين الذين سينشرون قيم التعددية والديمقراطية، وصورة أمريكا عالميًا كأرض للفرص يعتمد على الظهور الناجح لهذه العملية"(٦).

ويعتبر التعليم أولوية بالنسبة للعديد من المسلمين، والذين يعدون ثاني أكبر مجتمع ديني متعلم في الولايات المتحدة بعد اليهود. فأربعون بالمائة من المسلمين حاصلون على شهادة جامعية أو أكثر، مقارنة بنسبة ٢٩٪ من الأمريكان ككل(٧). فنسبة النساء المسلمات في أمريكا (على عكس مثيلاتهن من اليهود إحصائيًا) اللاتي يحصلن على شهادات جامعية

أو دراسات عليا هي تقريبًا نفس نسبة الرجال المسلمين. كما يحصلن على دخل شهري يقارب ما يحصل عليه الرجال، وذلك بنسبة أعلى مقارنة بالنساء والرجال في مجموعات دينية أخرى[٨].

ويعكس المسلمون التنوع الاقتصادي والاجتماعي الموجود في المجتمع الأمريكي، فالمسلمون الآسيويون والبيض هم أفضل الجماعات العرقية تعليميًّا في الولايات المتحدة بصفة عامة وبين المسلمين خاصة. والمسلمون الأمريكيون من أصل أفريقي (مثل نظرائهم من غير المسلمين في المجموعة العرقية نفسها) هم أقل احتمالية أن يحملوا شهادات جامعية من الآسيويين والبيض وأي سلالات "أخرى" من الأمريكيين المسلمين. والمسلمون في أمريكا مثل عامة السكان، يعكسون تفاوتًا في الدخل باختلاف الأعراق. فالمسلمون الآسيويون الأمريكيون يحققون دخلا عاليًا، في حين يحقق المسلمون الأمريكيون من أصل أفريقي نسبة دخل أقل[٩].

ولكن على مر العقود القليلة الماضية، أصبح الغالبية العظمى من الأمريكيين المسلمين مندمجين مع المجتمع الأمريكي سياسيًّا واقتصاديًّا بشكل متزايد. ويمثل المسلمون باقي السكان الأمريكيين من حيث العمل. فهم يشغلون رجالًا ونساءً وظائف مثل: (أطباء، ومحامين، ومهندسين، ومعلمين ومدراء تنفيذيين لشركات، وأصحاب أعمال صغيرة، أوعمال). ففي الحقيقة يقول ٧٠٪ من الأمريكيين المسلمين بأن لديهم وظيفة (مدفوعة أو غير مدفوعة الأجر) مقارنة بـ ٦٤٪ من الأمريكيين ككل. غير أن نسبة كبيرة منهم (٢٤٪) يعملون لحسابهم. ولكن الأغلبية كما هو واضح ضمن المسلمين الأمريكيين غير العاملين؛ حيث إن ٣١٪ هم طلاب بدوام كامل مقارنة بنسبة ١٠٪ من السكان عامة[١٠].

وإذا نظرنا إلى المسلمين حول العالم يتضح لنا المميزات التي يتمتع بها الأمريكيون المسلمون؛ حيث يستطيعون أن يجدوا عملا بشكل أفضل. على عكس الـ ٧٠٪ من الأمريكيين المسلمين الذين يقرون بأن لديهم وظيفة، فإن صور المسلمين في أوروبا تختلف جذريًّا؛ حيث إن ٣٨٪ في الولايات المتحدة، و٤٥٪ في فرنسا، و ٥٣٪ في ألمانيا- بلا عمل. ففي الدراسة التي ذكرها جالوب عن البلدان الإسلامية تظهر "أن الحصول على عمل يتراوح من النسبة الأقل ٣١٪ في باكستان إلى ٥٩٪ في إندونيسيا"[١١]. وعند الأمريكيين المسلمين تعكس مناصبهم في وظائف مرموقة ما يقوله غالبية الأمريكيين

المسلمين ٧١٪ الذين يوافقون على أن الأشخاص الذين يريدون التقدم في أمريكا يمكنهم النجاح فقط إذا كانوا مستعدين للعمل بجدية. هذه النسبة تعتبر أعلى من مثيلتها في الشعب الأمريكي ككل، أما الأمريكيون من أصل أفريقي فيتأثرون بالتفرقة العنصرية وبالأحوال الاقتصادية الفقيرة، ومع ذلك فهم أكثر واقعية من أغلب المهاجرين المسلمين[١٢].

إن موقع المسلمين المميز في أمريكا مقارنة بالمسلمين في العالم يعكس رضاهم عن حياتهم؛ حيث يقر ٤١٪ أنهم ناجحون بشدة، والذي يماثل الأمريكيين عمومًا وأعلى بكثير من المسلمين في كل البلدان العربية والإسلامية ماعدا السعودية وألمانيا. ومن جهة أخرى فإن ٥٦٪ يقرون أنهم "يكافحون"، مقابل ٥٠٪ من الأمريكان عامة[١٣]. بينما قام المسلمون بتقدم ملحوظ في أمريكا منذ هجمات ١١ من سبتمبر وجد العديدون أنفسهم تحت فحص شديد بدءًا من التشخيص في المطارات، والاستجوابات، والتنصت على المحادثات، إلى المراقبة الشديدة في المساجد والمنازل. وأكثر من نصف هؤلاء تمت معاينتهم من قبل مركز بيو للأبحاث الذي يقول: إنه من الصعب أن تكون مسلمًا منذ ذلك التاريخ؛ حيث يعتقدون أنهم مراقبون بصفة دائمة وخاصة من الحكومة[١٤].

تعكس العديد من المؤشرات شعور المسلمين بإحساس من عدم الارتياح؛ حيث أقر مجموعة من الأمريكيين المسلمين أنهم يشعرون أنهم أقل ارتياحًا وأقل احترامًا من هؤلاء المنتمين إلى جماعات دينية أخرى؛ لذلك فإنهم أقل احتمالا للشعور بالسعادة أو الفرح وأكثر احتمالًا للشعور بالقلق والغضب من المدافعين في أغلب الجماعات الأخرى. وتظهر علامات الاغتراب عن المجتمع في استفتاء جالوب مثل تشاؤمهم بشكل كبير بالنسبة لمستقبل مجتمعاتهم، وانخفاض مشاركتهم في العمل التطوعي أكثر من معظم الجماعات الأخرى، وانخفاض نسبة المسجلين في الانتخابات، وخصوصًا بين الشباب؛ حيث إن نسبة المسجلين في الانتخابات ٦٤٪ فقط، وهي أقل نسبة بين الجماعات المتدينة، وتنخفض النسبة أكثر بين الشباب؛ حيث تصل إلى ٥١٪. "ما زال هناك شعور عند الأمريكيين المسلمين بأنهم مستبعدون من الاتجاه العام"، أشار بذلك أحمد يونس المحلل الأول في الجالوب، "ويظهر ذلك بحدة أكبر بين الشباب[١٥].

" إن نقص المشاركة السياسية والحضور السياسي غَذَّى شعورًا بالإبعاد، ولكن هناك

بعض المؤشرات عن تغير ذلك ببطء؛ فالمسلمون الآن أصبحوا أكثر ظهورًا في الحياة الأمريكية السياسية؛ حيث يعمل مسلمان اليوم في الكونجرس الأمريكي، وآخرون في السياسات المحلية. وأصبحت المنظمات الإسلامية أكثر ظهورًا في تأييد الكونجرس.

وينعكس تنوع المسلمين الأمريكيين بوضوح في آرائهم السياسية؛ فهم أكثر الجماعات الدينية الموزعة بالتساوي على الشريحة السياسية في المجتمع؛ حيث يزعم ٣٨٪ أنهم معتدلون، والآخرون مقسمون بالتساوي في كلا الجانبين (٢٩٪ يساريون، و٢٥٪ من المحافظين). فهم يماثلون المذهب اليهودي إلى أقصى درجة والمورمون إلى أقل حد.

بالرغم من تنوعهم السياسي، وحقيقة أن أقل من نصف الأمريكيين المسلمين يشيرون إلى أنهم ديمقراطيون، فإن المسلمين بأغلبية ساحقة (نسبة واحد إلى ثمانية، بما فيهم الرجال والنساء)، صوتوا لصالح أوباما بدلًا من ماكين في الانتخابات الرئاسية لعام ٢٠٠٨، وهي أعلى نسبة تم مسحها من جميع الطوائف الدينية(١٦).

في مشروع مابس/ زوجبي الدولي لاقتراع الأمريكيين المسلمين، قال ٨٧٪ : إن المسلمين يجب أن يدعموا ماليًّا المرشحين السياسيين الأكفاء غير المسلمين. وعلى عكس الآراء التقليدية، ذكر ٤٤٪ من المسلمين أن السياسة الداخلية تعد عاملا أكثر أهمية في التأثير على أصواتهم، وذلك في مقابل ٣٤٪ الذين فضلوا السياسة الخارجية(١٧).

التحديات العديدة للنجاح في أمريكا:

وإذا تمعنا في الكرة السحرية للقرن الواحد والعشرين، فإن مستقبل المسلمين في أمريكا يبدو مبشرًا جدًّا، نظرًا لشبابهم، وملفاتهم التعليمية والوظيفية، وازدياد عددهم، مما يجعلهم قوة سياسية محتملة. ولكن يخف هذا التفاؤل كما سنرى في مناقشة هذا الجزء؛ لأنه عندما سئل الأمريكيون في استفتاء جالوب لعام ٢٠٠٥ ماذا يعجبهم في الإسلام؟ أجاب ٥٧٪ بـ "لا شيء" أو "لا أعرف"؛ مما يفهمنا أن العديد من المواقف السلبية تأثرت بهجمات ١١ من سبتمبر وتهديد الإرهاب العالمي. كما ملئت الفراغات في معرفتنا بالإسلام والمسلمين في العالم بعد ١١ من سبتمبر، غالبًا بمعلومات مثيرة من جانب واحد، تقودنا إلى نبذ هؤلاء "الغرباء" والخوف منهم.

أما الإعلام فلا يهتم فقط بالأخبار القابلة للنشر، ولكن بالأخبار التي ستزيد

المبيعات والربح. إن طريقتهم في قول الحقيقة القاسية تفضل العناوين الرئيسية للأحداث الساخنة، والتي تؤكد بشكل غير متناسب على الصراع والعنف؛ حيث إن أصوات المحافظين الجدد، والتي كانت مسيطرة خلال إدارة الرئيس جورج بوش، رأت الحرب ضد الإرهاب العالمي فرصة لتنفيذ اعتقادهم بأن مصير أمريكا "كقائد عالمي" هو خلق دولة أمريكية جديدة، لا ينفصم جدول أعمالها عن جدول المسيحيين اليهود المتشددين، وهي سياسة تحويل الشرق الأوسط، فكانت النتيجة النهائية هو ميل لرؤية الإسلام ومسلمي العالم البليون ونصف، بالإضافة إلى الستة أو الثمانية ملايين مسلم في أمريكا بعين التشدد الديني والإرهاب، سامحين للكلام المسموم والتهديدات من قلة من الإرهابيين أن تلون وتطمس فهمنا عن أغلبية المسلمين عامة.

ولذلك فإن أي مناقشة عن مستقبل الإسلام عليها أن تنظر مباشرة إلى الأصوات العديدة السلبية التي يجب أن تفحص ولا تؤخذ على ظاهرها، وإلا فمن أين تأتي الآراء الشائعة عن الإسلام؟ وماذا قال العديد من النقاد السياسيين، وصناع السياسة، ودعاة المسيحية؟ وكيف صنعت صور الإسلام والمسلمين التي رسموها فارقًا، ولماذا تلك الصور خاطئة وذات نتيجة عكسية؟

الإسلام والانتخابات الرئاسية لعام ٢٠٠٨:

إن اغتراب المسلمين يمكن أن يُفهم بوضوح كلما شاهدنا العديد من التعليقات التي تعبر عن فوبيا الإسلام أثناء الحملة الرئاسية لعام ٢٠٠٨. فلقد كان من الصعب إحصاء عدد المرات التي ردد فيها باراك أوباما عبارته "أنا لست مسلمًا". "أنا لست مسلمًا". "أنا لست مسلمًا"؛ حيث شعر أوباما وحملته الانتخابية بضرورة قول هذه العبارة ليؤكدوا لجمهور الناخبين الأمريكي أن المرشح الديمقراطي للرئاسة ليس مسلمًا. وبالرغم من أن باراك أوباما يعلن عن مسيحيته، ويلتزم بها، فإن اسمه الإسلامي (بسبب والده الأفريقي المسلم غير الملتزم) وحقيقة أنه عاش في إندونيسيا وارتياده مدرسة إسلامية زاد من التكهنات بكونه مسلمًا. المقال الذي نشرته المجلة المسماة تهكميًّا بالإن سايت أو البصيرة، والتي تملكها الشركة نفسها مثل الواشنطن تايمز، قالت: إن أوباما أشار في كتابيه (أحلام من والدي)، (وجرأة الأمل) إلى أنه قضى عامين في مدرسة إسلامية وعامين آخرين في مدرسة كاثوليكية حينما كان يعيش في إندونيسيا من سن السادسة وحتى العاشرة. ومع ذلك، وبالرغم من تأكيداته الشخصية وحملته التي تزعم أن هذه القصة كانت "مروعة بشكل غير مسئول" - ظلت الشائعات والاتهامات قائمة[١٨].

إن حساسية حملة أوباما، وبشكل مفرط حول هذا الموضوع، كانت، واضحة. فردُّه: "أنا لست الآن، ولم ولن أكون أبدًا مسلمًا" بدا مثل الأقوال الحالية التي تنكر الحرب الباردة الشيوعية؛ فقد لاحظ ذلك بعض المسلمين وتفهموه نظرًا للحساسيات السياسية، ومع ذلك تعجبوا: لماذا لم يقل أوباما أبدًا: "أنا لست مسلمًا، ولكن ما الخطأ في أن أكون مسلمًا؟".

فلقد كان المرشح أوباما حريصًا على ألا يزور مسجدًا، أو أن تظهر صورته مع مسلمين. وفي ديربورن كان العاملون النشطاء بالحملة حريصين على إخفاء صورة امرأتين مسلمتين ترتديان الحجاب وتظهران مع المرشح الديمقراطي في نفس الصورة. وبالرغم من الحقائق وكل البيانات المؤيدة لها، فإن ١٢٪ من الأمريكيين المدفوعين بالمواقع الإلكترونية عن فوبيا الإسلام، ومدونات الإنترنت المعادية لأوباما، تشبثوا بالاعتقاد بأن أوباما كان يخفي هويته الحقيقية. واستمر النقاد بفحص خلفيته العائلية، متنازعين ما إذا كان والد أوباما الكيني "الغائب" مسلمًا ملتزمًا أم لا. وعما إذا كان أوباما "فعليًّا" مسلمًا أم لا، وتسميته مدرسته الابتدائية "المدرسة الإندونيسية" بنبرة متعمدة من التشدد.

واستمر هذا الموضوع خلال الحملة. أما كولين باول فقد تكلم في تأييده لباراك أوباما معربًا عن قلقه من الأعضاء القدامى من حزبه "الجمهوري" قائلا:

أنا قلق أيضًا، ليس مما قاله السيناتور ماكين، ولكن بما يقوله أعضاء الحزب، وسماحهم بقول أشياء مثل: " أنتم تعرفون أن السيد أوباما مسلم". "حسنًا فالإجابة الصحيحة هي أنه ليس مسلمًا لكن مسيحيًّا. لقد كان دائمًا مسيحيًّا. والإجابة الأكثر صحة: حتى وإن كان مسلمًا؟ هل هناك خطأ في أن يكون مسلمًا في هذه الدولة؟ الرد هو: لا ليس في أمريكا. هل هناك أي خطأ في أن يعتقد طفل أمريكي مسلم أو طفلة في السابعة من عمره- أنه قد يصبح رئيسًا؟ نعم، لقد سمعت الأعضاء القدامى من حزبي يلقون هذا الاقتراح، وهو: "إنه مسلم، وربما يكون له علاقة بـ "الإرهابيين". وهذه ليست الطريقة التي يجب أن تتم في أمريكا(١٩).

إخماد أصوات غالبية المسلمين:

إن أسباب حملة أوباما للحذر الشديد والحساسية المفرطة حول النتائج السياسية لأي ارتباط مع المسلمين- ظهرت في المؤتمر الديمقراطي. وذلك حينما دعيت الدكتورة إنجريد ماتسون، وهي كندية اعتنقت الإسلام، وباحثة مشهورة في كلية هارتفورد

للشريعة بولاية كونيتيكيت؛ لتمثل المجتمع الإسلامي في تأدية صلاة هي الأولى من نوعها، تجمع بين الأديان في مؤتمر الترشيحات الديمقراطي. وهي أيضًا رئيسة المجتمع الإسلامي بأمريكا الشمالية، وهي منظمة أمريكية إسلامية كبرى كانت موجودة منذ العديد من العقود، تعمل في تنظيم المجتمع، والتعليم، وتصل إلى المسلمين والمسيحيين واليهود. فزعماء منظمة المجتمع الإسلامي بأمريكا الشمالية التقوا مع الدكتورة ماتسون بالمسئولين الحكوميين، مثل: نائب وزير الدفاع جوردون إنجلاند ووكيلي وزارة الولاية نيك بيرنز وكارين هيوز الذين أثنوا جميعهم على أعمال المنظمة.

ومع ذلك ففرانك جافني الناقد الصريح للزعماء المسلمين والمنظمات الإسلامية، الذي يطول سجل مقالاته الافتتاحية في الواشنطن تايمز حول الاتهامات للمسلمين ويقصر حول الأدلة الداعمة، أكد دون أي إثبات أو دليل أن منظمة المجتمع الإسلامي لأمريكا الشمالية "أنشأتها أصلا جمعية الطلبة المسلمين الذين تمولهم السعودية"، وهي "واجهة لتنظيم الإخوان المسلمين"[٢٠]. مع العلم أنه لم تتهم أيٌّ من هذه المنظمات في أي جرائم مزعومة أو دعم للإرهاب، ولم يثبت أي دليل عن تورطهم مع أي عمل إرهابي.

وحينما تساءلنا: "لماذا تسمح حملة أوباما لنفسها أن توضع في مثل هذه المجموعة" - استغل جافني هذه المخاوف المشروعة عن الإرهاب والأمن القومي، مستخدمًا اتهامات باطلة لوصم وإدانة المنظمات الإسلامية والمسلمين المعتدلين.

مما يذكرنا هذا الاضطهاد بعهد مكارثي؛ حيث يرى بعض المسلمين في أمريكا أنه يعتبر انتحارًا مهنيًا إذا كان لديهم أي اتصال بأي قيادات أو منظمات إسلامية كبرى (على عكس اليهود الأمريكيين الذين يرتبطون بمنظمات يهودية كبرى مثل المنظمة الصهيونية الأمريكية، واللجنة الأمريكية اليهودية، أو جماعة مؤيدي إسرائيل، ولجنة الشئون العامة الأمريكية الإسرائيلية)، أو إذا عارضوا السياسات أو الأفعال غير القانونية أو المشكوك فيها في إسرائيل/فلسطين. إن فريقًا من وسائل الإعلام من المحافظين الجدد مثل (الويكلي ستاندرد، ونيويورك صن بالإضافة إلى واشنطن تايمز)، والمواقع ذات الصلة مثل (كامبس واتش، وجهاد واتش، وفرونت بيج) ضافروا جهودهم لتشويه سمعة الدكتورة ماتسون ومنظمة المجتمع الإسلامي لأمريكا الشمالية. إنهم يكررون اتهامات وادعاءات لا أساس لها من الصحة، ويستشهدون باقتباسات خارج السياق لخلق "حقائق ثابتة".

فهم يدعمون ويؤيدون اتهامات بعضهم لبعض عن طريق إعادة الاتهامات نفسها، الموضوعات والمقالات نفسها؛ ليجعلوها تبدو وكأن عددًا كبيرًا من الناس يكتشفون تهديدات جديدة باستمرار. وليس المسلمون فقط ولكنِ السياسيون والصحفيون والأكاديميون من غير المسلمين الذين يتكلمون ضد تعصبهم ومعلوماتهم المضللة- يتم استهدافهم ومهاجمتهم على أنهم غير وطنيين، ومدافعون عن معاداة السامية لصالح الإسلام والانتحاريين.

إن هدف هؤلاء الأفراد والمنظمات المعادين للإسلام هو تشويه المنظمات الإسلامية واستمرار إضعافها وحرمانها من حقوقها وتهميش التمثيل الإسلامي في السياسة، والحكم، والمنظمات الأمريكية الكبرى. للتوضيح علينا فقط أن ننظر إلى حالة أول منسق إسلامي لحملة أوباما، مازن أصباحي، الذي استقال بعد أسبوع واحد من وظيفته؛ حيث تمت مهاجمته بسبب عمله في مجلس إدارة (الوقف الإسلامي لأمريكا الشمالية "نايت"). جافني وتبعه آخرون، وصفوا المنظمة، بدون أي أدلة أيضًا - بأنها "أداة قوية في حملة المسلمين لتجذير والسيطرة على المجتمع الإسلامي في أمريكا"(٢١). إن التكنيكات المستخدمة لتشويه سمعة المسلمين ليست تهديدًا للأفراد الأمريكيين والأوروبيين فقط، ولكن للمبادئ والقيم الفعلية التي نعتز بها، وخاصة المساواة، والتسامح، والحريات المدنية.

إن محرري الأعمدة المحافظين، بعضهم من أكثر الكتاب رواجًا أو مضيفون مشهورون في الحوارات التلفزيونية أو الإذاعية، ولهم جمهور عريض، استعملوا باستمرار ألفاظ الكراهية والذم الشديد الموجه، ليس فقط للمتشددين من المسلمين، ولكن للإسلام والمسلمين عمومًا؛ حيث نصحت آن كولتر: "يجب أن نغزو بلادهم، ونقتل زعماءهم، ونحولهم إلى المسيحية"(٢٢).

ويل كومينز (اسم مستعار) علق: "هل قلب الإسلام الأسود، وليس وجهه هو ما ينشده ملايين المسلمين"(٢٣). ووفقًا لمايكل سافدج: "هؤلاء الناس [العرب والمسلمون] يحتاجون إلى اعتناق المسيحية بالإكراه... وهذا هو الشيء الوحيد الذي من الممكن أن يجعلهم بشرًا(٢٤)". بعد عدة سنوات، في ٢٩ من أكتوبر، ٢٠٠٧ في بث إذاعي لبرنامجه الواسع الانتشار المذاع على ثلاثمائة محطة إذاعية، تشدق قائلا:

" أنا لن أجعل زوجتي تلبس الحجاب. ولن أجعل ابنتي تلبس البرقع... ولن أنزل

على أربع لأصلي لمكة... أي نوع من الأديان ذلك؟... كتاب من الكراهية... يمكنك أخذ مجلس العلاقات الأمريكية الإسلامية "كير" وتلقيهم خارج بلدي... بدون إجراءات قضائية... تستطيع أخذ إجراءاتك القضائية وتتصرف بها" (٢٥).

ومن ثم قام سافدج برفع دعوى على الـ "كير" (مجلس العلاقات الأمريكية الإسلامية)، وهي منظمة الحقوق المدنية للمسلمين. والتي قام فيها باتهام المجلس بإساءة استخدام مقاطع صوتية من برنامجه (حيث قام المجلس بإعادة بث ما قاله بعد أربع دقائق فقط من برنامجه على موقعه على الإنترنت ليبين استخدامه لألفاظ معادية للمسلمين) كجزء من حملة لمقاطعة برنامجه اليومي ذي الثلاث ساعات، ثم قام بتعديل هذه الدعوى لتتضمن اتهامات بأن المجموعة "لجأت إلى إسكات المعارضين للإرهاب من خلال الابتزاز الاقتصادي، والدعاوى القضائية المكلفة ولكن التافهة والتهديدات بالدعاوى القضائية وإساءة استخدام النظام القضائي." كما أن الدعوى القضائية المعدلة دعت المجلس بأنه "وسيلة سياسية للإرهاب العالمي، حتى إنها ربطت المجموعة بمساندة تنظيم القاعدة"(٢٦)- قامت مقاطعة كاليفورنيا الشمالية "برفض الدعوى قائلة بأن استخدام المجلس للمقاطع للتعقيب والنقد كانت مثالًا نموذجيًا للاستخدام المعتدل"(٢٧).

جون ماكين والمتشددون المسيحيون الصهاينة:

من ضمن أكثر المتعصبين لفوبيا الإسلام القادة الأمريكيون من المسيحيين الصهاينة. ففي الحملة الرئاسية لعام ٢٠٠٨، قادت رغبة المرشح الجمهوري جون ماكين في أن يؤيد نفسه باليمين المسيحي (المتدينين من الجناح اليميني)، الذين رغب بشدة في أصواتهم، إلى جمع صور للكنائس الضخمة والمبشرين المسيحيين في مشاهد مقسمة بشدة.

تلقى ماكين التأييد من رود بارسلي وجون هيجي، والمسيحيين اليهود المشهورين. فهم يعتقدون أن تأسيس دولة إسرائيل في عام ١٩٤٨ وعودة اليهود إلى الأرض المقدسة هي شرط أساسي للمجيء الثاني للمسيح، المذكور في نبوءات الكتاب المقدس مثل "ليكن لاعنوك [إسرائيل] ملعونين ومباركوك مباركين" [التكوين ٢٧:٢٩]. إن بارسلي وهيجي مثل جيري فالويل وبات روبرتسون زعماء اليمين المسيحي في الثمانينيات والتسعينيات، الذين أخذوا موقفًا يهوديًا متشددًا، ورحب بهم الزعماء الإسرائيليون بدءًا من مناحم بيجن، إلى آريل شارون وبنيامين نتنياهو.

رود بارسلي القائد لاثني عشر ألفًا من أعضاء الكنيسة الضخمة، رحب بجون ماكين كمستشاره الروحي ومؤيده القوي في الانتخابات الأولية في أوهايو، وخصص فصلا كاملا في كتابه عام ٢٠٠٥: "لا صمت بعد اليوم" إلى التحذير من "حرب بين الحضارتين: المسيحية والإسلامية". وأدان بارسلي "اليأس الروحي" للمتحررين المدنيين الأمريكيين الذين ينادون بفصل الكنيسة عن السلطة، وعرَّف الإسلام على أنه "دين معادٍ للمسيح" قائم على "التضليل". وأن "النبي محمدًا" وفقًا لبارسلي "تلقى الوحي من الجن وليس من الإله الحقيقي". وقال بارسلي: "الحقيقة أن أمريكا قامت جزئيًا بنية أن ترى هذا الدين الزائف محطمًا، وأعتقد أن أحداث ١١ من سبتمبر كانت دعوة البداية لحمل السلاح، ولا نستطيع تجاهلها أكثر من ذلك"، وحذرنا من أننا "ليس لدينا الآن أي خيار؛ فإن الوقت قد حان، وربما نكون قد خسرنا المعركة بالفعل"(٢٨).

بالنسبة لبارسلي ليس هناك فرق بين المتشددين المسلمين العنيفين والمسلمين عمومًا. فهو يعتقد أن الإسلام «شجع» هجمات ١١ من سبتمبر على أمريكا التي «اعتبرت نفسها على مر التاريخ حصنًا ضد الإسلام». ويحثنا أن نعتقد أن الإسلام هو "دين عازم تمامًا على غزو العالم"(٢٩).

إن القس جون هيجي، المؤيد القوي لماكين، هو مبشر مسيحي مشهور، وهو أيضًا مسيحي يهودي، يذاع له على التلفاز والراديو برامج في أكثر من ١٩٠ دولة حول العالم. في فبراير عام ٢٠٠٦، قام هو وأربعمائة قائد مسيحي ويهودي بتشكيل منظمة "المسيحيون المتحدون من أجل إسرائيل"، وهي منظمة تخاطب الكونجرس فيما يتعلق بدفاع الإنجيل عن إسرائيل. وحذر هيجي أتباعه:

"لقد أتى الجهاد إلى أمريكا، إذا خسرنا الحرب ضد فاشية الإسلام، سيغير ذلك العالم الذي نعرفه... إنهم هنا... ينتظرون للرد علينا كإرهاب منظم ضد هذه الأمة. إنها حرب بين حضارة الموت وحضارة الحياة، بين الحرية والبحث عن السعادة، والطوائف المتشددة التي تضم حوالي ٢٠٠ مليون مسلم، الذين يعتقدون أنهم مأمورون من الله بقتل المسيحيين واليهود، إن أزمتنا هي أن نصف أمريكا لا يعلم أن الحرب قد بدأت، وأن هذه هي الحرب الدينية"(٣٠).

عندما أُخبر ماكين عن عبارات هيجي المتطرفة عن الإسلام، رفض في البداية أن يبتعد عن القس. ولكن حدث ذلك بعد أن اكتشف تعليقات هيجي السابقة المعادية للكاثوليكية، التي زعم فيها أن أدولف هتلر كان قائمًا فقط على عمل "الكنيسة الرومانية" التي أسماها «عاهرة بابل الكبرى»، عندها فقط قطع ماكين صلته بهيجي كلية بالرغم من أن مستشاره المقرب السيناتور جوزيف ليبرمان لم يفعل ذلك(٣١).

فلم يبد العديدون في الحزب الجمهوري استياءهم من الحملة الهجومية على اسم أوباما "المسلم" واستخدام الشائعات القائلة بأنه في الحقيقة مسلم لتشويه سمعته. الاستثناء الوحيد الظاهر والصريح هو كولين باول الذي لوحظ أنه في فترة تأييده لأوباما كان ناقدًا لبعض الأعضاء القدامى من الحزب الذين قالوا: إن أوباما مسلم، وإنه ربما يكون له علاقة بالإرهابيين.

كان أكثر جزء مقنع في ملاحظات باول آتيًا من القصة التي أخبرها، وتوضح إنسانية الأمريكيين المسلمين، والتي لا تظهر غالبًا في وسائل الإعلام:

"يراودني شعور قوي تجاه هذه النقطة بسبب مقال مصور رأيته في مجلة عن الجنود في العراق وأفغانستان. وآخر صورة في المقال كانت لأم في مقابر أرلنجتون، كانت واضعة رأسها على شاهد قبر ابنها. وكما ركزت الصورة يمكنك رؤية الكتابة على الشاهد، التي أعطت جوائزها - النيشان، والنجمة البرونزية - وذكر أنه مات في العراق، وتاريخ ميلاده ووفاته. فلقد كان عمره عشرين عامًا فقط. وعند أعلى الشاهد، لم يكن هناك صليب مسيحي، أو نجمة داوود اليهودية، بل كان عليها الهلال والنجمة الخاصتين بالديانة الإسلامية، كان اسمه كريم رشاد سلطان خان، وكان أمريكيًا، وُلد في نيوجيرسي، كان عمره ١٤ عامًا وقت أحداث ١١ من سبتمبر، وظل منتظرًا ريثما [يستطيع] أن يذهب لخدمة وطنه، وأعطى حياته لذلك. والآن يجب أن نتوقف عن مناقضة أنفسنا بهذا الشكل، فجون ماكين نزيه كأي شخص آخر أعرفه، ولكن ما يقلقني حقيقة أنه داخل الحزب نفسه لدينا هذا النوع من العبارات(٣٢).

"من أنا؟" - هوية المسلمين في الغرب:

إن صفة "الغربة" والإرهاب مستمرة في تلطيخ المسلمين على أنهم "الآخرون". وذلك كما قالت هادية مبارك، أول امرأة يتم انتخابها كرئيس للرابطة الوطنية للطلبة المسلمين: "مازال الإسلام يساوي ثقافة دخيلة... فكيف يكون إظهارنا الالتزام بالإسلام

جزءًا لا يتجزأ من هويتنا الأمريكية؟ كيف يستطيع المسلمون تأدية العبادات ولبس أغطية الرأس، وأخذ إجازة في الظهر من العمل لحضور صلاة الجماعة يوم الجمعة، وبناء المساجد، وما إلى ذلك ولا يقلل من وطنيتنا وفخرنا بكوننا أمريكيين؟[٣٣] هؤلاء الذين يصارعون "لفعل ذلك" في الثقافات الأمريكية والأوروبية والبيئات السياسية دائمًا ما يشعرون أنهم أغراب في مجتمعاتهم الغربية، ويعتقدون أنهم يجب أن يتنازلوا عن هويتهم ليتم قبولهم، مما يشجع البعض لمقاومة اندماجهم داخل المجتمع مخافة أن يصبحوا "غربيين" جدًا ويفقدوا تميزهم كثقافة فريدة وعقيدة دينية مميزة. فليس الغربيون فقط ولكن المسلمون أيضًا تساءلوا: هل هم مسلمون في أمريكا أم أمريكيون مسلمون؟ وهل هم مسلمون صودف أنهم يعيشون في أوروبا أم أوروبيون مسلمون؟

ففي المستقبل القريب سيواجه المسلمون التحديات في الحفاظ على عقيدتهم وهويتهم، بينما يختلطون بالمجتمعات الأوروبية والأمريكية المعادية لهم في بعض الأحيان. فالدول الغربية تقدم حريات كثيرة ليست موجودة في الكثير من دول العالم الإسلامي، ولكن المساواة التي يقدرها الغرب كثيرًا تُختبر اليوم بشكل غير مسبوق من قبل. فما هي حدود هذه المساواة الغربية؟ ومن الذي تشمله أو تستثنيه؟ وهل هي علمانية ثابتة أم يهودية مسيحية دائمة؟ هل تستطيع المجتمعات الأوروبية والأمريكية القبول بالمسلمين تمامًا (كما قبلت بالهندوس، والسيخ، والبوذيين، وآخرين غيرهم) ليس فقط كـ"غرباء" يتم تحملهم، ولكن كمواطنين مثلهم، وإخوان لديهم الحقوق السياسية والدينية نفسها؟

فهوية المسلمين المهاجرين تشكلت من خلفياتهم الدينية، والعرقية، والثقافية، بالإضافة إلى تجاربهم في الغرب. فالعيش كأقلية في ثقافة مسيطرة وغالبًا جاهلة بالإسلام، أو معادية له، تجعل العديد من المسلمين يجدون أنفسهم في بيئات مثل النرويج، والدنمارك، والسويد، التي بقيت متجانسة بشكل بالغ، أو مثل بريطانيا وفرنسا، وألمانيا الذين مازالوا متعلقين بهويتهم الرومانسية القومية العتيقة. فبينما يعتبر الكثيرون المسيحية في أمريكا جزءًا لا يتجزأ من الهوية القومية، والقيم، والثقافة، فلقد واجه العديد من الأوروبيين مشكلة المجتمعات الإسلامية الأقلية، وأصروا على أن الهوية الأوروبية لا يمكن فصلها عن الروح الوطنية غير الدينية والحضارة اليهودية المسيحية. فهؤلاء المسلمون في أوروبا وأمريكا يقارنون سلبيًا بين المسيحية أو العلمانية "الثقافة القومية"

وبين القيم الإسلامية مما يوقف ويعيق جهود هؤلاء المسلمين في الاندماج والتداخل الاجتماعي داخل المجتمع.

ولكن ظهرت استجابتان واسعتان من المسلمين تجاه الهوية الإسلامية؛ الأولى: كانت في تشجيع بعض القادة المسلمين على عدم الاندماج مع المجتمع، ودعوا إلى خلق مجتمعات دينية/ ثقافية منفصلة داخل المجتمعات الغربية، مثل الكاثوليكيين الوثنيين واليهود في أمريكا، الذين لجئوا في البداية لأوطانهم الأصلية من أجل العديد من القساوسة والأحبار، وكذلك اعتمد المسلمون الغربيون في البداية على علاقاتهم بالعالم الإسلامي من أجل القيادة الدينية والدعم. وخاصة في الماضي القريب، حين قدمت المنظمات الدولية التي تدعمها ليبيا، والمملكة العربية السعودية ، وإيران، أو أي من دول الخليج الأخرى دعمًا كبيرًا لبناء المساجد والمدارس وتعيين الأئمة (قائد المسجد)، وتعليم اللغة العربية والإسلام، ونشر الثقافة الدينية، ودعم الزيارات من القادة الدينيين.

ولكن على الرغم من أن هذا الدعم كان قادرًا على إعانة وتقوية المؤسسات الإسلامية في البداية، فإنه يؤثر سلبيًّا أيضًا على المجتمعات على المدى الطويل. فالاعتماد على مصادر خارجية كالسعودية مثلا بفكرهم الوهابي للإسلام أو أي دولة إسلامية أخرى يمكن أن يعيق اندماج المسلمين في المجتمع؛ حيث إن المجتمعات الإسلامية الشديدة الاعتماد على القادة الدينيين المولودين والمدربين في الخارج (يعني خارج أمريكا) الذين غالبًا ما تكون لديهم رغبة ضئيلة في التأقلم مع ثقافات أخرى، ويميلون إلى التمسك برؤية عالمية تقليدية. أولئك القادة غير المؤهلين للرد، فضلا عن التفاعل مع تحديات الحياة في الغرب، لا يقدمون شيئًا سوى زيادة "عقلية الأقلية الثقافية"؛ حيث يعيشون ويتصرفون ويُعلِّمون كأنهم هناك في القاهرة، أو مكة أو إسلام آباد، بدلًا من كونهم في نيويورك، أو ديترويت، ولندن، ومانشستر، ومارسيليا أو برلين. وهم ربما لا يدعون فقط إلى الانعزال ورفض نظم السياسة الغربية، بل أيضًا يشجعون الرغبة لأسلمة الغرب. كما علقت هادية مبارك: "في السنوات الثمان الماضية أدرك الأمريكيون المسلمون أنهم لا يستطيعون تحمل حياتهم في عزلة اجتماعية دون الاهتمام برفاهية مجتمعاتهم أو الصورة العامة للإسلام. فبينما يواجهون المشكلات نفسها لكونهم جميعًا أمريكيين- يدفعون الرهن العقاري ويرسلون أبناءهم إلى الجامعة، بالإضافة إلى مواجهة المشاعر المتزايدة المعادية للإسلام" (٣٤).

أما الاستجابة الثانية فكانت في السؤال الحائر: "هل نحن مسلمون أمريكيون أم أمريكيون مسلمون؟" وهؤلاء يمثلون غالبية المسلمين في أمريكا، الذين اندمجوا في مجتمعاتهم الصغيرة. مثل كل الجماعات العرقية الأخرى أمامهم، فهم يرون أنفسهم جزءًا من بنية أمريكا ولديهم رغبة قوية في التعايش مع إخوانهم المواطنين اعتمادًا على المصالح المدنية والدينية والاجتماعية المشتركة. فلقد توصل لويس لوجو، مدير منتدى بيو للدين والحياة العامة، إلى أن "الأمريكيين المسلمين مثلهم مثل باقي الناس في البلد... لا يرون تعارضًا بين كونهم مسلمين مخلصين وبين العيش في مجتمع حديث"(٣٥).

أما ألطاف حسين في جامعة هوارد فتشجع المسلمين لوضع "تركيزهم المستمر على العمل المدني... وأن يسهموا في تحسين المجتمع الأمريكي من خلال تأكيدهم القوي على العائلة والعمل الجاد، وحماية البيئة، وإرساء العدالة، والكفاح ضد الظلم والكبت وخدمة ورعاية الضعفاء في المجتمع. وتقول: "بالرغم من أن قلة من جماعتنا في أماكن قريبة وبعيدة من العالم تقوم بتنفيذ أعمال إرهابية تحت اسم الإسلام، لا يجب أن يردعنا شيء عن جعل أنفسنا جديرين بالقول والفعل بالدعم الأمريكي"(٣٦).

تكون أو لا تكون؟ هذا هو السؤال في أوروبا:

إن اندماج المسلمين في المجتمع الأوروبي كان أكثر صعوبة منه في أمريكا. فعلى عكس المهاجرين المسلمين الأمريكيين، الذين أتى العديد منهم إلى أمريكا متعلمين ومدربين، فإن المسلمين جاءوا إلى أوروبا تحت ظروف مختلفة، فلقد جاءوا أساسًا كعمال مأجورين أو حرفيين حينما كانت أوروبا بحاجة شديدة إلى عمال أجانب. ولذلك كان لدى العديد منهم مهارات محدودة وتعليم ضئيل وحراك اجتماعي محدود أيضًا. فالعديد من المسلمين مثلاً في بريطانيا، وفرنسا، وألمانيا، وهولندا وقعوا في فخ الأقليات الاجتماعية، التي تعاني من الفقر، والجريمة، والعصابات؛ حيث كشف استفتاء جالوب عن أشكال الحياة المقدمة للمسلمين في أوروبا وعن المشكلات التي يواجهونها. فقال نسبة ٦٩٪ من المسلمين الذين يعيشون في فرنسا و٧٢٪ في المملكة المتحدة بأنهم يعتبرون أنفسهم "مكافحين"، بينما قالت نسبة ٢٣٪ من المسلمين في فرنسا و٧٪ فقط من مسلمي المملكة المتحدة بأنهم "مزدهرون" ماديًا(٣٧).

وتصور العديد من القصص الإخبارية في أوروبا مسيحية متلاشية معرضة

للانقراض بسبب الإسلام، الذي يعتبر الدين الأسرع نموًا وانتشارًا؛ حيث ازداد عدد السكان المسلمين في القارة الأوروبية من ١٢ إلى ٢٠ مليون في عقد واحد فقط، كما أن عدد المساجد في بلدان مثل بريطانيا، وألمانيا، فرنسا، وإيطاليا في تصاعد مستمر. والتحول من الكنائس الأوروبية الفارغة إلى المساجد واستبدال أجراس الكنيسة بالدعوة إلى الصلاة يشكل بالنسبة للبعض "تهديدًا كبيرًا كما ورد في الإحصاءات السكانية المتغيرة. وفي تقلص عدد السكان الأصليين بشكل كبير وزيادة عدد المهاجرين بشدة وخاصة المسلمين، كما أن معدلات المواليد قادت العديد من قادة الكنائس الكاثوليكية والبروتستانتية إلى استنكار العلمانية والتمدن الذي أدى إلى فقدان الايمان، والانهيار الأخلاقي في أوروبا؛ وحذر البعض من أن أوروبا المسيحية أصبحت عاجزة أمام تزايد "الإسلام" المستمر.

ويتنبأ المتنبئون المعاصرون بالهلاك وبأن أوروبا سيجتاحها الإسلام لتتحول بنهاية القرن إلى "أورابيا" أي (أوروبا العربية). وتحذر وسائل الإعلام، والزعماء السياسيون، والمعلقون السياسيون من مؤامرة "الإرهاب السهل" التي تستحوذ على أمريكا وأوروبا؛ حيث يوبخ برنارد لويس، المؤرخ من الشرق الأوسط والمستشار الحكومي في حكومة بوش سياستها الفاشلة في العراق، كما تلقى تغطيات واسعة حينما وبخ الأوروبيين لفقدانهم إخلاصهم، وثقتهم بأنفسهم، واحترامهم لثقافتهم، واتهمهم بأنهم "استسلموا" للإسلام عن طريق "احتقارهم لأنفسهم"، و"قيمهم السياسية"، و"تعدديتهم الثقافية"(٣٨).

أما بات ياور (وهو اسم مستعار لكاتبة يهودية مولودة في مصر تعيش الآن في أوروبا) فتردد اتهامات لويس برنارد نفسها في كتابها المستفز (أورابيا)، الذي تحذر فيه من أن أوروبا سوف تجني ما زرعته في الثلاثين عامًا الأخيرة من الترضيات، والتسويات، والتنازلات الثقافية، وتعزي ضعف أوروبا إلى زعمائها وسياساتهم التي أظهرت التأييد للعرب والعداء لإسرائيل، و"هواجسهم المذعورة من إسرائيل"، وإصرارهم على التركيز على القضية الفلسطينية من أجل السلام العالمي(٣٩). وتشاركها في ذلك ميلاني فيليبس،

صحفية بريطانية يهودية، وكاتبة كتاب (لندنستان) التي تؤيد تهديد المسلمين باجتياح أوروبا، وتتبع كلامها قائلة بأنك "إذا قرأت في وسائل الإعلام العامة، أو شاهدت البي بي سي أو استمعت إليها، أو ذهبت إلى الحرم الجامعي، أو حضرت حفلات عشاء، -ستصطدم بادعاءات تخطف الأنفاس عن سرقة المؤامرات الدولية اليهودية للسياسة الخارجية الأمريكية، والذي لم يكن ببساطة واردًا منذ سنوات قليلة ماضية" (٤٠).

كما تناول الأسقف تاديسوز بولسكي رئيس الأبرشية العسكرية الكاثوليكية موضوع تهديد أورابيا قائلا: "الدفاع العسكري ضد الإرهاب الإسلامي تقوده اليوم الولايات المتحدة، والتي تلعب دورًا مشابهًا لذلك الذي لعبته بولندا منذ قرون عديدة حينما كانت خط الدفاع عن المسيحية"، وحث المسيحيين على أن يحولوا دون أن تتحول أوروبا إلى "جزيرة العرب الأوروبية".(٤١) وفي ألمانيا، بيتر فرايش (رئيس المكتب الفيدرالي لحماية الدستور) أكد مرارًا أن "المسلمين يرغبون في السيطرة على العالم". والكثير من هذه التحذيرات يتم نشرها باستمرار في الصحف الوطنية في ألمانيا وفي كل مكان.

إن الإيقاع المعادي للهجرة إلى أوروبا وإلى الموت الوشيك لهوية أوروبا الثقافية والدينية في مواجهة التهديد الإسلامي ساعدت فيه وسائل الإعلام التي جمعت تنوع الهويات، وقضايا الإحصاء السكاني، والقضايا الاقتصادية، والصراعات الاجتماعية معًا تحت مظلة الدين؛ حيث تصف إثارة الشغب في مناطق الأقليات في فرنسا التي يسكنها عرب شمال أفريقيا بأنهم "مسلمون" أكثر من كونهم متظاهرين ضد الفقر واليأس. كما حدث ذلك أيضًا في مقاطعة المسلمين في لندن احتجاجًا على الصور الكاريكاتورية الدنماركية التي صورت النبي محمدًا على أنه إرهابي معه قنبلة في عمامته، والخلافات في فرنسا، وتركيا، والدنمارك حول الحجاب. كل هذه تُرى على أنها "قضايا دينية" أكثر من كونها قضايا عن الحقوق المدنية والحريات مثل حق المرأة في أن ترتدي ما تريد. ولأن المسلمين الأوروبيين يصنفون ببساطة على أساس عقيدتهم، فهذه المشكلات والقضايا يتم تصويرها بطريق الخطأ على أنها "قضايا خاصة بالمسلمين" في حين أنها في الحقيقة نظرًا لطبيعتها وأسبابها الأساسية تحتاج إلى حلول وسياسات اجتماعية وليست دينية.

كما أن الصور الكاريكاتورية الدنماركية والإعلام الذي تلاها والخلاف في البلدان الأوروبية الأخرى قدم سببًا للجناح اليميني المعارض للمهاجرين/والطوائف الإسلامية

والذي يرى اختلافًا جوهريًا بين الإسلام من ناحية، والمجتمع والقيم الغربية العلمانية الحديثة من ناحية أخرى، لأن يتحد المسلمون في أن يبرهنوا أنهم يستطيعون أن يكونوا "أوروبيين حقيقيين". فبالنسبة للمسلمين معارضة الصور الكاريكاتورية كانت مسألة احترام لنبيهم ودينهم. فهم يرون الصور على أنها عنصرية تهدف إلى تحقير الإسلام أكثر ويطلبون الحصول على الاحترام نفسه الذي يتمتع به اليهود والمسيحيون.

إن ضحايا جرائم التمييز والعنف ليسوا من المسلمين المتطرفين ولكن معظمهم من عامة المسلمين المعتدلين في أوروبا وأمريكا؛ وذلك لأن التصريحات المضادة من الحكومات الإسلامية، والمفكرين والزعماء المسلمين ضد التطرف أو العنف لم تتلق نقلا كافيًا من وسائل الإعلام؛ فكانت النتيجة كما لاحظها الدكتور جيرمي هينزل-توماس رئيس المنتدى ضد فوبيا الإسلام والعنصرية هي أن:

الصور الشائعة التي تصف الإسلام ككل على أنه متزمت، مذهبي، متحجر، ثابت، أحادي البعد، معاد للتطور، غير قادر على التكامل والاندماج، غير مبال بالأفكار الجديدة، رجعي، متأخر، عتيق، بدائي، غير متمدن، عدواني، عنيف، إرهابي، خارجي، متعصب، بربري، مسلح، قمعي، متصلب، مهدد، هجومي، متطرف، متسلط، ديكتاتوري، مستبد، ذكوري، كاره للنساء، شديد الغرابة، ومصر على أن يفرض على العالم نظام حكم ديني متشدد، والتي ستلغي حكومته، أي: مبدأ للحرية والديمقراطية التي يقدرها العالم الغربي. يجب أن أقول إني: لا أعرف مسلمًا واحدًا يجسد حتى واحدة من تلك الصفات، ولي أصدقاء وزملاء عمل مسلمون في جميع مناحي الحياة من ثقافات عديدة حول العالم (٤٢).

نظرًا لانتشار أصوات فوبيا الإسلام فإنه من المفاجئ ألا يخاف الأمريكيون والأوروبيون الذين صدمتهم الهجمات الإرهابية في نيويورك وواشنطن، والهجمات المماثلة في أوروبا التي ارتكبت باسم الإسلام من وجود "عدو من الداخل"؟

فبينما قدمت الدول الأوروبية فرصًا للبعض، لا يزال آخرون كثيرون يجدون أنفسهم في مناطق كئيبة، بالإضافة إلى ارتفاع نسبة البطالة، وقلة فرص التعليم وتنمية المهارات الوظيفية؛ حيث أنمت هذه الظروف لديهم شعورًا بأنهم مواطنون من الدرجة الثانية، وأنهم مبعدون عن المجتمع ومهمشون ومغتربون، وشاركت في مشكلات المخدرات والجريمة.

فالمسلمون الأوروبيون يعانون بشدة مع هوياتهم كمسلمين. بسبب الفوارق الطبقية والاتجاهات الثقافية، فالجيل الأول والثاني من المسلمين الأوربيين بالإضافة إلى المهاجرين الجدد يشعرون أنهم لن يتم قبولهم أبدًا بالكامل وبالدرجة نفسها كبريطانيين، أو فرنسيين، أو ألمان. فهم على الرغم من كونهم مواطنين انتقلوا على أحسن الأحوال من كونهم "ضيوفًا" إلى كونهم "أجانب". وكثيرًا ما تصبح أجيال الشباب في بريطانيا، وفرنسا، وألمانيا منفصلين عن كلٍّ من هوياتهم الأوروبية وهويات آبائهم الوطنية والدينية.

وأصبح بعض الشباب المسلمين أكثر تأثرًا بالتفسيرات العدوانية لوصف الإسلام، مع العلم أن العديد من الخلافات والصراعات مترسخة أيضًا في المشكلات السياسية والاقتصادية الاجتماعية. فالشعور بالغربة والتطرف وُجد بين كلٍّ من المسلمين الملتزمين وغير الملتزمين، وبين الشباب المتعلمين ذوي الأوساط الاجتماعية والاقتصادية المرتفعة وبين الفقراء على حد سواء؛ فهم كثيرًا ما يتأثرون بما يرون من قيم مزدوجة في السياسات الخارجية لبعض البلدان الأوروبية، التي تتضمن اختيار تأييد ومناصرة الديمقراطية وحقوق الإنسان في العالم الإسلامي، بالإضافة إلى مساندة وتأييد نظم الحكم الديكتاتورية والقمعية أيضًا. وتتضمن شكواهم من العقوبات التي توقَّع على مسلمي العراق، والغزو الذي تقوده الولايات المتحدة على العراق واحتلالها، والصراع الفلسطيني الإسرائيلي، والاحتلال الهندي لكشمير، وسيطرة واحتلال روسيا على الشيشان.

وأخيرًا، وعلى الرغم من أن غالبية الأوروبيين المسلمين هم من عامة المسلمين المعتدلين، فإن ازدياد التطرف جاء أيضًا عن طريق قلة من المتطرفين الأجانب، مثل الأئمة الذين هاجروا من البلاد الإسلامية، ووجدوا ملاذهم في أوروبا أو الأنشطة السياسية التي أتت إلى البلاد بشكل غير قانوني، مستغلين انفتاح المجتمع الأوروبي وحرية الكلام والاجتماعات، فهم رجال مثل عبد الله الفيصل، وأبو قتادة، وعمر بكري محمد، وأبو حمزة المصري الذين اخترقوا المساجد أو أنشئوا مساجد خاصة بهم ووجدوا أماكن عامة يجذبون بها هؤلاء الذين شعروا بالغربة أو أنهم مجنبون. وأطلقوا أحكامهم من الكراهية، مدينين البلاد نفسها التي يعيشون فيها، وداعين إلى العنف والحرب على بلادهم ومواطنهم الإسلامية.

أبو حمزة المصري مسلم مولود في مصر هو مثال جدير بالملاحظة. فأبو حمزة دس

نفسه في منصب المالك والمتحكم لمسجد حديقة فنسبري بلندن منذ عام ١٩٩٧ وحتى عام ٢٠٠٣؛ داعيًا إلى رسالة تتضمن الكراهية والانتقام. وقد وصف أبو حمزة المجتمع البريطاني على أنه "مرحاض" غير مناسب لأداء الصلوات، وقال: "إن المصدر الرئيسي للدخل في هذا البلد هو في الحقيقة ماذا؟... الربا، والزنا، والخمر، والضرائب، والتآمر لأخذ أرباح دول العالم الثالث"(٤٣). وخلق أبو حمزة حدودًا لا يمكن تجاوزها بين المسلمين وغير المسلمين، وبين المسلمين الصادقين والمدعين وهم (الذين لم يقبلوا دعوته)، حاصرًا نفسه في التهديد المباشر والمتغلغل في عمق الإسلام، وهو الصراع بين المؤمنين والكفار الذي يحتاج من وجهة نظره إلى جهاد قوي؛ حيث قال: "يجب أن تعرفوا ما هو السبيل إلى الله ويجب أن تساعدوا في إنشاء هذا السبيل عن طريق القتال... فأنتم لا تقاتلون فقط للتفاوض أو للاستعراض أو لتسجيل فيديو أو إذاعة برنامج، أنتم تحاربون لتقتلوا وليس لتسجلوا". وبما أنه يرى أن المسلمين محاصرون فقد ادعى أن "قتل الكافر لأي سبب هو شيء جيد، حتى ولو لم يكن هناك سبب لذلك"(٤٤). وشرح كيف يمكن للمسلمين البريطانيين أن يقيموا دولة خلافة في بريطانيا قائلا:

كل ساحة هي هدف، وكل بيت للبغاء هو هدف، وكل من يؤيد ذلك هو هدف، يجب أن تدموا الأعداء سواء أكنتم وحدكم أو تعملون ضمن مجموعة أو مع عائلتكم وعندما تفعلون ذلك ستكونون بالطبع على الطريق الصحيح(٤٥).

وقعت الهجمات في لندن (٧ من يوليو، ٢٠٠٥)، وفي جلاسجو (٣٠ من يونيو، ٢٠٠٧)، ومدريد (١١من مارس، ٢٠٠٨) والاعتقالات في جميع المدن الأوروبية شددت على أخطار الإرهاب المحلي.

لماذا لم يدن المسلمون الإرهاب؟:

منذ أحداث ١١ من سبتمبر تكلمت في جميع أنحاء الولايات المتحدة مع قطاع عريض من الموظفين الحكوميين، ورجال الإعلام، والزعماء الدينيين، وأساتذة الجامعة، وعامة الناس. والسؤال المحتوم الذي سأله أعضاء مجلس الشيوخ، وخريجو الجامعات، ورجال الإعلام، ليس بشكل قابل للمناقشة ولكن كاتهام مؤكد: لماذا لم يدن الزعماء المسلمون أحداث ١١ من سبتمبر والإرهاب الإسلامي؟.

إن المخاوف والمشاعر المتضاربة بين عامة المسلمين داخل أمريكا وخارجها حول

تأثير أحداث ١١ من سبتمبر كانت ممزقة بين الدفاع والانتقاد ويصعب تقديرها. العديد من المسلمين في العالم العربي والإسلامي لجئوا إلى حالة من الإنكار، مدعين أن حكومة بوش فشلت في تقديم أي دليل مادي أو إثبات أن المسلمين كانوا هم المسئولين عن الهجمات. أما البعض الآخر فلجئوا إلى ما استطاعوا إليه من تبريرات مثل أن المسئول عن ذلك هو: المخابرات الإسرائيلية (الموساد)، لذلك فإن اليهود الذين يعملون في مكاتب مركز التجارة العالمي تم تحذيرهم من الذهاب إلى العمل في ذلك اليوم، أو على الأقل حاولوا إخفاء إلقاء اللوم على المسلمين والعرب في التسبب بتلك المأساة. إن مقدار عدم التصديق بين المسلمين كان ومازال مدهشًا؛ حيث ذكرت عائلات الخاطفين في السعودية أن أبناءهم مازالوا أحياء وأصر العرب على أنه لا يوجد عربي واحد يستطيع قيادة الطائرات في البرجين.

وشاركت وسائل الإعلام بشكل مباشر وغير مباشر في الربط بين المسلمين والصور السلبية، مسترشدين بطريقة ديبورا تانين أستاذة علم اللغويات وكاتبة كتاب ثقافة المناقشة التي قالت: "لا قتال، ولا قصة"، فالهدف ليس تغطية وتسوية الحقائق من المبالغة أو المعلومات الخاطئة، ولكن التركيز على المواجهة والصراع، العنف والإرهاب، الدموع والمأساة[٤٦]. قليلون هم الذين احتفلوا بالهجمات كنوع من "الانتقام" الموجه ضد السياسات الخارجية الأمريكية الفاشلة في الشرق الوسط، وحظوا بتغطيات واسعة من وسائل الإعلام، ونقلت محطات إذاعية كبرى صوربعض الفلسطنيين يحتفلون بالهجمات على أمريكا في الشوارع مرات عديدة.

بينما طغت الصدمة والقلق على مشاعر عامة المسلمين. ووجد استطلاع مركز جالوب العالمي أن ٩١٪ من المسلمين الذين أجريت معهم مقابلات يعتقدون أن الهجمات غير مبررة أخلاقيًا. والأكثر من ذلك كانت حقيقة أن ٣٥٨ موظفًا مسلمًا ماتوا داخل مركز التجارة العالمي، وحيث إن عدد المسلمين العاملين هناك كان كبيرًا أنشأ مركز التجارة غرفة للصلاة في الطابق الثاني. أما أحد أكثر التجارب التي أثرت بي هو حديثي في ذكرى وفاة شاب وزوجته من بنجلاديش كانا يعملان في مركز التجارة العالمي وماتا هناك. أما القليل من وسائل الإعلام كما هو حادث الآن هي التي ذكرت تصريحات الزعماء والمنظمات الإسلامية التي تكلمت عاليًا في الموضوع، أو أصدروا بيانات عامة

بذلك، أو أدانوا الهجمات الإرهابية وعبروا عن تعازيهم. فلماذا لم تسمع أصواتهم؟

ذلك لأن أوضاع وتصريحات عامة المسلمين ليست عناوين رئيسية للأخبار، وغالبًا ما تعتبر بلا قيمة. أما دعاة السلام وحل الصراع ربما إذا كانوا محظوظين فقط يفرد لهم مكان ما في الصحفات الخلفية في الجريدة. فكانت النتيجة الوصول للاشيء عن هذه الأدلة ومزيد من الاقتناع بأن المسلمين لم يتحدثوا ضد العنف والإرهاب.

إن نقص التغطية الصحفية للبيانات الرسمية للمسلمين التي تدين التطرف الديني والإرهاب- سمحت لاستمرار السؤال: "لماذا لم يتكلم المسلمون؟". وعليه فإن أفعال قلة خطيرة من المسلمين المتطرفين أصبحت الشكل المشوه الذي يُرى من خلاله جميع المسلمين والدين الإسلامي، كما أوضح فرانكلين جراهام أن "سكوت رجال الدين في العالم يرعبني؛ كيف لم يعتذروا إلى الشعب الأمريكي، ولم يؤكدوا للأمريكيين أن هذا ليس هو الإسلام الحقيقي، ولا يعمل هؤلاء الإرهابيون باسم الله أو باسم الإسلام؟"![٤٧].

إن فشل وسائل الإعلام في تقديم تغطيات متساوية (عن كلا الجانبين: المسلمين والأمريكيين)- ضاعف المشكلة التي شملت حتى المعلقين السياسيين المطلعين على الأحداث مثل توماس فرايدمان كاتب عمود الشئون الخارجية في جريدة النيويورك تايمز الذي كتب عن الشرق الأوسط لست سنوات. من المدهش أنه في اليوم التالي للتفجيرات التي حدثت في لندن كتب في مقاله: "إذا كانت هذه مشكلة مسلمين فهي تحتاج إلى حل من المسلمين أنفسهم"، وعلق قائلا: "حتى الآن وحتى ذلك اليوم لم يقم أي من كبار رجال الدين أو الهيئات الدينية بإصدار فتوى تدين أسامة بن لادن"[٤٨].

كان أول ما صدمني عبارة فرايدمان الذي كان من المفترض أن يكون أكثر حكمة من أن يقول مثل هذا الكلام، مما ذكرني بالجواب الغاضب لوالدي حين يتناقش بشدة مع أبنائه المثقفين: "أنت أذكى من أن تكون بهذا الغباء". فقد بدا مقال فرايدمان مثيرًا للسخرية؛ وذلك حيث إن جريدته نشرت في وقت سابق وتحديدًا في ١٧ من أكتوبر ٢٠٠١ مقالًا من صفحة كاملة قدمته مؤسسة بيكيت للحرية الدينية جاء فيه: "أسامة بن لادن يختطف أربع طائرات ودين"، يصاحبها بيانات صادرة من أشهر قادة العالم الإسلامي يدينون فيها الهجمات على أمريكا. وكان ضمن هؤلاء: الشيخ عبد العزيز آل

شيخ (من كبار المفتين في السعودية ورئيس هيئة كبار العلماء)، والشيخ زكي بدوي (رئيس الجامعة الإسلامية في لندن)، والمفتي الشيخ نظام الدين شامزاي مفتي دولة باكستان، والملك عبد الله الثاني ملك الأردن، ومنظمة المؤتمر الإسلامي.

وهذه البيانات العامة كانت فقط المقدمة؛ حيث في بداية ١٤ من سبتمبر ٢٠٠١، نقلت البي بي سي إدانات لأحداث ١١ من سبتمبر على أنها أعمال إرهابية من قبل مجموعة كبيرة ومؤثرة من الزعماء الدينيين بدءًا من الشيخ محمد سيد طنطاوي شيخ جامعة الأزهر بالقاهرة، والإمام الأكبر للأزهر الشريف (والذي يعتبره الكثيرون واحدًا من أعلى المراجع في الإسلام السني) وإلى آيات الله كاشاني في إيران[٤٩]. بالإضافة إلى الأستاذ مصطفى مشهور (المرشد العام لجماعة الإخوان المسلمين، في مصر)، والشيخ قاضي حسين أحمد (أمير الجماعة الإسلامية في باكستان)، والشيخ مطيع رحمان نظامي (أمير الجماعة الإسلامية في بنجلاديش)، والشيخ أحمد ياسين (مؤسس حركة المقاومة الإسلامية حماس في فلسطين)، والشيخ راشد الغنوشي (زعيم حركة النهضة في تونس)، والشيخ فاضل نور (رئيس الحزب الإسلامي في ماليزيا)، وأربعين آخرين من العلماء والسياسيين المسلمين، والذين كانت أيضًا خطاباتهم التي تدين الإرهاب قوية ومؤثرة.

لقد شعر زعماء ورؤساء الحركات الإسلامية الموقعون هنا في هذا البيان بالصدمة من أحداث يوم الثلاثاء ١١ من سبتمبر من عام ٢٠٠١ في الولايات المتحدة، والتي أسفرت عن أعداد هائلة من القتلى، والدمار ، والاعتداء على أرواح بريئة. ونحن نعبر عن تعاطفنا الشديد وأسفنا لما حدث. ونندد بهذه الأحداث بكل ما أوتينا من قوة؛ حيث إنها ضد جميع المبادئ البشرية والإسلامية. وهذا مذكور في الشريعة الإسلامية التي تحرم جميع أشكال الإعتداءات على الأبرياء. ويقول الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الإسراء: ١٥][٥٠].

وعلاوة على ذلك في ٢٧ من سبتمبر ٢٠٠١ قام الشيخ يوسف القرضاوي (رئيس مجلس السنة والسيرة النبوية في قطر) والشيخ طه جابر العلواني (رئيس مجلس الفقه بأمريكا الشمالية) بإصدرا فتوى مشتركة وقع عليها الزعماء المسلمون الأمريكيون، وعلماء المسلمين على مستوى العالم؛ حيث أدانت الفتوى أعمال ابن لادن في ١١ من سبتمبر، ودعت المسلمين إلى الالتحاق بجيش الولايات المتحدة في أفغانستان. وأوضحت الفتوى أن واجب كل مسلم العمل على الإبلاغ عن أي شخص خطط، أو شارك، أو موَّل هذه

الأعمال وتسليمه للعدالة. وردًا على السؤال القائل: هل يمكن للمسلمين أن يحاربوا في الجيش الأمريكي ضد إخوانهم المسلمين في أفغانستان أو في أي مكان آخر، علمًا بأنه من الممكن أَنْ يُقْتَلَ مسلمون أبرياء في مثل هذه الحملات الضخمة، فقد أجازت الفتوى مشاركة المسلمين في حملة الولايات المتحدة ضد أفغانستان(٥١).

وظهر واحد من أوضح الاستنكارات للإرهاب العداء للغرب في جريدة أخبار العرب، إحدى الجرائد المهمة في السعودية، وذلك بعد فترة قصيرة من التفجيرات التي استهدفت الأمريكان في السعودية في مايو ٢٠٠٣:

"إن الكلمات لتعجز عن وصف مشاعر الصدمة، والاستهجان، والغضب من التفجيرات الانتحارية التي حدثت في الرياض. هل بدأ المهاجرون في تشكيل جيش الاحتلال هنا في السعودية ليتم قتلهم وترويعهم ليغادروا أم ماذا؟... نحن لا نستطيع أن نقول: إن التفجيرات الانتحارية في إسرائيل وروسيا مقبولة بينما هي ليست كذلك في السعودية. إن هذه المجموعة من الانتحاريين يجب أن يوقفوا عند حدهم، وكذلك الدعاية الحاقدة الانتقامية للكراهية؛ فلقد أنشأت أرضًا خصبة للجهل والعداء للنمو بيننا.

فهناك الكثير في سياسة الولايات المتحدة لندينه؛ وهناك أوجه عديدة من المجتمع الغربي التي تسيء إلينا والتي تدينها الحكومات العربية، ولكن معاداة الأمريكان ومعاداة الغرب لشخصهم يعتبر فظاظة وجهلا. فهذه التفجيرات خلقت الكراهية ويجب أن يتم إنهاؤها فورًا، وإلا فسيكون هناك المزيد من الوحشية"(٥٢).

واستمر العديد من المنظمات والزعماء المسلمين في الرد على الهجمات الإرهابية الكبرى. فمثلا بعد الهجمات الإرهابية في لندن عام ٢٠٠٥، وجلاسجو عام ٢٠٠٧، ومومباي عام ٢٠٠٨، أصدر العديد من القادة المسلمين والمنظمات العالمية بيانات يدينون فيها الإرهابيين وأعمالهم.

كما قام أكثر من خمسمائة من القادة والعلماء المسلمين البريطانيين بإصدار فتوى ردًا على التفجيرات في لندن يعبرون فيها عن خالص تعازيهم لعائلات الضحايا، ويتمنون الشفاء العاجل للجرحى، ويقرون أن الإسلام يدين الإرهاب والعنف والدمار لحياة الأبرياء، وأن تلك التفجيرات الانتحارية «محرمة قطعًا»(٥٣)، كما أدان أيضًا الشيخ طنطاوي شيخ الأزهر الهجمات على لندن قائلا: «إنها عمل إجرامي لا يحترم الإسلام أو

حتى يفهم رسالته عن حق». كما أكد الشيخ آيات الله محمد حسين فضل الله العالم الشيعي المعروف أن: «هذه الجرائم لا يقبلها أي دين، وأنها وحشية يرفضها الإسلام». وما أثار دهشة البعض أنه حتى حماس أوضحت على لسان نائب رئيس المكتب السياسي موسى أبو مرزوق الذي قال: «إن استهداف المدنيين أثناء ركوبهم المواصلات يعني رفض واستنكار الأرواح». كما شارك حزب الله في الإدانات في (الأسس الأخلاقية والدينية للإنسانية)[٥٤].

ومع ذلك فالرأي التقليدي القائل بأن المسلمين لم يدينوا الإرهاب مات بصعوبة. فحتى يومنا هذا مازال الأمريكيون يثيرون ذلك الاتهام على الرغم من العدد الهائل من العلماء المسلمين والمنظمات الإسلامية التي أدانت بشدة أحداث ١١ من سبتمبر والأعمال الإرهابية التي تلت ذلك (وأصدروا فتاوى بذلك) في بلدان مثل: السعودية، وماليزيا، والولايات المتحدة، والتي يمكن الوصول إليها بسهولة في الصحف الدولية وعلى شبكة الإنترنت[٥٥].

كما اشترك المسلمون المذهولون من أحداث ١١ من سبتمبر في أمريكا الشمالية وأوروبا في التعبير عن مخاوفهم من انتشار فوبيا الإسلام بين مجتمعاتهم، وجيرانهم وزملائهم في العمل بالإضافة إلى انتشار جرائم الكره والعنصرية، واضمحلال الحريات المدنية، وقد تحققت مخاوفهم بالفعل؛ حيث إن جميع المسلمين في الغرب أُجبروا على العيش في أجواء من التشكك والعداء في أوروبا وأمريكا، ومن ناحية أخرى فقد أجبرت هذه التجربة أيضًا المسلمين في الغرب أن يعيدوا تقييم هوياتهم والتدقيق في فهمهم للإسلام، وكان من ضمن النتائج الإيجابية لذلك مسارعة المسلمين لعقد المناقشات والمناظرات الداخلية والتساؤل فيما بينهم عن ماذا يعني كونهم مسلمين داخل أوروبا وأمريكا، والتواصل مع مجتمعاتهم من غير المسلمين، ووازدياد مشاركتهم في الانتخابات والشئون الاجتماعية.

أن تكون أمريكيًا أو أوروبيًا مسلمًا:

لقد أدرك المسلمون في أوروبا وأمريكا أن نجاحهم في أوطانهم الجديدة يتطلب الإصلاح وبناء المؤسسات. ففي كلٍّ من أمريكا وأوروبا، في العقود الأخيرة الماضية- كان هناك ازدياد ملحوظ في عدد المساجد، والمراكز الإسلامية، والمدارس، والمنظمات الاجتماعية، وجماعات الدعوة؛ وذلك لأن البحث عن أوطانهم السابقة أو الدول الغنية بالبترول مثل السعودية من أجل الدعم المادي والأئمة يمكن أن يؤدي إلى تقوية الفكر

الديني (الوهابي والسلفي) والتأثيرات السياسية التي يمكن أن تنجم عن ذلك، لذلك فهناك تركيز جديد على تطوير المراكز الدينية الموجودة لتدريب القادة والعلماء الدينيين المحليين.

وأنشأ المسلمون المؤسسات لتحسين معرفتهم بالإسلام في الغرب ولحماية حقوقهم. كما أن المنظمات التعليمية تراقب الكتب المدرسية وتعليم الإسلام للتأكد من الدقة والموضوعية. أما منظمات الشئون الاجتماعية فتراقب وتعلم وسائل الإعلام، والمشرعين، وعامة الناس. ومن جهة أخرى تقوم خدمات الاستعلامات الإسلامية بتوزيع المنشورات، والأفلام والتسجيلات المصورة عن الإسلام والمسلمين. وأُنشئت المدارس الإسلامية (الابتدائية والثانوية) في العديد من المجتمعات، وتم وضع الوسائل التعليمية والمناهج الدراسية لكل من الأطفال والبالغين في المساجد والمدارس.

وسمحت الحرية في الغرب للقادة والمثقفين المسلمين أن ترتفع أصواتهم منادية بالتغيير الديني والاجتماعي والسياسي؛ حيث تركزت كتاباتهم وخطبهم على إعادة التفسير والإصلاح مع المحافظة على دور وحقوق المرأة، والمساواة الدينية، والتسامح، والبعد عن التطرف الديني، وكيف يمكن أن تكون أمريكيًا وأوروبيًا مسلمًا والمحافظة على الحقوق المدنية للمسلمين والحريات. وكما أشارت إنجريد ماتسون، حينما لا يستطيع العلماء تقديم الحلول لجميع التحديات يمكنهم على الأقل «أن يقدموا الدعم لأصحاب المهن عن طريق عرض تقييمات واقعية للتاريخ الإسلامي، مشيرين إلى النقائص وفي الوقت نفسه إلى الانتصارات، وذلك لحماية شبابنا من الانقياد وراء بعض الشخصيات المؤثرة التي يمكن أن تقودهم إلى الدمار»(٥٦).

فاليوم يقوم كل من العلماء الأوروبيين والأمريكيين المسلمين بصياغة آراء قانونية جديدة لإرشاد المجتمع المسلم مسترشدين بالخبراء الإسلاميين القانونيين حول العالم. وتتراوح فتاواهم بدءًا من الأمور المتعلقة بالصلاة والصيام إلى القرارات حول الزواج والطلاق، وإلى الأبحاث المتعلقة بتجدد الخلايا. كما يعرفون المجتمع بالمعاملات المالية الإسلامية وكيفية الإدلاء بأصواتهم في مجتمع غير مسلم لصالح مرشحين غير مسلمين، بالإضافة إلى إرشاد المسلمين حول القضايا المهمة مثل الديمقراطية، والمساواة والتسامح.

وبالرغم من قطع شوط كبير في هذا المجال يظل عدد وموارد وتأثير تلك المشروعات ضئيلا. كما يظل السؤال قائمًا عما إذا كانت المجتمعات الإسلامية في أوروبا

وأمريكا قادرة على تقديم الموارد المالية والبشرية اللازمة لبناء مجتمع قوي قادر على الاعتماد على نفسه في القرن الواحد والعشرين- أم لا.

فالمسلمون يواجهون تحديات أكبر من مجرد إيجاد موارد لبناء مجتمعاتهم. فالبعض من غير المسلمين في الغرب يرحبون باندماج المسلمين وبناء المؤسسات الإسلامية في المجتمع، بينما آخرون لا يفعلون ذلك. وذلك كما رأينا في الاقتباسات السابقة التي جاءت على لسان وزراء اليمين المسيحي أثناء رئاسة جورج بوش أوقلق أوباما من أن تشتبه الأحزاب السياسية المعادية للمهاجرين، وأساتذة الجامعة من اليهود في كونه مسلمًا. فالمنظمات الإسلامية والمسلمون يحصلون على أكثر من نصيبهم في النقد والاتهامات الباطلة. وتصل الاتهامات إلى مستوى أعلى على الصعيد السياسي بالنسبة للمؤسسات الإسلامية العامة وجماعات العمل السياسي، وهي أنهم يعلمون كواجهات للمتشددين الذين يدعمون الأنشطة المتطرفة في الخارج. وكلما رغب المهنيون من المسلمين في الالتحاق بمجالس الإدارة أو المشاركة في الأعمال السياسية، أو التقدم لمناصب وظيفية -يتم اعتبارهم متطرفين أو إرهابيين. وتشجع نهاد عواد المديرة التنفيذية لمجلس العلاقات الأمريكية الإسلامية (كير)- المسلمين لمواجهة «صناعة الخوف المعادية للمسلمين» عن طريق رفض «دعاة الكراهية بنفس الإصرار الذي جعل النساء الأمريكيات يفزن بحقهن في التصويت، وتحدوا الشيوعية وأنهوا التفرقة العنصرية»[٥٧].

والسؤال هنا: هل تلك المجموعة من وجهات النظر السلبية عن الإسلام تمثل آراءً مطلعة على أحدث المعلومات؟ وهل أصبح المثقفون يمثلون معظم الأمريكيين؟ فإنه على الرغم من قلق الأمريكيين بعد أحداث ١١ من سبتمبر وحقيقة أن المسلمين جزء لا يتجزء من المجتمع الأمريكي فقد اعترف ما يقارب من ثلثي الأمريكيين أنهم لا يعرفون حتى المفاهيم الأساسية عن الإسلام. وقد استمر هذا النقص في الفهم ومازال مستمرًا. والتغييرات التي حدثت منذ عام ٢٠٠٢ وحتى عام ٢٠٠٧ كانت ضئيلة للغاية حول العدد الكبير من الأمريكيين الذين لا يعرفون شيئًا على الإطلاق عن الإسلام؛ وكانت نسبتهم (٢٤٪) أو الذين يعرفون القليل فقط عن الإسلام، حيث كانت نسبتهم (٤١٪). ومن عام ٢٠٠٧ إلى عام ٢٠٠٩ حدث انخفاض طفيف في هذه النسبة؛ فبعد أن كان المجموع ٦٥٪ انخفض إلى ٥٩٪ والذي يعد رقمًا مدهشًا. وبالمثل انخفض عدد الأمريكيين الذين قالوا: إن لديهم رأيًا سلبيًا عن الإسلام من ٥٩٪ في عام ٢٠٠٧ إلى ٥٤٪ عام ٢٠٠٩[٥٨].

فسمات الجانب المظلم «لسلبية المسلمين» في البلدان الإسلامية كثيرة ومتعددة. فالدعاة المسلمون مثل أقرانهم من المسيحيين من أمثال جون هيجي، وورود بارسلي، وبات روبرتسون يلقون الخطب المتعصبة القائمة على وجهات النظر الدينية التي تنحصر في قولهم: «أنا على صواب، وأنتم على خطأ، أنا سأذهب إلى الجنة، وأنتم ذاهبون إلى الجحيم». وهذا الوصف نفسه الذي وصفه طالب مسلم ذات مرة لهذه العقليات المتصلبة، المسرفة في المحافظة، التي تعتبر الصلاح متمثلا فيها فقط كأنها رسالة قائلة: «لا يا إسلام»: لا تفعل هذا، ولا تفعل ذاك، هذا حرام وسيدخلك النار. لأن أولئك الذين لا يعرفون المسلمين جيدًا دائمًا ما يتنازعهم نوعان من التفكير حين يفكرون بالمسلمين «الغرباء»، الأول: شعور بالتفوق، والثاني: شعور بالخوف من هؤلاء المسلمين. ولكن من ناحية أخرى، كما أوضحت العديد من الاستفتاءات، أن الأمريكيين المطلعين بشكل أفضل على الدين الإسلامي والمسلمين غالبًا ما تكون لديهم آراء إيجابية عنهم.

ففي القرن الواحد والعشرين ترك الغرب رؤية جيرانهم من المسلمين على أنهم دخلاء أو مرعبين «آخرين»، ولم يعد ذلك حاجزًا بعد الآن نظرًا للحضور المؤثر للمسلمين في أوروبا وأمريكا، كما تتنبأ الإحصاءات السكانية بإمكانية أن يصبح الإسلام ثاني أكبر ديانة في أمريكا.

ما هي معتقدات المسلمين؟ ولماذا يعتبر معرفة ذلك مهمًا؟:

في ١٦ من يناير عام ٢٠٠٥ كان العنوان الرئيسي لجريدة النيويورك تايمز الصادرة ليوم الأحد كالآتي: «قائمة كتب للقراءة لتأدية الخدمة في العراق» كما وضعها الفريق جون آر فينز القائد الأمريكي للقوات في العراق، والذي حدد هذه الكتب لكبار الأعضاء العاملين معه لقراءتها. وكان خمسة كتب ضمن الثمانية التي أوصى بقراءتها- تتناول جوانب مختلفة عن الإسلام. وتضمنت القائمة كتابين قمت بكتابتهما بعد أحداث ١١ من سبتمبر، وهما: «ما يجب على الجميع معرفته حول الإسلام، أسئلة وإجابات عن الإسلام» و«الحرب غير المقدسة: إرهاب باسم الإسلام» دراسة لنشأة وتطور تأثير أسامة ابن لادن وانتشار الإرهاب العالمي. وكلا الكتابين قمت بكتابتهما ردًا على الفيض غير المتناهي من الأسئلة حول الموضوعات الساخنة التي لا يبدو أنه يتم توضيحها أبدًا.

فأنا عادة ما أقول: إن لدي أفضل وأسهل وظيفة في العالم؛ لأنه وبعد ثلاثين عامًا من العمل في هذا المجال وتزايد الاهتمام والحديث عن الإسلام والعالم الإسلامي، وذلك

منذ الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩، وكذلك بعد أحداث ١١ من سبتمبر- مازال الناس يسألون الأسئلة نفسها، مثل: هل الإسلام دين عنف؟ وماذا قال القرآن عن الإرهاب؟ وهل الإسلام يتفق مع التطور والديمقراطية؟ فالوكالات الحكومية في أوروبا وأمريكا (وزارتا الدفاع والخارجية، والبنتاجون، والمخابرات المركزية الأمريكية، ووكالة الأمن القومي، ومكتب التحقيقات الفيدرالي)، والمؤسسات السياسية، ومجالس الشئون الدولية، ووسائل الإعلام- لا يسألون فقط عن «الإسلام السياسي»، والتطرف الديني، والإرهاب، ولكن يسألون أيضًا عن الدين الإسلامي نفسه. لماذا؟ لأنه وفي القرن الواحد والعشرين- سواء شئت أم أبيت- يقودنا السؤال عن تأثير الدين والثقافة حتمًا إلى النقاش حول المجتمعات الناشئة، والسياسة، والإرهاب والعنف، وجميع الشئون العالمية الأخرى.

فبالنسبة للعديد من المسلمين، الإسلام هو المسار الروحي الذي يعطي هدفًا ومعنًى للحياة، وهو عبادة الله الغفور الرحيم والعادل، وهو الإله الذي يمنحنا السلام والعدالة الاجتماعية. ومع ذلك وعلى الرغم من أن ٦٥٪ من الأمريكيين يدركون أهمية الدين في حياتهم، فالأمريكيون المسلمون على وجه الخصوص وبنسبة كبيرة ٨٠٪ يشهدون بأهمية الإيمان. فمن بين الجماعات الدينية التي استطاعت الصمود في أمريكا كان المورمون الأمريكيون بنسبة ٨٥٪ وهي أعلى قليلا من نسبة المسلمين التي كانت ٨٠٪ الذين قال: وا إن الدين يلعب دورًا مهمًا في حياتهم، بينما وصلت نسبة الأمريكيين اليهود إلى ٣٩٪ وهي تعد أقل نسبة(٥٩). ومن المدهش أنه من ضمن المجموعات الدينية التي تمت معاينتها كانت النساء- طبقًا للإحصاءات- أكثر ميلا من الرجال للقول بأن الدين هو جزء مهم من حياتهم، ولكن هذا ليس صحيحًا بالنسبة للأمريكيين المسلمين الذين تتساوى نسبة كل من الرجال والنساء لديهم للقول بأهمية الدين في حياتهم.

وعلى المستوى العالمي يُرى الإسلام على أنه مصدر رئيسي للهداية، والسلوان، والأمل وسمة من سمات المجتمع الإسلامي في العالم. وهذه ليست مجرد عبارة دينية أو ملحوظة أكاديمية؛ فهذا ما يؤكده وبشدة غالبية المسلمين حول العالم. فعلى سبيل المثال في استفتاء جالوب في عام ٢٠٠١ وعامي ٢٠٠٥ و٢٠٠٧ كان أغلب الذين أجري عليهم الاستفتاء في البلدان التي يقطنها أعداد كبيرة من المسلمين يقرون: إن الدين يشكل جزءًا لا يتجزأ من حياتهم اليومية، وكانت نسبتهم تتراوح بين ٩٠٪ وأكثر أو أقل؛ حيث كانت نسبتهم في مصر ١٠٠٪، وفي أندونسيا وبنجلاديش ٩٩٪ أما في المغرب فكانت ٩٨٪.

كما اعتبرت نسبة كبيرة من المسلمين «وجود حياة دينية/روحية» كجانب من جوانب الحياة- شيئًا ضروريًا لا يستطيع المرء الاستغناء عنه. والأكثر من ذلك أنهم حين سُئلوا عن أكثر ما يعجبهم في العالم الإسلامي- كان أول ما أجابوا به في العديد من المجتمعات الإسلامية مثل تركيا، والسعودية، وإندونيسيا هو: «تمسك المسلمين الشديد بالإسلام». وبالمثل رد العديد من المسلمين الأوروبين بالإيجاب حين سُئلوا: هل يعد الدين جزءًا مهمًا من حياتهم اليومية أم لا؟ فقد أجاب نسبة ٨٢٪ في ألمانيا بالإيجاب، وفي بريطانيا كانت نسبتهم ٧٠٪ أما في فرنسا فوصلت نسبتهم إلى ٦٩٪ فقط(٦٠).

ولذلك لمحاولة فهم مصدر هذا التأثير في العالم، علينا أن نعطي أكبر قدر من اهتمامنا لعقيدة الغالبية من المسلمين كما نفعل مع الأقلية الإرهابية.

من هم أبناء إبراهيم؟:

أنا مثلي مثل الكثيرين من جيلي نشأت في «أمريكا المسيحية»، أو هذا ما كنت أعتقده وتعلمته. وكانت المساواة الدينية تعني المساواة بين الكاثوليك والبروتستانت والقليل من اليهود المهمشين. وكان الدين يتم تعليمه في مدارس وجامعات مختصة بذلك، فالكاثوليكية تعلم في الجامعات الكاثوليكية، والبروتسانتية في الجامعات والكليات البروتستانتية، واليهودية في المعاهد اليهودية. وبعد الحرب العالمية الثانية أصبح الارتباط بين المسيحية واليهودية ملحوظًا بعد تكون المجتمع المسيحي اليهودي الجديد الذي قال: إنه بالرغم من الاختلافات الملحوظة بينهما وتاريخ اليهود من الاعتداءات، يشترك كل من المسيحيين واليهود في الاعتقاد بوجود إله واحد، وأنه أرسل الأنبياء، وأوحى إليهم، وذلك كما جاء في (العهد القديم، أو التوراة اليهودية). ولكن أين كان الإسلام في ذلك الوقت؟ الدين الآخر الذي يدعو إلى التوحيد الذي بدأ في الشرق الأوسط ويعترف بوجود نفس الإله الذي يعترف به المسيحيون واليهود وأنه أرسل الأنبياء وأوحى إلى موسى وعيسى؟

الوحدة والتنوع- إله واحد ورسالات متعددة:

على مر السنين وخاصة حين قررت أن أدرس الإسلام، سألني الكثيرون: «لماذا؟ لماذا تدرس الإسلام الآن بعد أن قضيت سنوات عديدة في دير للرهبان الكبوشيين، وبعد أن حصلت عن شهادة جامعية ومنصبًا لتدريس الدين الكاثوليكي في الجامعة؟». أعتقد أن إجابة هذا السؤال تستلزم مساحة أكبر مما هو مسموح به هنا، ولكن باختصار لقد

ذهبت إلى جامعة تيمبل لأحصل على درجة الدكتوراة في الدين وتخصصت في الدراسات الكاثولكية. ولكن حين انتقلت للتركيز على الهندوسية والبوذية كنت أشعر بدافع يحثني بشدة على الالتحاق بدورة تدريبية عن الإسلام مع الأستاذ المسلم إسماعيل الفاروقي. ولدهشتي الشديدة اكتشفت أن الإسلام يماثل المسيحية واليهودية بشدة. ففي الوقت الذي ارتبطت فيه المسيحية باليهودية بما نسميه الاتجاه المسيحي اليهودي، وكان الإسلام ضمن مجموعة الأديان الأخرى مثل الهندوسية والبوذية، أدركت فجأة أنه على الرغم من الاختلاف الواضح بين الأديان الثلاثة فهناك ثقافة إسلامية- مسيحية- يهودية.

فالمسلمون يشاركون اليهود والمسيحيين في وجود إله واحد وأنه أرسل أنبياءه وأوحى إليهم، كما يتشاركون في المسئولية الأخلاقية، وبتقديرهم للسلام والعدالة الاجتماعية. فجميع الأديان الثلاثة يعتقدون أن لديهم عهودًا ومواثيق مع الله، وأنهم خلفاء الله في الأرض، ومأمورون بطاعة أوامره بالحفاظ على العالم وحمايته وتطويره من أجل الأجيال المستقبلية. فالأديان الثلاثة يعتبرون أنفسهم أديانًا تدعو للسلام.

فلماذا يؤكد المسلمون أن الإسلام هو دين سلام؟ فكلمة «إسلام» نفسها تعني «السلام والاستسلام لله». وهي الكلمة نفسها التي يستخدمها اليهود للتحية: شالوم والتي تعني (سلام)، أما المسيحيون فيحيي بعضهم بعضًا بإشارة تعني السلام، والمسلمون يقولون: السلام عليكم كلما قابلوا أحدًا أو ودعوه.

ويشعر المسلمون بالاستغراب والإحباط كلما سمعوا المسيحيين أو اليهود يشيرون إلى الله على أنه اسم خاص بإله مختلف تمامًا عن إلاههم! وذلك لأن كلمة الله هي الكلمة العربية لكلمة «إله» يستخدمها كل من يتحدثون العربية حتى المسيحيون العرب يشيرون إلى الإله بكلمة الله. والمسلمون يعتقدون أن إلههم هو إله كل الناس الواحد الأحد، الخالق، الرازق، مالك الكون الذي أرسل رسالاته لكل من اليهود، والمسيحين، والمسلمين على حد سواء.

فلقد نشأ المسلمون على إنساب الرحمة والعطف لله ولدينهم. وقراءة القرآن والصلاة تزيد من اعتقادهم في وجود هذه الصفات. فكل سورة من سور القرآن تبدأ بكلمة «بسم الله الرحمن الرحيم». ويبدأ المسلمون بهذه العبارة قبل أي حديث، وقبل تناول الطعام، أو تشغيل السيارة، وهي تكتب في بداية الخطابات والوثائق القانونية لديهم.

الاتجاه الإسلامي - المسيحي - اليهودي:

بالنسبة للمسلمين لا يعتبر الإسلام دينًا جديدًا برسالة جديدة. فهم ليسوا مثل المسيحيين الذين يعتقدون أن المسيحية جاءت لتحل محل اليهودية، فالمسلمون يعتقدون أن الله أرسل رسالته للمرة الأخيرة للنبي محمد ليدعو البشرية التي ضلت طريقها عن رسالة المسيحية واليهودية.

وبعيدًا عن الموافقة على أن دين المسلمين هو آخر الأديان التي تدعو إلى الوحدانية، يرى المسلمون أن القرآن هو الرسالة الأخيرة من الله الذي هو رب كل من موسى وعيسى ومحمد. كما يؤكد القرآن الرسائل السابقة التي أرسلها إلى موسى وعيسى حيث جاء فيه:

﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [المائدة].

وجاء مرة أخرى في القرآن:

﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشورى:١٣].

فالمسلمون يعتبرون أنفسهم أبناء إبراهيم، الذي هو واليهود والنصارى من («أهل الكتاب» الذين أرسل الله إليهم رسالاته) ويمثلون جميعهم فروعًا مختلفة لدين واحد. فالقرآن توراة اليهود أو العهد القديم يخبران قصة إبراهيم وزوجته سارة وخادمته المصرية هاجر؛ حيث يعتبر المسيحيون واليهود أنفسهم من نسل إسحاق بن إبراهيم وسارة، أما المسلمون فينتهي أثرهم إلى إسماعيل الابن الأول لإبراهيم وهاجر.

والأسماء الإسلامية الشائعة مثل إبراهيم المعروف عندنا باسم (إبراهام)، وموسى، وداود أو (دافيد)، وسليمان (سولومون)، وعيسى (المسيح)، ومريم أو (ماري) تعتبر دليلا على أهمية الشخصيات المذكورة في الإنجيل بالنسبة للمسلمين. فالمسيحيون غالبًا ما يدهشون حين يعرفون أن المسيح مذكور في القرآن أكثر مما ذكر النبي محمد نفسه، وأن السيدة مريم مذكورة في القرآن أكثر من عدد المرات التي ذكرت فيها في إنجيل العهد الجديد. فكل من المسيح والسيدة مريم ليس لهما دور مهم فقط في القرآن ولكن أيضًا في

معتقدات المسلمين الدينية. ففي الحقيقة، علق أحد زملائي المسلمين الذي كان غاضبًا بشدة حين رأى الرسومات الكاريكاتورية الدنماركية التي تصور النبي محمدًا كإرهابي قائلا: «من المضحك أننا لا نستطيع أن نرد لهم ما فعلوه لنا لأن أنبياء اليهود والمسيحيين هم أنبياؤنا أيضًا ونحن نحبهم ونحترمهم!».

كما يتعلم الأطفال المسلمون الكثير من القصص الدينية عن آدم وحواء، وسفينة نوح، والوصايا العشر، وداود وسليمان، وعيسى ومريم، مثلهم في ذلك مثل الأطفال المسيحيين الذين يتعلمون أيضًا القصص نفسها ولكن أحيانًا بروايات مختلفة عن تلك التي يتعلمها المسيحيون. فمثلا، حواء لم تُذكر في القرآن كامرأة غاوية غوت آدم فأخرجته من الجنة، ولكن آدم وحواء كلاهما عصى الله، وكلاهما يتحمل مسئولية عصيانه، كما لم تكن نتيجة عصيانهما «الخطيئة الأولى» التي سترثها الأجيال القادمة من بعدهم، كما ورد في مثال آخر في القرآن في [سورة الصافات: الآيات من ٩٩:١١٣] أن الله اختار إسماعيل الابن الأول لإبراهيم بدلًا من إسحاق ليطلب الله من إبراهيم أن يفتديه وورد هذا أيضًا في [سفر التكوين: ١-٢].

وانتسابك إلى الإسلام يعطيك هوية مجتمعية ومسئولية خاصة. فالمسلمون من جميع الأجناس والأعراق- والثقافات- هم جزء من مجتمع عالمي متعدد الجنسيات يضم كافة المؤمنين جميعًا في كلمة واحدة هي «الأمة الإسلامية» تلك الأمة المسئولة عن إقامة العدل في الأرض. لذا فالسؤال الحاسم الذي يسأله المسلمون كما يسأله أصحاب أي ديانة أخرى هو: «كيف أعرف الطريق إلى الله؟ وكيف أتبعه؟ وماذا يريدني الله أن أفعل؟». إن الكلمة التي ذكرها القرآن «الطريق المستقيم» أسفرت عن نشأة الشريعة الإسلامية، وهي ذلك (الطريق) أو القوانين الإسلامية.

الشريعة الإسلامية: المرشد الأخلاقي أم مصدر للكبت؟

القوانين الإسلامية أو (الشريعة) عادة تصور على أنها نظام قانوني من العصور الوسطى يستخدمه المتدينون المتعصبون لقمع النساء وإنكار حقوق الإنسان سواء أكانوا مسلمين أم غير ذلك، وهناك أسباب مقنعة لهذا التصور، فالقانون الإسلامي في بلاد مثل السعودية، وإيران، والسودان، ودولة طالبان في أفغانستان يتم استخدامه للحد من

حقوق النساء، وإصدار الأوامر لرجم النساء اللاتي يرتكبن الزنا، وقطع أيدي السارقين، واتهام أي مسلم يرغب في اعتناق أي دين آخر بالارتداد.

ولكن لماذا يعتبر العديد من المسلمين الشريعة جزءًا جوهريًا من عقيدتهم إلى أقصى الحدود؟ كما أننا إذا تمعنا أكثر في هذا الأمر سيتبين لنا أن الشريعة لها أكثر من معنى. فلقرون عديدة أثبتت الشريعة أنها يمكن أن تعمل كمصدر إيجابي للإرشاد في العديد من دول العالم الإسلامي، وكقانون ذي قيم ومبادئ تشكل مصدرًا لتوجيه الأفراد والمجتمعات. وينعكس هذا بوضوح في الاستفتاء العالمي الذي أجراه مركز جالوب عامي ٢٠٠٦ و٢٠٠٧، والذي وجد أن غالبية عظمى من المسلمين نساءً ورجالًا في العديد من البلدان الإسلامية ما بين مصر إلى ماليزيا- ترغب أن تكون الشريعة هي المصدر الرئيسي للقانون.

وتدور المناقشات بشأن هذا الموضوع في بلاد مثل العراق وأفغانستان حول تشكيل دستور جديد تكون الشريعة فيه مصدرًا للقانون. فالخوف من الشريعة على أنها مصدر للتشدد، والعقاب، والقمع- كان مترسخًا في أذهان حكومة بوش وبعض العلمانيين من العراقيين الذين كانوا يعارضون وجودها بشدة. فالسفير بول بريمر في عام ٢٠٠٤ عارض بشدة وجود أي دور للشريعة في الدستور المؤقت في العراق حيث يرى الشريعة على أنها مرادف لتحكم الدين في الحكم، وقمع النساء، وإلغاء حقوق الإنسان. وصرح قائلا: «إن موقفنا واضح، لا يمكن لأي قانون أن يصبح قانونًا إلا إذا صدقت عليه أنا»[٦١] أما دونالد رامسفيلد، وزير الدفاع فقد خلط بين فكرة إدخال الشريعة في الدستور العراقي والحكم الديني للدولة؛ حيث حذر قائلا: «إن الولايات المتحدة لن تسمح بأن تصبح العراق دولة يحكمها الدين مثل إيران»[٦٢].

ويسهل علينا فهم هذه الرغبة للتقيد بالشريعة إذا علمنا أنه في مناطق كثيرة حول العالم يشترك العديد من المسلمين مثلهم مثل المسيحيين المحافظين (الكاثوليك والبروتستانت)، في الخوف من أن تؤثر العلمانية الحديثة على الدين والقيم العائلية. فهم يرون العلمانية مفسدة لأخلاقيات الأفراد والمجتمع، ومضعفة لمؤسسة الزواج، وتؤدي إلى انتشار الطلاق، والاختلاط، والاختلال العائلي، وإدمان الكحول والمخدرات. وليس

علينا أن نذهب بعيدًا عن وطننا؛ حيث إن هناك أمريكيين تتشابه اتجاهاتهم مع المسلمين حين يتعلق الأمر بدور الدين في القانون والمجتمع. فالعديد من الأمريكيين يرغبون أن يكون الإنجيل هو مصدر التشريع في البلاد: فترى نسبة ٤٤٪ من الأمريكيين أن الإنجيل ينبغي أن يكون «أحد» المصادر للتشريع، أما ٩٪ فيرون أنه يجب أن يكون المصدر «الوحيد» للتشريع. والأكثر من ذلك أن نسبة ٤٢٪ من الأمريكيين يرغبون أن يكون لرجال الدين دور في وضع وكتابة الدستور[٦٣]. وبالمثل يرغب العديد من المسلمين في مزج الديمقراطية بالشريعة، وألّا تعتمد الديمقراطية تمامًا على القيم الغربية.

فالقانون الإسلامي يقدم مخزونًا من المبادئ والقيم التي جعلت لتجيب عن هذا السؤال: «ماذا يجب على المسلم الجيد أن يفعل؟» مثل رجال اللاهوت المسيحيين والأحبار اليهود، فالعلماء المسلمون هم المفسرون والمعلمون والحافظون للدين الإسلامي، وهم الذين كرسوا حياتهم للدراسة والمناقشة وتطوير الأوامر الإلهية للمجتمعات الإسلامية. فالشريعة الإسلامية مهمة بشكل خاص بالنسبة للمسلمين مثلما القوانين اليهودية مهمة لليهود؛ لأن الإسلام مثله مثل الديانة اليهودية، وعلى عكس الديانة المسيحية، ليس لديه سلطة مركزية دينية مثل «الكنيسة»، أو شخص كالبابا ليقرر ماذا يعتقد الناس أو ماذا يفعلون. وسبب آخر هو أن اليهودية والإسلام يميلان إلى الارتكاز على الشرائع والقوانين بينما تعتمد المسيحية على التعاليم والمعتقدات.

فالقانون الإسلامي تم تطويره ليعمل كمخطط متكامل لمجتمع إسلامي نموذجي. فهو يحدد الواجبات الدينية التي يجب على المسلم أن يؤديها تجاه الله مثل الصلاة، والصيام، والزكاة، والالتزامات الدينية، بالإضافة إلى المعاملات الاجتماعية الأخرى مثل الزواج، والطلاق، والميراث، وعقود العمل، والقضايا السياسية بما في ذلك حالات الحرب والسلم.

وأركان الإسلام الخمسة تمثل المرشد الأخلاقي للمسلم، وهي تعد المتطلبات الأساسية التي يجب على المسلمين مراعاتها سواء أكانوا سنة أم شيعة. وبالرغم من كل الاختلافات العرقية والثقافية والقومية بين المسلمين فتلك الأركان تقدم وحدة أساسية وجوهرًا للإيمان والتطبيق وأساسًا قويًا من أجل الفهم المشترك لليهود والمسيحيين والمسلمين.

ثلاثة ليسوا إلهًا ولكن (الله) واحد إعلان الإيمان:

نحن الكاثوليك علينا أن نكافح كطفل لنتذكر أسس عقيدة نيسين، ولكن ما أدهشني كثيرًا أن أعرف أنه لكي تصبح مسلمًا ليس عليك سوى الإقرار بالعبارة التالية: أشهد ألَّا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله. فهذه العبارة تسمى «الشهادتين» وهي العبارة الأساسية في عقيدة المسلمين. وهي تتكرر مرات عديدة كل يوم في الأذان للصلاة، وتمثل الشهادتان اثنين من أهم العوامل الأساسية للإسلام: الأول: التوحيد المطلق والإيمان بالله الواحد فقط، وأنه لا معبود سوى الله، وليس الجاه والمال أو الطموح أو النفس، وإذا قدس المسلم أي شيء أو أي شخص سوى الله فإنه يعتبر مشركًا، وهو الذنب الذي لا يغتفر عند الله. فالاعتقاد الذي لا يتسامح فيه الإسلام هو الوحدانية أو التوحيد لله، وينعكس ذلك في الفن الإسلامي وخاصة في العالم العربي. فإشراك أي شيء مع الله يعتبر وثنية. ولتجنب هذا لا يجب تصوير الأشكال البشرية، فمثلا يميل الفن الإسلامي إلى استخدام الخط، والأشكال الهندسية، والتصميم الزخرفي أو الأرابيسك، والذي غالبًا ما يكون تجريديًّا أكثر منه تمثيليًّا.

أما العامل الأساسي الثاني في الإسلام فيتركز على أهمية الإيمان بالنبي محمد وبأنه خاتم الأنبياء والمرسلين من الله، وهو القدوة لأي مسلم في حياته. ومحمد صلى الله عليه وسلم يعد من أعظم الشخصيات على مر التاريخ. فلقد كان من القليلين الذين كان لهم تأثير ديني وسياسي كبير على المستوى العالمي، ومع ذلك كان من أكثر الأنبياء الذين تم التشهير بهم وتشويه سمعتهم. فالعبارات المتعصبة والباطلة (غير المسيحية بالطبع) التي يقولها بعض قادة اليمين المسيحي ليست شيئًا جديدًا. فهي جزء من موروثات منذ مئات السنين، كان خلالها المسيحيون مهددين بانتشار دين الإسلام واتساعه سياسيًّا، ويرفضون الاعتراف بنبوة محمد، ودعوه بالدجال، والفاسق، والمغتصب، والسكير، كما أسموه بالمرتد عن الكاثوليكية الأصلية، وتم تصويره على أنه المسيح الدجال، أو كما قال مارتن لوثر على وجه التحديد: «ابن الشيطان». فالنقاد في السابق وحاليًا يقارنون بين محمد «النبي المحارب» وبين المسيح «أمير السلام». وهم في عجلتهم لإصدار الأحكام يتجاهلون بقصر نظرهم الأنبياء الموجودين في تقاليدهم نفسها والذين كانت لهم أدوار مماثلة، أي: كانوا أنبياء محاربين من الإنجيل مثل: داود، وشاول، وسليمان (ويعتبرون جزءًا من كل من الديانتين: المسيحية واليهودية) بالإضافة إلى العديد من القساوسة

والأباطرة المسيحيين الذين استخدموا أو أحلوا الحروب العسكرية بل وربما الحروب الصليبية، باسم الله.

فهذا الحط من قدر محمد من قبل البعض يشكل تناقضًا شديدًا بالنسبة للإجلال الذي يبديه ملايين المسلمين لورع ونزاهة وقيادة النبي محمد على مر التاريخ. فمحمد مثل عيسى بالنسبة للمسيحيين يعد النموذج الأول الذي يقتدي به المسلمون، ولكن على عكس عيسى، فالمسلمون يؤمنون بأنه بشر فقط، وليس إلهًا. وأن حياته كزوج، وأب وصديق مثالي تقدم الإرشاد للمسلمين في حياتهم، وهو أيضًا القائد السياسي والعسكري النموذجي، كما أنه الدبلوماسي والقاضي أيضًا. وهناك مجلدات ضخمة من الروايات القصصية تسمى «الحديث» التي تروي أقوال وأفعال النبي محمد: كيف كان يعامل أصدقاءه وأعداءه، وكيف كان يتصرف مع رؤساء الدول ومع الخدم، وكيف عامل زوجته وأبناءه، وكيف كان يقود المعارك بنفسه.

فالنبي محمد أثناء حياته، وحتى اليوم كان يُرى على أنه «قرآن حي» على مر التاريخ الإسلامي، وتجسيد لأوامر الله في سلوكه وأقواله. والمسلمون السنيون (الذين يمثلون ٨٥٪ من مسلمي العالم) أخذوا اسمهم من كلمة السنة، والتي تعني الاقتداء بالنبي محمد. فتبجيل المسلمين للنبي محمد يفسر لماذا يطلق الكثير من المسلمين على أنفسهم اسم محمد أو أسماء مشتقة من ذلك الاسم مثل (أحمد، محمود، وأمين).

ومعرفة الدور المهم الذي يلعبه النبي محمد ومكانته يساعدنا على إدراك الاستياء المنتشر، والشعور بالذل والغضب من عامة المسلمين، وليس فقط المسلمين المتشددين بسبب التشويه لسمعة النبي محمد والدين الإسلامي.

الصلاة:

إن تأدية الصلاة أو العبادة في أوقات محددة من اليوم يوجد في العديد من الأديان. ففي اليهودية القديمة كانت الصلوات والقرابين تقدم في ساعات معينة من النهار والليل؛ حيث ورد في المزامير اليهودية [١١٩:١٦٤]: «سبع مرات في النهار سبحتك، على أحكام عدلِك». وقام المسيحيون بتطوير الساعات المقدسة والصلوات الإلهية. فقرع الأجراس لا يدعو فقط الكاثوليكيين لحضور القداس، ولكن أيضًا يشير إلى تلاوة صلوات الساعات، والتي كانت تُتلى أو يُترنم بها سبع أو ثماني مرات ثابتة في اليوم والليلة.

ويؤدي المسلمون الصلاة خمس مرات في اليوم: قبل شروق الشمس، وفي الظهيرة،

ومنتصف الظهيرة، وعند غروب الشمس، وفي الليل. ومثل العديد من زوار البلدان الإسلامية، عندما عشت في الشرق الأوسط للمرة الأولى أصبت بالدهشة من الامتثال الجماعي والفردي لأوقات الصلاة. فكنت أنظر من نافذة منزلي في القرية اللبنانية التي كنت أعيش فيها لأرى فلاحًا ساجدًا في الحقل، أو ألمح من نافذة سيارتي السائقين يوقفون سياراتهم وشاحناتهم على جانب الطريق لتلبية نداء الصلاة. وهذا التذكير بالصلاة يصدح به المؤذنون على المآذن ويتردد عبر المدن والقرى: «الله أكبر الله أكبر... أشهد ألا إله إلا الله... أشهد أن محمدًا رسول الله... حي على الصلاة».

ومؤخرًا، تعود ذكرياتي عن أوقات الصلاة في زمننا هذا عندما كان يوصلني بعض المسلمين الشباب إلى قاعة المحاضرات في إنجلترا وتوقفوا عند مكدونالدز ليبحثوا عن مكان هادئ لتأدية الصلاة فيه، أو عندما يترك المسافرون في مطار هيثرو في لندن أو مطار واشنطن دالاس- حديثهم معنا ليذهبوا إلى غرفة الصلاة بالمطار، أو يعتذروا ليبحثوا عن مكان يصلون فيه في خفاء في ركن هادئ من المطار. أما اليوم فغالبًا ما يعتمد المسلمون على منبهات تذكرهم بأوقات الصلاة، والتي تنشر تقريبًا في جميع الصحف الإسلامية أو على شبكة الإنترنت. كما يقومون بضبط ساعات اليد لتدق عند أوقات الصلاة، وكان اليابانيون أول من استحوذ على السوق بالأفكار الجديدة: مثل اختراعهم الساعة التي تشبه المسجد بداخلها شريط مسموع يبدأ بزقزقة العصافير وصوت خرير المياه، والذي يشير إلى الوضوء (والتطهر للاستعداد للصلاة)، يليه صوت المؤذن للصلاة، كما تقدم غرف الفنادق للمسلمين سجادات الصلاة، ومصحفًا، ومؤشرًا لاتجاه القبلة، وهو سهم مرسوم على سطح أو طاولة يشير إلى البلد الحرام في الإسلام (مكة) الموجودة في السعودية، والتي يتجه إليها المسلمون دائمًا عندما يقومون بالصلاة.

وليس عجيبًا أنه مثل العديد من المتدينين- يعتبر المسلمون الصلاة جزءًا أساسيًّا ورئيسيًّا من حياتهم؛ حيث أجاب عدد كبير من المسلمين حول العالم بأنهم يصلون ليس فقط لأن الصلاة فرضت عليهم، ولكن أيضًا لأنها تشعرهم بالقرب من الله وأنها مصدر للراحة. وكما قال أكثر من الثلثين في بلدان متفرقة مثل المغرب (بنسبة ٨٣٪)، وباكستان (بنسبة ٧٩٪)، والكويت (بنسبة ٧٤٪) وإندونيسيا (بنسبة ٦٩٪) ولبنان وإيران (بنسبة ٦٨٪) بأن الصلاة تساعدهم بشكل كبير في تهدئة مخاوفهم وقلقهم الشخصي[٦٤].

وجعل نسيان تاريخ أوقات الصلاة خلال اليوم عند اليهود، أو ساعات الصلاة عند

الكاثوليك الكثير من الأمريكيين يعبرون عن اندهاشهم من صلاة المسلمين، والتي يعتبرونها مبالغًا فيها ومضيعة للوقت. «خمس مرات في اليوم يبدو كثيرًا» هذا ما اعترف به رجل أعمال أمريكي أثناء ورشة عمل حول إقامة أعمال تجارية في البلدان الإسلامية. ورد عليه مستشار إداري أمريكي، وهو مسلم ملتزم أيضًا، قائلا:

«كم عدد المرات التي يأكل فيها الناس في مجتمعنا المرفه؟ ينصح خبراء التغذية بثلاث وجبات ووجبتين خفيفتين، ولكن إذا كنت شابًّا مراهقًا فإنك تأكل ما يشبه خمس وجبات وعشر وجبات أخرى خفيفة. حسنًا فالإسلام يرى الإنسان ليس فقط كجسد، ولكن ككيان روحي أيضًا، ومثلما تتطلب احتياجاتنا الجسدية التغذية المستمرة خلال اليوم، فإن أرواحنا مطالبة بذلك أيضًا. فأنا أصلي صلاة الصبح قبل الذهاب إلى العمل، وأصلي صلاتي الظهر والعصر في مكتبي أثناء استراحة الغذاء وفي استراحة لعشر دقائق بعد الظهر. أما صلاوتان الآخريان فأؤديهما في المنزل؛ واحدة في بداية المساء وواحدة قبل الذهاب للنوم وهي مثل خمس وجبات صغيرة للروح. وبصراحة لا أستطيع أن أتخيل متابعة عملي المحموم وحياتي الأسرية دون الاتصال الدائم مع الله»[٦٥].

صيام رمضان:

إذا كانت تأدية الصلاة خمس مرات في اليوم يعتبرها البعض شيئًا صعبًا، فماذا عن عدم الأكل، أو الشرب، أو التدخين، أو الجماع، والحفاظ على هدوء أعصابك من الفجر إلى الغسق لمدة شهر كامل؟! هل يعد ذلك ملهمًا، ورائعًا، أم تشددًا، وجنونًا؟! ففي عالمنا الدنيوي المادي، يرى البعض مثل هذا التقشف والزهد تشددًا، بل ويعتبرونه ضارًا. ومع ذلك فنحن نعيش في مجتمع حيث الأنظمة الغذائية القاسية وممارسة التمارين الرياضية، والمحافظة على الوزن، والموت في سبيل الحصول على جسد متناسق- هي صناعة تقدر بالبلايين من الدولارات. فالسباقات الشاقة والرياضات الثلاثية والعمل لمدة ١٢ إلى ١٨ ساعة يوميًا- غالبًا ما نردده في شعاراتنا «لا ألم، بلا ربح».

بالنسبة للمسلمين، شهر رمضان هو وقت للنظام الجسدي والروحي: فالتحكم في الشهوات، والقيام بالأعمال الصالحة من أجل الفقراء، وتخصيص المزيد من الوقت للصلاة والتركيز على العبادة والانسلاخ عن الضعف البشري والاعتماد على الله وحده هو ما يركز عليه المسلمون في هذا الشهر. ومن العجيب أن العديد من المسلمين غير الملتزمين دينيًا طوال العام يقومون بهذا الصيام الجماعي في شهر رمضان.

فصيام رمضان هو نشاط عائلي ومجتمعي؛ حيث يجتمع الأصدقاء والعائلة معًا للإفطار عند الغروب. ويذهب الكثيرون إلى منازلهم ليكونوا مع عائلاتهم خلال هذا الشهر. وفي المساء يلتقي الكثيرون ويتعاونون في قراءة القرآن معًا، حتى يتموه كاملا في نهاية الشهر. وإذا ذهبنا إلى الدول الإسلامية، يستطيع المرء أن يرى أن المخطوطات والعلامات في المصحف توضح أن القرآن مقسم إلى ثلاثين جزءًا، وهذا يساعد على التدريب لقراءة جزء من القرآن كل ليلة. وقراءة القرآن تنقل من يقرؤه إلى عالم الإيمان تمامًا كما نقلت النبي محمدًا من كونه تاجرًا بمكة إلى أن يصبح نبيًّا مرسلا من الله.

وكما جاء في القرآن: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [الشعراء].

وينتهي رمضان بواحد من أكبر الأعياد الإسلامية، وهو عيد الفطر. ويماثل الاحتفال بعيد الفطر احتفال رأس السنة عند المسيحيين في بهجته، وتميزه، وتبادل الهدايا فيه. ويأتي أفراد العائلة من كل مكان ليحتفلوا معًا لعدة أيام وأحيانًا لأسابيع. والمسلمون في الغرب (مثل اليهود في الماضي) يواجهون تحديات كبيرة في المحافظة على أعيادهم الدينية؛ حيث لا تعترف الكثير من المدارس وأماكن العمل بهذه الأيام المقدسة لدى المسلمين. ولكن هذا الموقف آخذ في التغيير.

الزكاة:

هذا الركن من أركان الإسلام هو -كما درج القول- باب المسلمين إلى الجنة. فالعدالة الاجتماعية، وخاصة الاهتمام بالفقراء، والأيتام، والأرامل، وبأفراد العائلة هو موضوع رئيسي في القرآن. والقرآن يرفض من يقولون: إن الفقراء يجب أن يظلوا كذلك ويتركوا إلى مصائرهم؛ لأن الله أرادهم أن يكونوا كذلك. فمثل ضريبة العشر في الديانة المسيحية، يطلب الإسلام من أتباعه أن يساعدوا أفراد المجتمع غير المقتدرين ماليًّا. ولكن على عكس ضريبة العشر، فالزكاة عند السنيين المسلمين هي ضريبة على الأموال والثروات، تطلب من المؤمن أن يعطي ٢٫٥٪ من أصول ممتلكاته السائلة كل عام. وليس ببساطة جزء من دخله (مع العلم أن الشيعة يحسبون الزكاة بشكل مختلف). فالزكاة ليست صدقة تطوعية أو إحسانًا، ولكنها فريضة لتطهير مال الإنسان (حيث إن أصل كلمة زكاة في اللغة العربية هو التطهير). وبما أن المالك الأصلي لهذه الأشياء هو الله وليس

الرجال أو النساء، فالزكاة هي نصيب مطلوب من الثروة التي أعطاها الله للمسلمين كخلفائه في الأرض ليكونوا مؤتمنين عليها. ويعلق عالم مسلم مشهور على المرات العديدة التي ربط فيها القرآن بين كلمتي «الصلاة والزكاة» قائلا:

«أما الصلاة فتمثل حق الله علينا، في حين أن الزكاة تمثل حقوق العباد علينا التي فرضها الله لنا. وبالربط بين «الصلاة» و«الزكاة» يذكرنا ذلك باستمرار بأن الإسلام ليس دينًا مهتمًا فقط بتأدية حقوق الله التي فرضها علينا فقط، ولكن أيضًا يعطي أهمية لحقوق الآخرين علينا»(٦٦).

الحج إلى مكة:

من الصعب المبالغة في تقدير رغبة المسلمين الشديدة في أداء فريضة الحج إلى مكة. فبالرغم من التنوع الثقافي الهائل بين البلدان الإسلامية في العالم والسكان القليلين من المسلمين في أوروبا، وأمريكا الشمالية، وحول العالم، فهناك نشاطات معينة تجمع الأمة الإسلامية كلها، فمثلما يجتمع المسلمون خمس مرات في اليوم ليتوجهوا إلى مكة في صلاتهم، وهي المدينة التي ولد فيها النبي محمد، يسافر أيضًا كل عام أكثر من مليوني مسلم من جميع أنحاء العالم إلى تلك المدينة المقدسة ليؤدوا الركن الخامس من أركان الإسلام وهو الحج.

ففي الحج يشترك المسلمون رجالًا ونساء في أداء تلك الشعائر المقدسة. فليس هناك تفرقة جنسية في ذلك المكان المقدس، مرتدين ملابس بسيطة كرمز إلى الطهارة، والمساواة، مكررين الأحداث الدينية المهمة؛ حيث تطوف هذه الجموع حول الكعبة، (وهي بناء مكعب الشكل يعرف بأنه بيت الله)، وهي أكثر الأماكن المقدسة في العالم. وهذا الطواف يشبه الصلاة؛ حيث يمثل اتصالًا روحيًا مع الله. وفي شعيرة أخرى من شعائر الحج يكرر المسلمون البحث المحموم الذي قامت به السيدة هاجر عن الماء لابنها إسماعيل حينما كانت تائهة في الصحراء، متذكرين كفاح البشر في الحياة، وقبيل انتهاء الحج يجتمع المسلمون عند جبل عرفات؛ إحياء لذكرى النبي محمد صلى الله عليه وسلم في حجته الأخيرة وخطبة الوداع التي ألقاها على قومه في ذلك اليوم.

وهؤلاء الذين أدوا فريضة الحج لا يستطيعون وصف تلك التجربة المذهلة حين يجتمع مليونا مسلم في الصلاة معًا، كلهم سواسية، في جو روحاني، يجمعهم شيء أكبر من وجودهم نفسه. ويرى الكثيرون ذلك على أنها تجربة ترمز إلى استعدادهم ليوم الحشر،

حين يأتي البشر جميعهم إلى خالقهم يوم الحساب.

وقد كان للحج أثر كبير على الأمريكي الأفريقي مالكولم إكس؛ حيث قاده الوقت الذي قضاه في الحج إلى تحول وإدراك جديد في فهمه للأخوة الإنسانية؛ حيث يقول شارحًا:

«لقد كان هناك عشرات الآلاف من الحجاج، من جميع أنحاء العالم، ومن جميع الألوان، بدءًا من الشقر ذوي العيون الزرقاء، إلى الأفارقة أصحاب البشرة السمراء، ولكننا كنا جميعا نشترك في أداء الشعائر نفسها، مظهرين روحًا من الوحدة والأخوة التي من خلال تجربتي في أمريكا جعلتني أعتقد أنه لا يمكن أن توجد مثلها بين البيض وغيرهم من غير البيض»[٦٧].

وفي نهاية أيام الحج يحتفل المسلمون حول العالم بعيد الأضحى محيين في ذلك ذكرى إرسال الله بكبش فداء عظيم لإسماعيل بن إبراهيم، حين أمر الله إبراهيم أن يذبح ابنه، وفي هذا الاحتفال الكبير يجتمع المسلمون معًا لتبادل الزيارات والهدايا، مثلهم في ذلك مثل المسيحيين واليهود في الاحتفال بعيد هانوكا.

الجهاد - القتال في سبيل الله:

أحيانًا يشار إلى الجهاد على أنه الركن السادس من أركان الإسلام، بالرغم من عدم كونه فعليًا أحد أركان الإسلام. وتأتي أهمية الجهاد في أمر القرآن بالقتال في سبيل الله (وهو المعنى الحرفي لكلمة الجهاد)، وفي الاقتداء بالنبي ﷺ وأصحابه السابقين. والجهاد بمعناه العام يشير إلى الفريضة التي فرضها الله على جميع المسلمين، أفرادًا وجماعات لاتباع وتطبيق شريعة الله؛ ليحيوا حياة شريفة، ويوسعوا رقعة المجتمع الإسلامي من خلال الدعوة إلى الله، ونشر العلم، والقدوة الطيبة، ونشر رسالة الإسلام. وفي ظل الظروف التي يعيشها الفرد فإنه يمكن أن يعني أيضًا محاربة الظلم والقمع، ونشر الإسلام والدفاع عنه، وتشكيل مجتمع عادل من خلال الدعوة إلى الإسلام وتعليمه، بالإضافة إلى القتال المسلح للدفاع عن الإسلام ولرد الاعتداء عنه إذا دعت الضرورة لذلك. وعلى مر التاريخ كانت الدعوة إلى الجهاد للدفاع عن الإسلام فقط.

وهذان التفسيران لمعنى الجهاد سواء بالسلاح أو بدونه، شرحه القول النبوي المعروف، حين كان محمد ﷺ يعود من المعركة فيقول لأصحابه: «رجعنا من الجهاد

الأصغر إلى الجهاد الأكبر». فالجهاد الأكبر هو الأكثر صعوبة والأكثر أهمية، وهو جهاد النفس، ضد أطماعها، وأنانيتها، وشرها.

وعلى هذا فالجهاد هو مفهوم متعدد المعاني، تم استخدامه بشكل جيد أو بشكل سيئ عبر التاريخ. وبالرغم من أن «الحرب المقدسة» لا يمكن ربطها أو مساواتها بأي شكل من الأشكال بكلمة «الجهاد» التي وردت في القرآن، فقد كان القادة المسلمون على مر التاريخ - يؤيدهم في ذلك علماء الدين- يستخدمون الجهاد المسلح لتشريع الحروب من أجل التوسع في الإمبراطورية الإسلامية. كما لجأت الطوائف المتشددة قديمًا إلى الإسلام لتشريع الثورات، والاغتيالات، ومحاولات إسقاط الحكام المسلمين عن الحكم. وفي السنوات الأخيرة، عاد المتشددون المسلمون والإرهابيون إلى القول بأن الجهاد فريضة عالمية، وأن المسلمين الحقيقيين يجب أن يشاركوا في الجهاد ليعلنوا الثورة الإسلامية.

والآيات القرآنية التي تتحدث عن المشاركة في «الدفاع» أو الجهاد، لم تنزل إلا بعد وقت قصير فقط من هجرة النبي وأصحابه من مكة إلى المدينة حين هربوا من اضطهاد المشركين لهم، وكانوا في هذا الوقت مجبرين على القتال للدفاع عن حياتهم، وقد أخبر الله محمدًا ﷺ في القرآن قائلا: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ [الحج]. كما يؤكد القرآن طبيعة الجهاد الدفاعية في سورة البقرة قائلا: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾﴾ [البقرة]. وفي المسائل التي تحتاج إلى فصل يتلقى محمد ﷺ الوحي من الله ليرشده حول هذا الموضوع.

ونظرًا لازدياد المجتمع الإسلامي، فقد برزت تساؤلات عديدة حول كيفية سلوك النبي أثناء فترات الحروب. والقرآن من جانبه قدم إرشادات وقوانين مفصلة فيما يتعلق بمسائل إدارة الحروب: مثل مَنْ مِنَ المسلمين مكلف بأن يحارب؟ ومن معفى من ذلك؟ كما جاء في [سورة الفتح:١٧] و[سورة التوبة: ٩١]، ومتى يجب وقف القتال أو إنهاؤه؟ وذلك في [سورة البقرة: ١٩٢]، وكيفية معاملة الأسرى [محمد: ٤]. ومن أكثر الآيات أهمية تلك التي تخبر المسلمين أن شن الحروب أو رد العدوان يجب أن يكون متناسبًا مع حجم ومقدار من بدأ العدوان أولًا، وذلك في [سورة البقرة: ١٩٤]: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة:١٩٤].

وطبقًا للشريعة الإسلامية، فإنه لكي تعتبر أي حرب مبررة أخلاقيًا، يجب أن تكون دفاعًا عن الدين. وهناك العديد من الشروط الأخرى الصارمة التي يجب تطبيقها أثناء الحروب مثل: عدم جواز شن أي حرب من أجل الربح المادي أو امتلاك الأراضي؛ وأهمية المحافظة على حقوق المدنيين، وأمنهم، وحريتهم، واحترام ممتلكاتهم، بالإضافة إلى عدم قتل النساء، والشيوخ والأطفال؛ وتحريم تعذيب الأسرى أو التنكيل بهم، وعدم هدم أماكن العبادة أو قتل رجال الدين.

ومن ناحية أخرى شددت الآيات القرآنية على اعتبار أن السلم هو الأساس وليس العنف والحرب. وجاءت الآيات التي تدعو إلى محاربة الأعداء مساوية مع تلك التي تدعو إلى عقد الصلح معهم مثل: ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [الأنفال:٦١] وفي آية أخرى في القرآن: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ ۚ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾﴾ [النساء].

ولكن انتشرت الكثير من الأقاويل عن «آيات القتال»، ومنها هذه الآية: ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ [التوبة:٥]. التي يستشهد بها العديد من النقاد ليشيروا إلى العنف الموجود في طبيعة الإسلام وفي نصوصه القرآنية. كما استخدم بعض المتطرفين من المسلمين هذه الآية بعينها (أو بالأحرى أساءوا استخدامها) لإنشاء «دين من الكراهية» وعدم التسامح، وليشرعوا شن الحرب على غير المسلمين جميعًا.

وفي أوقات الغزوات والتوسعات في الدولة الإسلامية، كان العديد من العلماء المسلمين الذين يتمتعون بسلطة ملكية، يقدمون أسبابًا مقنعة إلى رعاياهم حول قيامهم بهذه التوسعات، سواء لتحقيق طموحاتهم أو لتوسيع حدود الامبراطورية الإسلامية، كما كانوا يدركون أن الآيات القرآنية التي تتحدث عن «القتال» تلغي أو تبطل الآيات السابقة التي حددت الجهاد بكونه حربًا للدفاع عن الإسلام فقط. وفي حقيقة الأمر، فإن المعنى الحقيقي والغرض من وراء الآية السابقة في سورة [التوبة: ٩] يتم تشويهه كلية حين يطبق على غير المسلمين فقط، حيث إن الآية كانت تشير تحديدًا إلى مشركي مكة، الذين نكثوا العهد وشنوا الحرب على المسلمين، علمًا أنه في التعقيب الذي جاء في نفس الآية مباشرة قال: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾﴾ [التوبة].

السنة والشيعة - فروع متعددة للدين واحد:

إن الإسلام كأي دين آخر يضم العديد من الفروع والطوائف الدينية. وتلك الاختلافات الدينية يمكن أن يكون لها الكثير من المعاني والتأثيرات السياسية والاقتصادية وكذلك الدينية المهمة. وتجاهلنا لمثل تلك القضايا الدينية يمكن أن تكون عواقبه وخيمة. فلقد كانت قدرتنا على التوقع والتخطيط لإستراتيجية ناجحة بعد غزو العراق، وللحد من- بل واحتواء- الخلاف الطائفي، والمساعدة في إنشاء نظام ديمقراطي فعال، بالإضافة إلى التحكم في الديون التي بلغت بلايين الدولارات متوقفًا على إدراكنا وفهمنا للقوى الدينية والاجتماعية المؤثرة. فالخلاف بين السنة والشيعة في العراق قضى على الكثير من الأرواح، وهدد بتقسيم البلاد إلى دويلات صغيرة متنافسة، وأدى إلى استفحال العلاقات بين الشيعة في إيران وبين السنيين في السعودية ودول الخليج الأخرى. ولكن بعد سنوات من غزو واحتلال العراق، ظل المسئولون الأمريكيون جاهلين بالحقائق الرئيسية.

ففي عام ٢٠٠٧، سُئل قادة الكونجرس المسئولون عن مكافحة الإرهاب، وكان بعضهم أعضاءً في لجان الكونجرس الرئيسية التي كانت تشرف على السياسة الخارجية للولايات المتحدة، عن الفرق بين مسلمي السنة والشيعة. ومما يدعو إلى الدهشة أن قليلين منهم فقط استطاعوا التمييز بين الطائفتين الدينيتين – مع العلم أن ذلك حدث بعد عدة سنوات من الاحتلال الأمريكي للعراق بكل ما فيه من صراعات سياسية وعسكرية بين تلك الطوائف الدينية.

هل تستطيع التفرقة بين السني والشيعي؟

في عام ٢٠٠٥ أصيب جيف شتاين، محرر الأمن القومي في دورية الكونجرس ربع السنوية في واشنطن، بالدهشة حين مزح جون ستيوارت وممثلو الكوميديا الآخرون حول التصريحات التي جاءت في قضية الوشاة التي كشفت عن عجز مسئولين كبار في مكتب التحقيقات الفيدرالي عن الإجابة عن أسئلة بسيطة حول الإسلام. فهم لم يعترفوا فقط بجهلهم حول هذا الموضوع، ولكن الأدهى أنهم ادعوا أنهم ليسوا بحاجة إلى معرفة مثل تلك الأمور.

وفي عام ٢٠٠٦ سأل شتاين سؤالًا مشابهًا في مقابلات مطولة أجراها مع مسئولين

في مكافحة الإرهاب وأعضاء الكونجرس وهو: «هل تعلمون الفرق بين السني والشيعي؟» وسألهم إذا ما كانوا يعرفون: «ما الجانب الذي يأخذه كل منهما؟ وماذا يريد كل منهما؟» هل تعلمون ماذا اكتشف؟- أن «معظم المسئولين الأمريكيين الذين قابلتهم، لم يكن لديهم أدنى فكرة». هذا ما قاله شتاين بنفسه. وهذا لا يشمل فقط مسئولي المخابرات والمسئولين عن تطبيق القوانين، ولكن أيضًا أعضاء الكونجرس من أصحاب المناصب المهمة في مراقبة وكالات التجسس الأمريكية».

عندئذ أشار ويلي هولون، رئيس الفرع الجديد للأمن القومي بمكتب التحقيقات الفيدرالي إلى أهمية معرفة الفرق بين السنة والشيعة، وذلك «لمعرفة من هو المستهدف»، ولكنه لم يكن قادرًا على معرفة ما إذا كانت العراق تنتمي إلى السنة أم الشيعة. وحين سُئل ما إذا كانت إيران وحزب الله من السنة أم الشيعة؟- أجاب خطأ أنهم من «السنة». ولم يكن قادة الكونجرس بأفضل منه. فعندما سأل شتاين تيري إيفريت الممثل الجمهوري عن ولاية ألاباما، ثم نائب رئيس اللجنة الفرعية للمخابرات التكنولوجية والتكتيكية في مخابرات مجلس النواب: «هل تعرف الفرق بين السني والشيعي؟» كانت إجابته: «الأول في مكان واحد، والآخر في مكانٍ ثانٍ، لا، لأكون صريحًا معك؛ أنا لا أعرف». وعندما أخبره شتاين عن بعض الاختلافات قال: «الآن وقد شرحت لي... يجعلني هذا أفكر أن ما نقوم به هناك مسألة شديدة الصعوبة، ليس فقط في العراق ولكن في المنطقة بأكملها».

أما جو آن دافيس الممثلة الجمهورية عن ولاية فيرجينيا، والتي ترأست اللجنة الفرعية في مخابرات مجلس النواب التي تقوم بالإشراف على أداء المخابرات المركزية في توظيف الجواسيس وتحليل المعلومات، كانت لديها مشاكل مماثلة في الإجابة عن هذا السؤال. فعندما سئلت إذا ما كانت تعرف الفرق بين السنة والشيعة قالت: «أتعرف، ينبغي أن أكون عالمة بذلك» وكانت إجابتها: «أن السنة أكثر تشددًا من الشيعة أو العكس، ولكنني أعتقد أن السنة هم الأكثر تشددًا من الشيعة».

إن تجارب شتاين في المقابلات جعلته يشدد على ضخامة وعظم هذه المشكلة قائلا: «بعض مسئولي وكالة الاستخبارات وأعضاء الكونجرس تمكنوا من فهم سؤالي بسهولة. ولكن كلما استمررت أكثر في السؤال، أحصل على المزيد من العبارات الفارغة. الكثيرون من مسئولي مكافحة الإرهاب ببساطة لا يهمهم أن يتعلموا الكثير، إن لم يهمهم أن يتعلموا أساسًا أي شيء عن العدو الذي تحاربه الولايات المتحدة»(٦٨).

إن معرفة منشأ مسلمي السنة والشيعة، والاختلافات التي أصبحت مصدرًا للصراعات بينهما، يساعدنا ذلك على فهم الأحداث الدينية والسياسية على مر التاريخ، وذلك منذ بداية تكون المجتمع الإسلامي وحتى التوترات والصراعات الحاصلة اليوم حول العالم. بالإضافة إلى الصراعات بين السنة والشيعة في العراق وباكستان، والخلافات الطائفية والحروب التي اشتعلت لمرات عديدة في لبنان، وباكستان، وأفغانستان، واليمن، والكويت، والبحرين، والسعودية. فدراسة جذور تلك الانقسامات والعداءات العميقة بين السنة والشيعة يعتبر ضروريًا لمساعدتنا في فهم مصدر الخلاف الطائفي اليوم.

يضم الإسلام طائفتين رئيسيتين هما: السنة وهم الأغلبية ونسبتهم (٨٥٪) والشيعة وهم الأقلية ونسبتهم (١٥٪). ولدى كل منهما معتقداته الخاصة التي تختلف عن الآخر، ووجهات نظره بالنسبة للأحداث التاريخية، وردود أفعاله تجاه الأحداث المعاصرة التي نتجت عن وفاة النبي محمد ﷺ في القرن السابع الميلادي. فلقد شكلت وفاة محمد ﷺ في عام ٦٣٢ هجرية صدمة تاريخية للمجتمع الإسلامي في ذلك الوقت، حيث إن وفاته وضعت نهاية للإرشاد المباشر الذي كان النبي يقدمه لهم، وأيضًا نهاية لنزول الوحي من الله. وكان السؤال الذي لا يمكن تجنبه في ذلك الوقت: «من الذي سيخلف محمدًا ﷺ؟».

فلقد زعم بعض أتباع النبي ﷺ أن الخلافة يجب أن تكون في بيت آل النبي ﷺ، وأنها يجب أن تئول إلى ابن عمه وزوج ابنته علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- وقالوا: إن النبي ﷺ نفسه كان قد أشار بذلك. وبهذا نشأت جماعة شيعة علي (بمعنى: حزب علي)، أو الشيعة. أما غالبية المسلمين فكانوا يعارضون هذا الوضع. وفضلوا أن يتبعوا التقليد السائد الذي يعطي رؤساء القبائل الحق في اختيار القائد أو (الخليفة) والذي عادة ما يكون له أكبر النفوذ أو السلطة العائلية في النظام القبلي. وأصبح هؤلاء السنيون، أي: الذين اتبعوا طريق محمد ﷺ، واتبعوا التقليد السائد أو السنة.

إن تاريخ الشيعة في الماضي والحاضر يظهر لنا وضعهم كأقلية، هضمت حقوقهم من قبل مسلمي السنة الذين كانوا الغالبية العظمى؛ حيث تم اختيار أبي بكر الصِدِّيق - رضي الله عنه - الصديق المقرب ومستشار النبي ﷺ كأول خليفة للمسلمين. وتم تجاهل علي لثلاث مرات بعد ذلك. وعندما أصبح الخليفة في نهاية الأمر قتل بعد سنوات قليلة من توليه منصب الخلافة. والأسوأ من ذلك، أن ابن علي «الحسين» ذا الشخصية القوية الذي

قاد الثورة ليتولى هو الخلافة بدلًا من يزيد- قُتِلَ في مذبحة وحشية هو وفريق من أتباعه في كربلاء (مدينة بالعراق).

ونتج عن فشل الشيعة في مساعيهم إلى تولي الأوضاع الجارية تحت الضغوط التي يمارسها عليهم السنيون، وذكرى استشهاد الحسين في كربلاء نظرة مستمرة من الإحساس بالظلم والحاجة إلى معارضة ذلك الظلم. وأصبح حلم الشيعيين منذ ذلك الوقت هو تحقيق نظام اجتماعي عادل. مما أعطى معنى، وهدفًا، وتنظيمًا للمجتمع الشيعي في القرن العشرين، وذلك عندما كافح الشيعيون في لبنان في السبعينيات والثمانينيات من أجل الحصول على الفرص الاجتماعية والاقتصادية، وأيضًا أثناء الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩ حينما أخذ الشاه الإيراني دور يزيد وكان آية الله خوميني وأتباعه مثل الحسين وجماعته.

بالرغم من اشتراكهم في الإيمان بوحدانية الله، وبأن القرآن منزل من عند الله، وأن محمدًا هو النبي الذي أرسله الله، فلقد كان في تاريخ كل من السنة والشيعة قيادات مختلفة للشعوب. فبالنسبة للسنيين يعتبر الخليفة المسلم هو خليفة الرسول ﷺ في البلاد، ويؤدي دوره كقائد سياسي وعسكري للمجتمع، ولكن ليس كنبي. ولكن الوضع مختلف بالنسبة للشيعة، فالإمام الشيعي أو(القائد) الذي يختاره أعضاء المجتمع يجب أن يكون منحدرًا من آل بيت النبي؛ فهو ليس فقط القائد السياسي والعسكري للمجتمع ولكنه أيضًا القائد الديني. وبالرغم من عدم كونه نبيًا، فإنه يعتبر ملهمًا من الله، وأنه معصوم ومنزه عن الخطأ، وبأنه المنفذ لإرادة الله في الأرض كما تنص الشريعة الإسلامية.

ولدى كل من السنة والشيعة تفسيرات مختلفة للتاريخ. فالبنسبة للسنيين يعتبر نجاح وقوة الخليفة في التاريخ الإسلامي دليلا على عناية الله لهم، ومكافأة لهم على قوة إيمانهم، وتأكيدًا بأحقيتهم في الحكم. وعلى العكس من ذلك تمامًا، يري الشيعيون الأحداث نفسها على أنها انتهاك غير مشروع للسلطة من قبل الحكام السنيين. ومع أنه كانت هناك أوقات من الاعتراضات والثورات التي تمكن خلالها الشيعيون من تولي الحكم، إلا أن الحكام السنيين سادوا في معظم أوقات التاريخ الإسلامي. وأصبح التاريخ بالنسبة للشيعة مسرحًا متواصلا من الكفاح بالنسبة لمجموعة من الأقلية المضطهدين والمحرومين من حقهم في تولي الخلافة، ولذلك عليهم مواصلة الكفاح لإعادة حكم الله في الأرض على يد إمامه المختار.

وبسبب الاختلاف حول عدد الخلفاء الشرعيين للرسول ﷺ ووجوب الاعتراف

بأحقية الإمام علي في الخلافة، انقسم الشيعيون إلى ثلاث طوائف فرعية: الزيدية أو (الخمسية)، والإسماعيلية أو (السبعية الذين يرأسهم اليوم أغا خان)، والاثنا عشرية، وهم أشهر الجماعات في الوقت الحاضر ويمثلون الأغلبية في بلدان مثل إيران، والعراق، والبحرين. وجماعة الاثنا عشرية الذين اختفى إمامهم الثاني عشر، أنشئوا معتقدًا لهذا الإمام المختبئ، وهو أنه سيعود في نهاية الزمان ليقيم مجتمعًا إسلاميًا عادلًا وصادقًا. وعلى عكس السُنيين أنشأ الاثنا عشريون تدرجًا للزعماء الدينيين يسمى آيات الله بمعنى (رمز الله) بسبب تقواهم وورعهم. ففي إيران يعتبر آية الله خوميني رمزًا للسلطة في إعادة الإسلام الشيعي. حيث ادعى خوميني أنه في غياب الإمام، فإن العلماء الذين يمثلون الشريعة الإسلامية لهم الحق بتولي الحكم.

إن دراسة التاريخ والتقاليد الماضية يعتبر مهمًا لمعرفة ما نحن فيه اليوم. فالتأثير المستمر لمسلمي الشيعة يمكن رؤيته في العديد من الأحداث السياسية المشحونة: مثل الدور القوي الذي يلعبه رجال الدين في إيران، والتأثير الإقليمي الذي تمارسه إيران على كل من العراق وأفغانستان، والحضور السياسي والنفوذ القوي لحركة أمل وحزب الله في البرلمان ومجلس الوزراء اللبناني، ودور حزب الله كتنظيم عسكري في الكفاح ضد إسرائيل، والحركة الطائفية والصراعات السياسية في العراق وباكستان. مما جعل السنيين من دول الخليج مثل الإمارات العربية المتحدة، وقطر، والكويت، والبحرين- يخشون التأثير الشيعي لإيران واستمرارها في بسط نفوذها على دول الخليج، في حين تسبب العلماء الوهابيون في السعودية وبعض الزعماء السلفيين بزيادة الصراع عن طريق دعوتهم للشيعيين بالملحدين، بل وطالبوا بقتلهم.

وقد عبر العديد من المسلمين عن خيبة أملهم تجاه عجز بلدانهم عن التوافق والتعاون، فعندما سئلوا عن أكثر ما يضايقهم من بلدانهم، ذكروا مصطلح "ضيق الأفق". ومن أجل فهم الإسلام والمسلمين اليوم، نحن بحاجة إلي أن نتجاوز التاريخ والنصوص لكي نعرف ما يؤمن به المسلمون عن أنفسهم وعالمهم والشئون العالمية.

ماذا يريد المسلمون اليوم؟

عندما سُئِلوا عما يعجبهم في الدين الإسلامي، أجاب ٧٥٪ من الأمريكيين قائلين إما: "لا شيء" أو: "لا أعرف" (٩٩). لماذا؟!- يتفاعل معظمنا مع الجيران، والأصدقاء والزملاء المسيحيين واليهود؛ بعضهم تتضح هويتهم الدينية والبعض الآخر لا، لكن

بالنسبة للغالبية، فتأتي معرفتهم للمسلمين لا من التجربة المباشرة، بل من الصور الإعلامية التي تصدرت عناوين الأخبار أثناء تفجيرات ٩/١١، ومن الهجمات الإرهابية العالمية، فبالنسبة لنا، يبقى الدين الإسلامي وأغلب المسلمين "غرباء"، وقد قال لي أحد الأطباء الذين قابلتهم بالصدفة مؤخرًا: إن "المسلمين بحاجة إلي إصلاح أنفسهم؛ حتى يقول زعماؤهم للعالم: إن القرآن لا يأمر المسلمين بقتلنا". فهذا الطبيب، مثله مثل آخرين، يبقى "رهينة" للكلمات وأعمال التطرف ولنقص المعرفة الأساسية الضرورية لرؤية الوجه الإنساني للإسلام. ونتيجة لذلك، فإن حوالي ٢٢٪ ؛ أي: ما يقرب من ربع الأمريكيين، يقولون: إنهم لا يحبون أن يكون لهم جارًا مسلم[٦٩].

إن الاستماع مباشرة لما يقوله المسلمون حول العالم عن الغرب وعن أنفسهم بل وعالمهم- قد يبدد تلك المخاوف النمطية التي لا أساس لها. لكن، هل المسلمون متفائلون بشأن مستقبلهم؟ ما هي سلوكيات المسلمين مقارنة بالأمريكيين والأوروبيين؟ تظهر تلك التشابهات والاختلافات المدهشة من خلال استطلاعات الرأي. فمن جانب، نجد أن هناك ٩٤٪ من الأمريكيين يقولون: إن لحياتهم هدفًا مهمًا مقارنة بـ ٦٨٪ من الإندونيسيين الذين كانت الإجابة نفسها و٩١٪ من السعوديين.

وقد حدث الشيء نفسه عندما سُئلوا عما إذا كانوا متفائلين بشأن مستقبلهم: فأجاب ٨٦٪ من الأمريكيين بالإيجاب، إلي جانب ٦٩٪ من الفرنسيين و٣٦٪ من البولنديين. وعلى العكس، كان ٨٩٪ من السعوديين و٨٤٪ من الأردنيين أقرب للأمريكيين في تفاؤلهم في مقابل ٦٧٪ من الأتراك[٧٠].

جاءت إجابات المسلمين من خلال استطلاع رأي جالوب بشأن أهم أولوياتهم؛ لتظهر كيف أننا نفكر بطريقة واحدة، فآمال ومخاوف مليار مسلم تتجاوز الاختلافات الدينية والثقافية، وتكشف قيمنا ومواقفنا المشتركة، وكانت أهم أولويات أغلب المسلمين بحسب استطلاع الرأي كالتالي:

- تحسين أحوالهم الاقتصادية، وإيجاد فرص عمل وتحسين مستوى المعيشة من أجل مستقبل أفضل.
- تفعيل النظام والقانون وتعزيز المثل الديمقراطية، والقضاء على الحروب والصراعات المدنية، والتأكيد على احترام واستقلال بلادهم.

▫ القضاء على الأمية والجهل، وتحقيق المساواة بين الجنسين والعدالة الاجتماعية والحرية الدينية [٧١].

تعكس تلك الأولويات الرغبة في تغيير اجتماعي واقتصادي وسياسي ضخم في العالم الإسلامي، لكن هل سيتوافق الإسلام- الذي يمثل أهمية كبيرة للمسلمين- مع هذا التغيير؟

لا يمكن لأية مناقشات بشأن التغيير المستقبلي في الدول الإسلامية والعلاقات بين العالمين الإسلامي والغربي- أن تغفل الأدوار العديدة المتصارعة للدين في السياسة والمجتمع، ويستند الحكام للدين من أجل الشرعية، بينما تسعى المعارضة لتحدي الأنظمة الاستبدادية، أما الحركات الإصلاحية الدينية فهي تعيد تفسير الدين من أجل الاستجابة للعالم اليوم، في حين تتشبث العديد من الجماعات المحافظة بالماضي. هكذا، يقاوم المسلمون من دعاة الحرية الاحتلال، بينما يشن المتطرفون حروبهم الإرهابية ضد العالمين الإسلامي والغربي على حد سواء.

نحن الآن نبحث في إعادة تأكيد دور الإسلام في السياسة والمجتمع الإسلامي، ناظرين إلى تأثيره والتأثيرات العالمية، وساعين إلى إجابة بعض الأسئلة مثل: لماذا رفض معظم العالم الإسلامي سلوك الطريق العلماني من أجل التحديث والتطوير؟ ما هو الإسلام السياسي أو الأصولية الإسلامية؟ متى ولماذا ظهر التطرف الإسلامي في القرن العشرين؟ هل تمثل كافة الحركات الإسلامية تهديدًا؟

* * *

الفصل الثاني
الدين في السياسة

نحن اليوم في القرن الواحد والعشرين نواجه توترًا في العلاقات بين المسلمين والولايات المتحدة في كافة الأوقات. فالحرب التي خاضتها حكومة بوش ضد الإرهاب العالمي جعلت العالم أقل أمانًا، وأدت إلى ازدياد أعداد الإرهابيين والمعادين لأمريكا بشكل كبير، كما جعلت العديد من المسلمين (الأصدقاء والأعداء على حد سواء) في جميع أنحاء العالم يشعرون أنها حربٌ موجهة ضد الإسلام والمسلمين، وتم اعتبار أمريكا على أنها جزء كبير من المشكلة وليس من الحل.

كيف وصلنا إلى هذا الوضع؟ وما هي الدروس التي يجب أن نتعلمها من ذلك؟ وقبل كل ذلك ما هي الأحداث الرئيسية التي شكلت السياسة الإسلامية ورؤيتنا للمسلمين والعالم الإسلامي؟ وكيف ولماذا ظهر الدين في السياسة الإسلامية؟ وهل الحركات السياسية والاجتماعية الإسلامية تشكل تهديدًا مزدوجًا لنا الآن وفي المستقبل؟ وما هي الأسباب الرئيسية للإرهاب؟ وما هو الدور الذي يلعبه الدين في كل ذلك؟ وماذا يعني تحول الجهاد من موضوع محلي إلى قضية عالمية بالنسبة للأجيال القادمة؟ وكيف أثرت السياسة الخارجية الأمريكية على رؤية أمريكا والعلاقات المستقبلية بينها وبين المسلمين؟

المشكلة:

إن جميعنا اليوم على دراية بالجانب المظلم من السياسات والأحداث الإسلامية: بدءًا من الثورة الإيرانية والرهائن الأمريكيين، وأسامة بن لادن وتنظيم القاعدة، مرورًا بالهجمات الإرهابية على نيويورك وواشنطن في ١١ من سبتمبر، والتفجيرات الانتحارية في لندن في السابع من يوليو، والقطع المتوحش للرءوس، والصراعات بين السنة والشيعة التي تسببت في تدمير المساجد، وذبح الرجال والنساء والأطفال الأبرياء. وعندما دعا الرئيس جورج بوش إلى الحرب ضد الإرهاب العالمي، تداعت إلى أذهاننا صور المقاتلين المسلحين المقنعين، وحماية الضحايا الأبرياء، ووقف الدمار الذي أثر على العديدين في الغرب. أما على الجانب الآخر، فقد اعتقد المسلمون في جميع أنحاء العالم أنهم هم أنفسهم

ضحايا هذا الإرهاب، وأنهم في حاجة يائسة إلى جهودنا لإصلاح هذه المشكلة. في الوقت الذي يرى فيه الكثيرون أن أمريكا تستخدم الإرهاب العالمي كذريعة لتوسيع طموحاتها الإمبريالية ولإنشاء نظام عالمي جديد تعيد فيه رسم خريطة الشرق الأوسط؛ وذلك لاستغلال موارد دول العالم الإسلامي. ففي الآونة الأخيرة تنامت مشاعر العداء ضد أمريكا بشكل متزايد، ليس فقط بين الأقلية من المتطرفين، ولكن بين غالبية المسلمين، الذين يطلق عليهم المسلمون المعتدلون والذين مازال وجودهم الأساسي محل المساءلة.

إمبراطورية الشر الجديدة :

لقد ووجهنا في مطلع القرن الواحد والعشرين بعالم شديد التناقض بين الأبيض والأسود مليء بالشعارات مثل «صراع الحضارات» و«الحرب بين العالم المتمدن والإرهابيين» أو «الحرب ضد المتطرفين كارهي الديمقراطية، والرأسمالية، والحرية»[٧٢]. إن ولع الرئيس بوش باستخدام كلمة «شر»؛ لوصف الحرب ضد الإرهاب العالمي وكأنها حرب كونية بين الخير والشر أو صراع ضد دول محور الشر، انعكس في دعوة ابن لادن للجهاد المقدس بين قوى الله وقوى الشيطان[٧٣]. فهجمات ١١ من سبتمبر، والهجمات الإرهابية التي تبعتها في العديد من الدول بدءًا من المغرب، وإسبانيا، وإنجلترا وصولاً إلى المملكة العربية السعودية، وباكستان، وإندونيسيا، والفلبين بدت بالنسبة للبعض كأنها تؤكد تحذيرات ما بعد الحرب الباردة المتمثلة في خطر الإسلام العالمي.

فلقد أصبح بديهيًّا بالنسبة للكثيرين اليوم، أن دين الإسلام ككل، وليس فقط المتطرفين من المسلمين هو دين شر، ومصدر للإرهاب والتفجيرات الانتحارية. فإذا قارنا بين رد فعل الإسلام في بداية الثمانينات، عقب ثورة إيران «الإسلامية»، بردود الأفعال الحالية يمكن أن يقود ذلك البعض إلى الاستنتاج بأن: «كل ما حدث في السابق يتكرر من جديد!» «فلقد كنا على حق منذ البداية. إن هذا الخطر حقيقي وآخذ في النمو». ولكن إذا أمعنا النظر سيتبين لنا أن هذا الأسلوب يخفي حقائق ومشكلات طويلة الأمد أعمق بكثير من ذلك.

فلقد تغير الكثير منذ بداية القرن الواحد والعشرين. وازداد انتشار التطرف الديني والإرهاب العالمي كلما زاد التدخل العسكري للأمريكيين والأوروبيين في العالم الإسلامي، كما تزايد العداء ضد الأمركة بشكل استثنائي، وانتشرت الهجمات الإرهابية في العراق، وأفغانستان، وباكستان، وإندونيسيا، وأوروبا، وفشلت الحكومتان: العراقية

والأفغانيـة والقـوات العـسكرية الخارجيـة في إعـادة الأمـن والـنماء بـسبب ازديـاد قـوة المتمـردين مـن القاعـدة وطالبـان. وبـالرغم مـن دعـوة حكومـة بـوش إلى مزيـد مـن الديمقراطية، أصبح كثير من حلفاء أمريكا وخاصة مصر وباكستان أكثر ديكتاتورية، بينما آخرون مثل المغرب والأردن انحرفوا عن مسارهم نحو الديمقراطية. وأدى الفشل في تحديد الأسباب الأساسية للإرهاب، إلى تغيير مفهومنا عن العالم كما أصبحت سياساتنا الخارجيـة في أيـدي أولئـك الأعـداء الـذين يؤمنـون، بـل ويـسعون إلى إثـارة الـصراع بـين الحضارات. فهناك الكثير لنتعلمه من الماضي القريب إذا أردنا أن نصنع مستقبلا أفضل وأكثر أمنًا في الألفية الجديدة. فعلينا أن نعرف ما هي الأحداث الرئيسية التي شكلت السياسات الإسلامية العنيفة التي نشهدها اليوم والتي تؤثر على رؤيتنا للإسلام والعالم الإسلامي؟ وما الذي نستطيع أن نتعلمه من ذلك؟

الإسلام من منظور الثورة الإسلامية الإيرانية :

في أواخـر القـرن العـشرين، أثـرت الـسياسات الإسـلامية بـشكل كبـير عـلى مفهـوم الإسلام وعلى العلاقات بين المسلمين والغرب، كما أثرت على أحوال المسلمين في أوروبا وأمريكا.

فقد حل محل مشاعر الصدمة وعدم التصديق الأولى عند سقوط شاه إيران في عام ١٩٧٩، سريعًا الخوف من انتشار المبادئ الإسلامية المتشددة، أو الخومينية كانتشار النار في الهشيم. فقـد أثـارت دعـوة خـوميني إلى انتـشار الإسـلام الثـوري العديـد مـن الثـورات والانتفاضـات في بدايـة الثمانينـات في الإقلـيم الـشرقي المنـتج للـنفط مـن المملكـة العربيـة السعودية بما فيه من أقلية من الشيعة، وفي الكويت والبحرين كذلك.

وفي بداية الثمانينيات تركزت المخاوف حول تهديد الإسلام الثوري المتطرف لسلامة واسـتقرار نظـم الحكـم العربيـة، ووصـول الأمـريكيين للـنفط، وأمـن إسرائيـل، والآمـال المستقبلية في السلام بين إسرائيل وفلسطين. وفي عام ١٩٨١ كان اغتيال الرئيس المصري أنـور الـسادات، الـذي مُـنح جـائزة نوبـل للـسلام لإقـراره الـسلام التـاريخي مـع إسرائيـل، والذي أعلن أن خوميني رجل مخبول، وعرض على الشاه الإيراني حق اللجوء، دليلا على المـدى الـذي وصـل إليـه «التهديـد الإسـلامي»، كـما أن الحـرب بـين العـراق وإيـران في الثمانينيات زرعـت الخـوف مـن إطاحـة إيـران بـالرئيس العـراقي صـدام حـسين عـن الحكـم وتهديـد الحكومـات الملكيـة في الخلـيج العـربي، وأثـار الـدور الـذي لعبتـه إيـران في خلـق،

وتمويل، وتدريب حزب الله لمقاومة العدوان والغزو الإسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢ قلق الحكام السنيين في الخليج العربي وحلفاء لبنان في الغرب؛ حيث لعب حزب الله دورًا رئيسيًا في الحرب الأهلية في لبنان (١٩٧٥-١٩٩٠)، في مقاومة الفصائل اللبنانية الأخرى، واحتجاز الرهائن، وتفجير السفارات، مستهدفًا في الغالب العاملين الأمريكيين والأوروبيين. واستمر حضور حزب الله على الساحة السياسية حتى الحرب التي نشبت بينه وبين إسرائيل في عام ٢٠٠٦.

واليوم عادت إيران للظهور الإستراتيجي في السياسات الإقليمية لمرحلة ما بعد صدام حسين. وفي قوتها النووية المتزايدة، وتأثيرها في العراق، وفي خطاباتها المتشددة ودعوتها المستمرة لتدمير إسرائيل، واشتراكها في الصراعات بين السنة والشيعة ليس فقط في العراق ولكن في منطقة الخليج كلها وحتى باكستان، واستمرارها في التأكيد على أهمية الإسلام في السياسة من الناحيتين المحلية وفي العلاقات بين الغرب والمسلمين. فمن الواضح أن الغرب استغرق العديد من القرون للتوصل إلى اتفاق حول القوى المعقدة التي ينطوي عليها الإسلام السياسي. إذن لماذا تفاجأ السياسيون الغربيون بسهولة من دور الإسلام في السياسات الإقليمية؟ وهل مازالت هذه النقطة نفسها تعيق فهمنا لتطوير إستراتيجيات فعالة ومؤثرة للتعامل مع العالم الإسلامي.

البُعْدُ عن مسار العلمانية - سيادة حكم الله:

خلال معظم القرن العشرين كانت رموز ومعايير تقدم المجتمعات ذات أصول غربية؛ فقد كان الغرب يحكمون على «تقدم» مجتمع ما بناء على «حداثة» الفن والعمارة به، وعلى مدى وجود المؤسسات الغربية السياسية، والقانونية، والتعليمية وحتى الاجتماعية به، وأيضًا بناء على ملابس ولغة أهل هذا المجتمع. فنحن نتحدث عن «الحداثة» من منظور غربي، المدينة الجديدة في مقابل القديمة، دلهي الجديدة مقابل دلهي القديمة. وكان معنى الحداثة هو تبني المؤسسات والنظم العلمانية الغربية: سواء السياسية، أو القانونية، أو التعليمية. كما اعْتُبِرَ الأفرادُ عصريين وغير تقليديين إذا ارتدوا البذلات والفساتين الغربية، والجينز واستخدموا اللغة الغربية الحديثة. وكان في اعتقادهم أن كل يوم يمر يشير إلى تقدم الدول أكثر فأكثر إذا ما طبقت الأفكار والقيم الغربية العلمانية.

ولكن بنهاية السبعينيات، كانت العودة إلى الإسلام على المستويين الشخصي والعام - بدا وكأنه قلب العالم رأسًا على عقب. فقد رأى العديدون أن هذا الإحياء للإسلام غير

منطقي ولا عقلاني، وأنه يميل إلى نزعة رجعية إلى القرن السابع. ولكن ما يدعو إلى السخرية أن أكثر أمثلة الدول ابتعادًا عن العلمانية والعودة إلى الدين حدثت في أكثر البلاد تطورًا وانتماءً للغرب مثل مصر، ولبنان، وإيران.

وأصبح العديد من المسلمين أكثر تقيدًا بالإسلام، وأكثر حرصًا على الصلاة، والصيام، وارتداء الزي الإسلامي، كما أصبحوا أكثر ميلا للحفاظ على التقاليد والقيم العائلية، وأعادوا تجديد رغبتهم في الميل إلى الزهد والتصوف. وعاد الإسلام إلى الظهور كبديل عن الفشل الذريع للوطنية العلمانية، والرأسمالية، والاشتراكية. وكان الحكام بدءًا من مصر، والسودان، وليبيا، وحتى إيران، وباكستان، وماليزيا، وإندونيسيا بالإضافة إلى حركات الإصلاح والمعارضة، يلجئون إلى الشعارات والخطب والأمثلة الدينية للحصول على مشروعيتهم وعلى الدعم الشعبي والجماهيري.

عودة الدين في السياسة الإسلامية: كيف ولماذا؟

كان القليل فقط من الرؤساء متحدثين لبقين. وكان رونالد ريجان واحدًا من أفضل هؤلاء المتحدثين. فقد كان يستطيع التواصل مع مستمعيه سواء أكان عددهم صغيرًا أم كبيرًا، وكان يحرك مشاعرهم، ويشجعهم، بل ويحفزهم. وعندما أدلى ريجان بخطابه الرئاسي في المؤتمر الوطني الجمهوري، بدا مثل المبشر الديني الذي يدعو إلى صحوة أمريكية، مستعملا المنطق الديني والسياسي لمعنى الصحوة. ولكن لم يسر كل شيء على ما يرام في أمريكا: حيث قام خوميني بالإطاحة بالشاه الإيراني، واحتجز الدبلوماسيين الأمريكيين كرهائن لأكثر من عام؛ مما عرض الاقتصاد الأمريكي لصعوبات جمة؛ وأدى إلى تضاؤل قوته القيادية. ولكن ريجان طمأن الشعب الأمريكي بأن لديه خطة لإعادة أمريكا إلى مكانها الصحيح والطبيعي. فأوضح المشكلة الرئيسية وقدم الحل:

* المشكلة هي: فشل أمريكا بسبب نسيانها أو ابتعادها عن المبادئ والقيم التي وضعها مؤسسوها، والتي جعلت من أمريكا دولة قوية في الداخل والخارج.
* العلاج: على أمريكا أن تعيد تجديد نفسها، وأن تستعيد هويتها وقيمها، وأن تستعيد «قدرها المحتوم». بمعنى أن ريجان دعا إلى التعصب الأمريكي!؛ حيث دعا إلى العودة إلى المبادئ والقيم الأمريكية الرئيسية التي ستعيد لأمريكا مجدها، وقوتها، وثروتها، وتجعلها تتولى منصب القيادة العالمية مرة أخرى.

وفي الوقت نفسه لم يدرك الكثيرون أنه كانت هناك صحوة من نوع آخر في العالم

الإسلامي وذلك في أواخر السبعينيات وأوائل الثمانينيات. والتي استمرت لعدة عقود من الزمان، تضطلع عل السياسة والدين، متخذة أشكالًا عديدة ومتنوعة.

هذا الإحياء للدين في أمريكا والعالم الإسلامي، لم يكن فقط بشأن الدين، بل كان رد فعل للفشل السياسي، والاقتصادي، والاجتماعي، ولفقدان معنى الهوية، ولليأس العميق. فهذه الرغبة في الإحياء الديني، كانت حنينًا للعودة للمثالية القديمة، وإلى زمن المؤسسين، ولمحاولة إعادة المبادئ، والآراء، والقيم التي تمثل الإرشاد الإلهي، وإدراك الغرض والهدف، ومن ثم النجاح.

وفي السبعينيات وبالرغم من حصول معظم دول العالم الإسلامي على استقلالها بحلول منتصف القرن العشرين، تحطمت آمال وأحلام العديد من المسلمين عبر سلسلة من الصدمات في العالم الإسلامي. وأدى الفشل السياسي، والاقتصاي، والعسكري الذي أضعف الحكومات، إلى تغريب الرؤساء المنتخبين ونماذجهم التنموية السياسية، والاقتصادية، والتعليمية، والقانونية. وكانت الهزيمة المنكرة لأقوى الجيوش العربية: مصر، وسوريا والأردن وخسائرهم الفادحة لأراضيهم (سيناء، والضفة الغربية، والقدس الشرقية) في الصراع العربي الإسرائيلي عام ١٩٦٧، المعروفة بحرب الأيام الستة ضربة قاصمة لقوة العرب وفخرهم.

وتحول موضوع خسارة القدس وتحريرها إلى قضية دولية استلزمت الرأي العام للمسلمين في العالم الإسلامي كله. وكانت الهزيمة المنكرة للعرب في أعقاب حرب الأيام الستة تعرف باسم «الكارثة»، التي جعلت المفكرين العلمانيين والمتدينين يحاولون إجابة السؤال الملح: «لماذا؟» لماذا تعرضت قوات العرب جميعًا للدمار السريع والكامل؟ ما الذي جعل العرب في هذه الحالة من الضعف والانهزامية؟ الأمر الذي جعل هذه الأزمة في البحث عن الهوية يسلط الضوء على فشل الحكومات العربية.

فالبرغم من الأمال والتوقعات التي علقتها الدول الإسلامية على استقلالها، واتباعها النماذج الغربية في المؤسسات السياسية، والاقتصادية، والعسكرية، وفرض قبضتها التسلطية، سادت الاقتصادات الفاشلة، واتسعت الهوة بين الفقراء والأغنياء، وتفشى الفساد وزاد التهديد بتغريب الهوية العربية الإسلامية. وازدادت خيبة الأمل من الأساليب الغربية للتنمية في العالم الإسلامي بسبب الدعم الأمريكي السياسي والعسكري لإسرائيل في حرب ١٩٦٧. واستنتج الكثيرون أن الاعتماد الزائد على الغرب، كمثال

للتطور أو كحليف، أضعف العالم العربي أكثر مما قواه. مما عزز لدى المسلمين شعورًا بالنقص، والدونية، الناتج عن قرون من الاستعمار الغربي، والذي ترك فكرًا متوارثًا من الإعجاب (بقوة الغرب، وعلمهم، وتقدمهم التنكولوجي) يضاهيه شعور عميق بالاحتقار للغرب بسبب تدخله واستغلاله للعالم العربي.

وكانت الحركات الإسلامية الناشطة مثل جماعة الإخوان المسلمين في مصر والجماعة الإسلامية بجنوب آسيا يذكرون بتحذيرات السالفين من مخاطر الاستعمار الغربي، وعلمانيته، وكنائسه:

«يسعى الغرب بالتأكيد لإذلالنا، واحتلال أراضينا، ومحاولة تدمير الإسلام عن طريق إبطال شرائعه، وطمس تقاليده؛ وهم يقومون بذلك وفقًا للتوجيه من الكنيسة؛ فسلطة الكنيسة هي التي تعمل على توجيه السياسات الداخلية والخارجية للكتلة الغربية بقيادة إنجلترا وأمريكا» (٧٤).

واستحث العديدون منهم المسلمين على العودة إلى المبادي والقيم الإسلامية التي جعلت من الدول الإسلامية قوة لا يستهان بها على مر العصور، مؤكدين أن المسلمين يجب أن يستعيدوا تراثهم العربي الإسلامي، وتاريخهم، وثقافتهم، وقيمهم. وأدى هذا السعي إلى هوية أكثر تاريخية وأصيلية إلى عودة الدين إلى السياسة والمجتمع في العالم الإسلامي، الذي مازال يمثل قوة عظمى في السياسات الإسلامية حتى اليوم.

أما في جنوب آسيا فقد اكتسب الدين المزيد من القوة؛ حيث قضت الحرب الأهلية الباكستانية مع بنجلاديش عام ١٩٧١ على أي أمل في القومية الإسلامية، التي كانت من المفترض أن توحد بين الاختلافات الأخلاقية واللغوية بين المسلمين في شرق باكستان وغربها؛ مما جعل الكثير من الباكستانيين في أعقاب الحرب الباكستانية ينادون بالعودة إلى سبب وجودهم، وإلى وطنهم وجمهوريتهم الإسلامية؛ حيث اتجه رئيس الوزراء الباكستاني ذو الفقار علي بوتو الحاصل على تعليمه من جامعة كاليفورنيا في بيركلي وجامعة أكسفورد إلى دول الخليج العربي ليس بسبب معتقداته الدينية الخاصة أكثر مما هو للمساعدات الخارجية والعمل؛ فقد أكد بوتو على عقيدتهم المشتركة ووحدتهم الإسلامية، ولكن في المقابل كان عليه أن يستجيب إلى توقعاتهم بتقديم الدعم للإسلام بشكل أكثر وضوحًا.

ويمكن ملاحظة العودة إلى الإسلام ليس فقط بين مسلمي السنة، ولكن أيضًا بين

مسلمي الشيعة، كما في إيران، ولبنان التي اعتبرت في الستينيات والسبعينيات من أكثر الدول العربية استقرارًا، وتمدنًا. وكانت عاصمتها بيروت ملتقى الطرق بين الشرق والغرب، ومركزًا للمعاملات المالية والتجارية، كما تميزت بفنادقها الفخمة، ومتاجرها، ودور السينما، وتقدمها التكنولوجي. واشتهرت لبنان بكونها مثالًا للتعايش السلمي بين أفراد المجتمع المتعدد الأديان الذي يضم خليطًا من المسيحيين، والمسلمين (السنة والشيعة)، والدروز معًا. إلا أن الحرب الأهلية اللبنانية من ١٩٧٥ حتى عام ١٩٩٠ حطمت هذا النموذج الأسطوري اللبناني الناجح.

وعلى مر السنين حولت التغيرات السكانية الأقليات الإسلامية من (السنة والشيعة) إلى أغلبية مهمشة وساخطة، تطالب بإعادة توزيع السلطة السياسية والاقتصادية من أيدي المسيحيين. وكان الشيعيون من بين هؤلاء المعارضين ومن الأصوات القوية التي كونت قوات عسكرية حاربت المسيحيين اللبنانيين والجيش الإسرائيلي، بالإضافة إلى المستمرين الأجانب. وفي السبعينيات والثمانينيات ظهرت حركتان من أهم الحركات الشيعية العسكرية واللتان مايزال لهما تأثير قوي حتى اليوم، الأول: حركة أمل أو حزب (المقاومة المستقلة اللبنانية) والذي تكون عام ١٩٧٤ كتنظيم عسكري لمنظمة الإصلاح الشيعي، وهو حزب لحماية وتأييد حقوق ومصالح الشيعة في لبنان، الثاني: وهو الأشهر والمعروف بسمعته السيئة والدعم الإيراني له المسمى بحزب الله العسكري، والذي أُنشئ لمحاربة الغزو والاحتلال الإسرائيلي في جنوب لبنان عام ١٩٨٢. وقد أدين حزب الله بالعديد من عمليات الاختطاف، واحتجاز الرهائن، ومهاجمة السفارات، بما في ذلك تفجير الشاحنات، الذي قُتل فيه أكثر من ٢٤٠ جنديًا من جنود المشاة البحرية الأمريكيين داخل ثكناتهم العسكرية في بيروت عام ١٩٨٣ (وهو الاتهام الذي أنكره حزب الله).

وبعد الحرب الأهلية اللبنانية، ظهر حزب الأمل كقوة رئيسية في الأحزاب الانتخابية في لبنان. وكان نبيه بري زعيم الحزب قد انتخب رئيسًا للبرلمان. وعلى الجانب الآخر مازال حزب الله يمثل أيضًا قوة عسكرية ملحوظة كما ظهر في الحرب بين حزب الله وإسرائيل عام ٢٠٠٦، بالإضافة إلى كونه قوة سياسية، لها أعضاؤها المنتخبون في البرلمان اللبناني ومجلس الوزراء. وهو أيضًا ممول أساسي للكثير من الخدمات الاجتماعية والزراعية للآلاف من اللبنانيين، كما يقوم ببناء المدارس والمستشفيات، وهو المسئول عن قناة المنار التلفزيونية الفضائية والمحطة الإذاعية التابعة له [٧٥].

الثورة الهادئة: بالاقتراع، وليس بالرصاص:

بالرغم من سيطرة الخوف في الثمانينيات بسبب الموجة الإيرانية المتطرفة التي أطاحت باستقرار الحكومات، مستخدمة العنف والإرهاب، أدت الاقتصاديات المتداعية والاضطرابات العامة في التسعينيات إلى نتيجة مختلفة تمامًا؛ حيث كان البديل عبارة عن ثورة هادئة لا يشوبها العنف على الإطلاق يقودها النشطاء الإسلاميون، والتي تمكنت على غير المتوقع من تحقيق الحل الإسلامي.

فلقد ظلت الغالبية العظمى من الحكومات في دول العالم الإسلامي (العلمانية والدينية على حد سواء) ديكتاتورية، نتيجة سنوات من الخضوع لحكم الاستعمار الأوروبي، وأنظمة ما بعد الاستقلال التي لم تشجع الحكومات، أو المؤسسات والقيم الديمقراطية، إلا أنه في أواخر الثمانينيات وأوائل التسعينيات واستجابة لأعمال الشغب بسبب الغذاء، والاحتجاجات، والمظاهرات الضخمة التي تلت ذلك، جرت انتخابات في عدد من البلدان بما فيها الأردن، وتونس، والسودان، والجزائر، ومصر. ولم تتجل الروح الإسلامية بوضوح في أي مكان كما تجلت في هذه السياسات الانتخابية والاجتماعية الناشئة. فقد فاز المرشحون الإسلاميون في الانتخابات المحلية والدولية وتقلدوا الزعامة في الجمعيات المهنية والنقابات العمالية. وقام النشطاء الإسلاميون بتوفير المدارس، والعيادات والمستشفيات الطبية، ودور الحضانة، كما قاموا أيضًا بتوفير المساعدات القانونية، ومراكز الشباب، والعديد من الخدمات الاجتماعية الأخرى. وانتشرت في ذلك الوقت المساجد الخاصة (وليس التابعة للحكومة)، والمؤسسات المالية مثل البنوك الإسلامية وشركات التأمين.

إلا أن المشاركات السلمية للنشطاء الإسلاميين والحركات الإسلامية أسفرت في بعض الأحيان عن معارضة شديدة. فمثلاً في عام ١٩٩١ أذهلت الانتخابات في الجزائر الحكومة الجزائرية والغرب كليهما حينما فاز الحزب الجزائري الإسلامي المعروف باسم (الجبهة الإسلامية للإنقاذ) في الجولة الأولى من الانتخابات الافتتاحية العامة المتعددة الأطراف. وبالرغم من القبض على بعض زعماء الحزب الإسلامي واعتقالهم بعد فوزهم في الانتخابات المحلية، فقد فاز مرشحون آخرون في الانتخابات البرلمانية باكتساح، وكان حزبهم على استعداد لتولي السلطة. ولكن فكرة وجود حكومة إسلامية من خلال

الانتخابات بدلًا من الرصاصات أثارت ردود أفعال متطرفة. حيث اعتبر الجيش الجزائري فوز الحزب الإسلامي في الانتخابات باطلا، وقام بإلقاء القبض على أعضائه، وتعيين حكومة جديدة تابعة له. مما أدى إلى إشاعة روح الانقسام في المجتمع الجزائري وأسفر عن حرب أهلية طويلة الأمد (١٩٩٢- ١٩٩٩)، راح ضحيتها مئات الآلاف من الأرواح.

أما في الأماكن الأخرى من العالم الإسلامي فقد ساعدت الانتخابات الديمقراطية المرشحين الإسلاميين على الوصول إلى مناصب عليا في الحكومة. ففي تركيا، التي كانت معقلا للعلمانية في الشرق الأوسط، أصبح الدكتور نجم الدين أربكان الذي كان زعيم الحزب الإسلامي رئيسًا للوزراء في عام ١٩٩٦ وحتى ١٩٩٧؛ أما في ماليزيا فقد تولى أنور إبراهيم مؤسس حركة الشباب المسلمين في ماليزيا عام ١٩٧١ منصب مساعد رئيس الوزراء من عام ١٩٩٣ وحتى ١٩٩٨؛ وفي إندونيسيا انتخب عبد الرحمن وحيد الذي كان رئيسًا لأكبر حركة إسلامية في البلاد المسماة بنهضة العلماء رئيسًا لمجلس الشعب الاستشاري عام ١٩٩٩، واستمر هذا الاتجاه حتى القرن الواحد والعشرين.

وفي السنوات الأخيرة، استمر الأحزاب والمرشحون الدينيون في إثبات نجاحهم في الانتخابات. ففي الانتخابات العامة في العراق في أواخر عام ٢٠٠٥، فاز الحلف الشيعي بـ ١٢٨ مقعدًا من أصل ٢٧٥[٧٦]. كما قام المرشحون النشطاء الإسلاميون بدور بارز في انتخابات المملكة العربية السعودية عام ٢٠٠٥ وفازوا بجميع المقاعد في الانتخابات المحلية في كل من مدينتي مكة والمدينة[٧٧]. وفي مصر فازت جماعة الإخوان المسلمين المحظورة بشكل غير مسبوق بعشرين في المائة من مقاعد البرلمان في أواخر عام ٢٠٠٥. أما عن أول انتخابات في القطاع الفلسطيني بعد عقد من الزمان، حققت فيها حماس انتصارًا ساحقًا على الحزب العلماني الحاكم (فتح) في بداية عام ٢٠٠٦. وفي الكويت أحكم الناشطون الإسلاميون قبضتهم على الجمعية الوطنية الكويتية، وحصلوا على ٢١ مقعدًا من أصل ٥٠ مقعدًا. أما في الجمهورية التركية، فقد فاز حزب العدالة والتنمية فوزًا ساحقًا في انتخابات عام ٢٠٠٢، وتم انتخابه مرة أخرى في يوليو عام ٢٠٠٧ فأذهل الجميع بفوزه فوزا مذهلا وحصوله على ٤٧٪ من الأصوات أكثر مما حصل عليه في انتخابات عام ٢٠٠٢ حيث حصل على ٣٤٪ فقط من الأصوات.

وكانت انتصارات حزب العدالة والتنمية في تركيا جديرة بالملاحظة بسبب حصوله على غالبية الأصوات في الانتخابات البرلمانية في دولة إسلامية اعتُبرت لوقت طويل رمزًا للعلمانية في الشرق الأوسط. وبالرغم من أن مؤسسيه رجب أردوجان (وهو رئيس الوزراء) وعبد الله جول (الذي كان وزيرًا للخارجية ثم أصبح رئيسًا للبلاد فيما بعد)، كانا عضوين بارزين في الحزبين الإسلاميين الرفاه، ثم الفضيلة الذي تلاه بعد ذلك، اختارا أن ينشئا حزب العدالة والتنمية الذي كان أكثر شمولًا وتنوعًا (أي: غير إسلامي) مع تركيز قوي على محاور التنمية الاقتصادية والاجتماعية. فحزب العدالة والتنمية هو حزب معتدل، موال للغرب، ينادي بحرية الاقتصاد وانضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبي؛ حيث يشير تاريخه وأعماله إلى أن الواقعية في السياسة، يمكن أن توصل الإسلاميين إلى التعلم من تجاربهم، وتوسيع آفاقهم، والتكيف مع الدوائر الانتخابية المتعددة، والحكم بكفاءة وفعالية.

وقد بدأ فترة ولايته عام ٢٠٠٢ الوقت الذي كانت تركيا فيه تتعافى من تأثير الأزمة المالية الضخمة التي مرت بها، فقام بتحسين الاقتصاد التركي بشكل ملحوظ في السنوات الأربعة التي تلت ذلك. وهبط التضخم المالي بشكل مؤثر خلال هذه السنوات الأربع نتيجة النمو القوي، وذلك، من الأرقام المضاعفة التي تقارب في بعض الأحيان المائة في المائة إلى ٦٫٩ ٪ والتي كانت أقل نسبة منذ عام ١٩٧٠، كما ارتفعت معدلات الاستثمار ونمو الشركات، وقام الحزب أيضًا بتنفيذ البرامج الاجتماعية القوية من أجل الفقراء في الريف والمدن.

بالإضافة إلى أن الحزب قاد الحكومة إلى إثبات نجاحها على المستوى الدولي بشكل أفضل من سابقيها، وذلك بالعمل على قبول ضم تركيا إلى الاتحاد الأوروبي، والعديد من الاهتمامات الأخرى التي تحيط بالولايات المتحدة والدول الإسلامية، وذلك مع المحافظة على استقلال تركيا، أما محليًّا فقد عبر الجيش والمعارضة العلمانية عن مخاوفهما من أن «الحكومة الإسلامية» أثبتت عدم جدواها. وقد أعاد حزب العدالة والتنمية تجديد التزامه بالعلمانية التركية، إلا أن فكرهم عن العلمانية، وفصل الدولة عن المؤسسات الدينية، يتعارض بقوة مع الاتجاه العلماني المتشدد المعادي للدين؛ فقد ظهر الخوف من الدين بوضوح في التوتر الذي حدث بشأن حق المرأة في ارتداء الحجاب؛ حيث بالغ العلمانيون في قلقهم بأن التراخي في القوانين حول ارتداء المرأة للحجاب من الممكن أن

يؤدي إلى إجبار جميع النساء على ارتداء غطاء للرأس، مما جعله يغطي على الجانب الإنساني من الموضوع بشكل كبير؛ حيث منعت النساء التركيات اللاتي يرتدين الحجاب من العمل في الحكومة، ومن العمل أو الدخول إلى المباني الحكومية، وأيضًا من دخول الجامعات. والمثال الأكثر وضوحًا كان عندما تولى حزب العدالة والتنمية السلطة. لم تستطع زوجات رئيس الوزراء والغالبية من زوجات أعضاء مجلس الوزراء ومجلس الشعب حضور حفل الاستقبال السنوي الذي يقيمه الرئيس التركي ذو الاتجاه العلماني بسبب ارتدائهن أغطية الرأس. والأكثر من ذلك أن ابنتي رئيس الوزراء لم تستطيعا دخول الجامعة في تركيا بسبب ارتدائها الحجاب، فقامتا بمتابعة دراستهما في الولايات المتحدة بدلًا من ذلك!.

سياسات الحكومات الإسلامية:

بالرغم من الإنجازات التي حققتها بعض الأحزاب الإسلامية والآمال التي عقدها الديمقراطيون المسلمون الآخرون، مازال الديكتاتوريون يسودون بشكل أكبر من الديمقراطيين في العالم الإسلامي، فحكومة واحدة من كل أربع حكومات من غالبية البلدان الإسلامية بها حكومة منتخبة ديمقراطيًا. والبلدان المزعوم إقامة انتخابات ديمقراطية بها يفوز فيها الحكام في الانتخابات بشكل منتظم بنسبة ٩٠٪ إلى ٩٩،٩٪. فالرئيس التونسي زين العابدين بن علي فاز بـ ٩٩،٤ ٪ من الأصوات في انتخابات عام ١٩٩٩ وبـ ٩٤،٥٪ من الأصوات في عام ٢٠٠٤. وفي مصر فاز الرئيس حسني مبارك في عام ١٩٩٩ بنسبة ٩٤٪ من الأصوات، وبنسبة ٨٨،٦ ٪ في عام ٢٠٠٥. لذا فإن مثل هذه الحقائق تقودنا إلى الاعتقاد السائد بأن المسلمين يرفضون الحريات الديمقراطية، وأن الإسلام يتعارض مع الديمقراطية. ومع هذا فإنه من المهم السؤال ما إذا كانت هناك فرصة سانحة لمثل هذه الحريات، فالغالبية من الحكومات الإسلامية يقيدون أو يحدون بشدة أي معارضة لأحزابهم السياسية أو المنظمات غير الحكومية التابعة لهم. فهم يملكون السلطة لترخيص أو حظر أو إحلال جميع المنظمات والتحكم في مقدرة المنظمة على عقد الاجتماعات العامة والوصول إلى وسائل الإعلام.

فالأنظمة الديكتاتورية والقمعية في العراق، ومصر، وسوريا، والجزائر، وتونس، وأوزباكستان- خلقت أجواءً لا تستطيع فيها المعارضة السلمية أن تقوم بوظيفتها أو تكون فعالة، تاركين المجال للسياسات البديلة التي تولد الاستجابات العنيفة. فالحرب ضد الإرهاب العالمي استخدمتها الحكومات مثل (مصر، وتونس، والسعودية،

وأوزباكستان، وباكستان، وإسرائيل) كذريعة للحد من القوى الديمقراطية، وتقييد سلطة القانون والمجتمع المدني، ولقمع الحركات الإصلاحية السلمية. فالمعارضون سواء أكانوا علمانيين أو إسلاميين، متشددين أم معتدلين، يصنفون جميعًا على أنهم متطرفون؛ وذلك حتى يتسنى لهم التحكم في الانتخابات وتعزيز شرعية الحكم الديكتاتوري. ففي مصر مثلا، عندما خاض مبارك الانتخابات التعددية في عام ٢٠٠٥ لتجديد فترة رئاسته، والتي كانت الأولى من نوعها في مصر، وعد مبارك بإلغاء قوانين الطوارئ التي تسمح بالاعتقالات والحبس التعسفي. فتلك القوانين ظلت قائمة منذ أن تولى مبارك الحكم في عام ١٩٨١، ومن المحتمل أن تظل كذلك بعد أن أخلف وعده بإلغائها، زاعمًا أن هناك بعض المخاوف «الأمنية» مثل: «العيش في إقليم تسوده الاضطرابات»؛ حيث قال: «علينا أن نضع في اعتبارنا أن مصر مستهدفة من وقت لآخر»[٧٨]. واستمرت حكومته في التهديدات والاعتقالات، والحبس لمعارضيها في المنظمات غير الحكومية في المجتمع، وعبر وسائل الإعلام، والأحزاب السياسية، والإخوان المسلمين.

وعليه، فإن العديد من البلدان ماتزال «دولًا أمنية» أي أن: حرية المنظمات والجمعيات فيها وحرية الفكر والتعبير مازالت محدودة بشكل كبير. وفي هذا الصراع المستمر والاختيار الحرج بين الانتخابات أو الرصاص للوصول إلى التغيير السياسي، أو وجود المثقفين ذوي الفكر المستقل سواء أكانوا إسلاميين أم علمانيين، يتم إخماده إما بسبب المخاوف الأمنية من جهة، أو الجماعات الإسلامية المتطرفة من جهة أخرى، مما جعل هذه الظروف تخلق تيارًا من المحْدَثين الراغبين بمحاربة ما يعتبرونه أنظمة غير إسلامية وقمعية وموالية للغرب. لذا فعندما نتأمل الحركات الإسلامية الاجتماعية والسياسية كتهديد لنا في الحاضر والمستقبل، علينا أن نضع في اعتبارنا أن الأنظمة الديكتاتورية القائمة تماثل في ذلك خطورتها على مجتمعاتنا.

فقد خلقت الحقائق في العالم الإسلامي جوًّا خصبًا لنمو المذهب الجهادي الذي كان آخذًا في النمو منذ منتصف القرن العشرين، بدءًا من مصر بسبب السياسات القائمة فيها، والتي أسهمت في إشعال نار الإرهاب، داخل البلاد أولًا، ثم لاحقًا في السعودية ودول الخليج البترولية، وإلى جميع أنحاء العالم بعد ذلك.

بداية ونمو المذهب الجهادي:

لقد سلطت أحداث ١١ من سبتمبر الضوء بشكل مضاعف على الصراع العسكري

الدائر داخل المجتمعات الإسلامية، والذي كان آخذًا في النمو لسنوات طويلة. فاليوم أصبحت كلمات مثل «مجاهد» و«الحركات الجهادية» يستخدمان بشكل واسع، بالرغم من عدم فهم معناهما دائمًا. وهذا الفهم القاصر كان نتيجة تطور التطرف والإرهاب من مجرد كونه تهديدًا محليًّا إلى تهديد عالمي.

فالعنف والإرهاب ضد الأمريكيين، وضد الغرب الذي يظهر اليوم بشكل واضح عالميًا- تمتد جذوره بعمق عبر مئات السنين؛ حيث أوجده أصحاب المذاهب الفكرية مثل المصري سيد قطب، والفلسطيني محمود عزام، وساعده الزعماء السياسيون والدينيون المتطرفون مثل آية الله خوميني، ومعمر القذافي، وصدام حسين، وأسامة بن لادن، وأيمن الظواهري. فبينما تثير هذه الأسماء لدى الغرب صورًا لأشرار وحشيين، يُعتبر البعض منهم- وخاصة أسامة بن لادن- أبطالًا في العالم الإسلامي، وترسم صورهم على القمصان القصيرة، والملصقات الجدارية، وتنشر لهم التسجيلات الصوتية والمصورة. إذن ما الذي يفسر التمجيد الذي يتلقاه هؤلاء الزعماء في العالم الإسلامي.

فسيد قطب (١٩٠٦- ١٩٦٦) الذي يعتبر الأب الروحي المسلمين المتشددين (مثلما كان كارل ماركس للشيوعية)، كان له أكبر الأثر على الحركات المتطرفة في أنحاء العالم الإسلامي؛ حيث ألهمت كتاباته المجاهدين الذين يعتبرون جهادهم حربًا مقدسة، ضد الاحتلال، والقمع والاستعمار الغربي والأمريكي؛ حيث تخبرنا حياته الكثير من الأشياء المهمة حول نشأة المتطرفين الدينيين.

كان القليلون فقط يتنبئون بأن مثل هذا الرجل المثقف، والمدرس، والناقد الأدبي، والموظف بالحكومة- يمكن أن يصبح داعيًا للإسلام المتشدد؛ حيث إنه درس الأدب الغربي مثله في ذلك مثل الكثيرين من أقرانه في ذلك الوقت، ونشأ معجبًا بالغرب، ثم سافر سيد قطب إلى الولايات المتحدة عام ١٩٤٩ لدراسة المنظمات التعليمية هناك، وكان ما شاهده هناك نقطة تحول في حياته وفكره. فالبرغم من مجيئه للولايات المتحدة بسبب إعجابه بها، فقد تعرض هناك لصدمة ثقافية وخيبة أمل كبيرة؛ فقد أقنعه ما لاقاه هناك بمدى مادية الغرب، وعنصريته، وظلمه الاجتماعي، وتحرره، بالإضافة إلى تحيزه ضد العرب، وهو الأمر الذي أدركه من خلال حكومة الولايات المتحدة ووسائلها الإعلامية ودعمها لإسرائيل. فبعد عودته بوقت قصير لمصر عام ١٩٥١ انضم إلى جماعة الإخوان المسلمين.

وقد نمت نظرة سيد قطب المتشددة من خلال الصدام بين الحكومة المصرية القمعية وجماعة الإخوان المسلمين في فترة الخمسينيات والستينيات. ففي الخمسينيات ظهر سيد قطب كأكثر الأعضاء النشطين والمؤثرين من الشباب في جماعة الإخوان المسلمين. وكان سجنه وتعذيبه في عام (١٩٥٤ - ١٩٦٤) الحافز الأكبر في تحوله من مفكر وكاتب ديني متميز إلى متشدد ومستنكر لكل من الحكومتين المصرية والأمريكية ومدافع عن شرعية الجهاد.

ويمكن ملاحظة نظرته الجهادية في كتيبه الدعائي (معالم على الطريق)، وهو كتاب صغير كتبه أثناء قضائه مدة عقوبته في السجن، والذي استخدم كدليل ضده أثناء محاكمته ثم الحكم عليه بالإعدام في عام ١٩٦٦. وقد خلقت كتابات سيد قطب وأفكاره نظرة دينية عالمية، وشجعت أحاديثه الأجيال التي تلته من النشطاء السياسيين سواء أكانوا معتدلين أم متشددين، بما في ذلك جماعة (الجهاد الإسلامية)، التي قامت باغتيال الرئيس المصري أنور السادات، وتنظيم القاعدة الذي أنشأه أسامة بن لادن؛ حيث أعادت تعاليم سيد قطب تشكيل العالم إلى أقطاب متنافرة من الأبيض والأسود بلا ظلال رمادية؛ فليس أكثر من الوصول إلى بديل في المستقبل البعيد، وهو أن إيجاد حكومة إسلامية فرض عين على المسلمين أن يقوموا بتنفيذه فورًا:

هناك مكان واحد على الأرض يمكن أن يسمى ببيت الإسلام (دار الإسلام)، وهو المكان الذي تقام فيه دولة إسلامية وتطبق فيه الشريعة الإسلامية، وتقام فيه حدود الله، ويقوم المسلمون بتدبير شئون البلاد عن طريق مبدأ الشورى، أما بقية العالم فهي (دار الحرب)(٧٩).

بسبب الطبيعة القمعية والديكتاتورية للحكومة المصرية والكثير من الحكومات الأخرى في العالم الإسلامي، استنتج سيد قطب أن التغيير داخل النظام الحكومي نفسه سيكون عديم الجدوى، وأن الإسلام كان على شفير الانهيار. ورأى أن الجهاد المسلح دفاعًا عن الإسلام ضد الظلم والاضطهاد الذي تقوم به الحكومات غير الإسلامية، والدول الاستعمارية في الغرب والشرق (كالاتحاد السوفيتي)- هو شيء ضروري لإقامة نظام إسلامي عادل. وأن ذلك واجب على جميع المسلمين، وأن المسلمين الذين يتخلفون عن أداء هذا الواجب يعتبرون أعداء الله، ويصنفون على أنهم من المرتدين عن الإسلام

ويتم تكفيرهم، ومحاربتهم وقتلهم، مثلهم في ذلك مثل أي أعداء آخرين لدين الإسلام. ولقرون من الزمان ظلت العديد من الجماعات المتشددة تؤمن بآراء سيد قطب حتى بعد مماته، وقاموا بالحفاظ عليها في مذاهبهم ومناهجهم فيما بعد. فقد قام عبد الله عزام وأسامة بن لادن بتحويل أفكار سيد قطب إلى تطبيق كمذهب عالمي للجهاد.

فقد وُصف عبد الله عزام (١٩٤١ - ١٩٨٩) بأنه أمير الجهاد العالمي. فقد كان محدثًا مفوهًا، دعا إلى المواجهة المسلحة قائلا: «بالجهاد والسلاح فقط: وليس بالمفاوضات، ولا المؤتمرات، ولا المحادثات»[٨٠] وقد كانت آراؤه الجهادية مشروطة بما ذكره سيد قطب من حقائق سياسية ومن واقع تجربته الشخصية للاحتلال الفلسطيني والأفغاني، ثم قابل تلميذه أسامة بن لادن في السعودية، والذي أصبح بعد ذلك مستشاره في أفغانستان.

فقد ولد عبد الله عزام وتعلم في فلسطين، ثم هاجر بعد ذلك إلى الأردن بعد حرب ١٩٦٧ بين العرب وإسرائيل مثله في ذلك مثل الكثير من الفلسطينيين، حيث استمر في جهاده ضد إسرائيل، وبسبب استيائه من منظمة التحرير الفلسطينية التي أنشأها ياسر عرفات، ذهب للدراسة في القاهرة فالتقى هناك الشيخ عمر عبد الرحمن، وهو المرشد الروحي للجهاد في مصر، والدكتور أيمن الظواهري الذي سيصبح فيما بعد الذراع الأيمن لأسامة بن لادن.

وبعد حصوله على الدكتوراه في الشريعة الإسلامية في جامعة الأزهر عام ١٩٧٣، قام عبد الله عزام بالتدريس في جامعة الملك عبد العزيز في المملكة العربية السعودية؛ حيث التقى بالطالب أسامة بن لادن، فقام هو وابن لادن بإنشاء مكتب الخدمات لتعيين ومساعدة المجاهدين من العرب، المدَّعَيْن بالأفغان العرب. فالبنسبة لعبد الله عزام كانت أفغانستان مجرد الخطوة الأولى للجهاد العالمي؛ فقد ذكر أنه «لن ينتهي هذا الواجب بالنصر في أفغانستان، فالجهاد سيبقى فرض عين حتى تعود للمسلمين جميع الأراضي التي كانت فيما قبل إسلامية، ويعود الإسلام إلى سابق عهده، فمازال باقيًا أمامنا فلسطين، وبخارى، ولبنان، والتشاد، وأريتريا، والصومال، والفلبين، وبورما، وجنوب اليمن، وطشقند، والأندلس [جنوب إسبانيا]»[٨١].

فعلى عكس التقاليد والشرائع الإسلامية، التي جعلت الجهاد فرضًا جماعيًا، قام عبد الله عزام بإصدار فتوى (كما سيفعل أسامة بن لادن فيما بعد) بأن الجهاد في أفغانستان

هو فرض عين على كل مسلم قادر صحيح البدن. وستنتشر فيها بعد الفتوى المسماة بالدفاع عن الأراضي الإسلامية بمقدمة كتبها الشيخ عبد العزيز بن باز، المفتي العام للملكة العربية السعودية والذي سيقوم أيضًا بإصدار فتوى مماثلة.

فبجانب التمويل والوعظ الذي كان عبد الله عزام يقوم به كان تركيزه الرئيسي على عقيدة الجهاد والاستشهاد، وهو تكريس الفرد حياته لله وانتظاره الجزاء بدخول الجنة، فقد أشار قائلا: «لقد سافرت لأعرف الناس الجهاد... فنحن نحاول إرواء توقنا للشهادة. ومازلنا نحب هذا الطريق»[٨٢]. وقد نمت أفكاره وانتشرت في الكتب، والأشرطة المسموعة، والمرئية، والمجلات مثل مجلة الجهاد التي توزع عالميًّا، إلى أن انتهت حياة عبد الله عزام بعد ذلك في حادث انفجار ألم بسيارته، ولكن مازال مذهبه الجهادي يتم تنفيذه وتطبيقه على أيدي الكثيرين مثل أسامة بن لادن وأمثاله.

فمن كان يظن أن ابن النشأة السعودية سيعود ليصبح أكثر إرهابي مطلوب في العالم؟ فقد ولد أسامة بن لادن في الرياض عام ١٩٥٧ لأسرة مشهورة ذات صلات قوية بالملك، وتملك واحدة من أكبر شركات الإنشاء في الشرق الأوسط، ثم درس ابن لادن الاقتصاد والإدارة في جامعة الملك عبد العزيز، وحصل على درجة البكالوريوس في الإدارة العامة عام ١٩٨١. وقد تأثرت آراء أسامة بن لادن في شبابه بالأجواء الدينية في دولة السعودية وما بها من الفكر الوهابي المتزمت، والآراء المتطرفة لعبد الله عزام وسيد قطب، والظروف السياسية والصراعات القائمة في الشرق الأوسط. والتي تضمنت ازدياد قوة ووضوح حركات المعارضة الإسلامية الداخلية مثل الإخوان المسلمين، ومجموعة من الجماعات المتطرفة في مصر، بالإضافة إلى الثورة الإسلامية الإيرانية التي شجعت النشطاء الإسلاميين في أنحاء كثيرة من العالم. فقد اهتزت السعودية نفسها من حادث الاستيلاء على المسجد الحرام عام ١٩٧٩ الذي قام به النشطاء المثقفون الذين استنكروا الثروة والفساد اللذين يرفل فيهما آل سعود وما للغرب من تأثير مدمر على القيم الدينية والاجتماعية، فأرادوا تطهير البلاد من هذا الفساد والعودة إلى الإسلام الحقيقي، وإنشاء دولة إسلامية حقيقية.

وكانت نقطة التحول الخطيرة في حياة ابن لادن عندما قام السوفيت باحتلال أفغانستان من عام ١٩٧٩ وحتى عام ١٩٨٢؛ حيث استخدم جميع موارده المالية لدعم المقاومة الجهادية بكل ما أوتي من قوة ضد الاحتلال السوفيتي، فقام بتقديم مواد البناء،

لبناء الطرق والمطارات، ثم انتقل إلى أفغانستان لإنشاء بيوت الضيافة والمعسكرات للمجاهدين العرب. ثم أنشأ بعد ذلك القاعدة لتنظيم ومتابعة توزيع المقاتلين والتبرعات للمقاومة الأفغانية.

عاد ابن لادن، بعد انسحاب السوفيت، إلى السعودية كبطل عام ١٩٨٩، ولكن حينما عرض أن يستخدم المجاهدين العرب في أفغانستان للدفاع عن السعودية أثناء حرب الخليج عام ١٩٩٠، قوبل عرضه بالصمت التام من جانب الملك فهد، بالإضافة إلى تلقيه الأخبار المفجعة عام ١٩٩١ بأن أمريكا ستقود التحالف في حرب الخليج لإخراج صدام حسين من الكويت. فقد اعترف ابن لادن فيما بعد أن قيادة أمريكا لهذا التحالف هو «احتلال» للأراضي الإسلامية المقدسة وتوقع أن حضور أمريكا وتأثيرها بعد الحرب في السعودية والخليج غير حياته بشكل جذري. وأن ذلك وضعه حتمًا في خط الهجوم ضد الحكومة السعودية والغرب.

ففي عام ١٩٩٤ قامت حكومة المملكة العربية السعودية بسحب الجنسية السعودية من ابن لادن والأدهى أنها قامت بتجميد جميع ممتلكاته بسبب دعمه للحركات المتطرفة المسلحة[٨٣]. ونتيجة دفعه للحافة بتلك الطريقة اضطر ابن لادن إلى الرحيل من السعودية إلى السودان ثم انضم إلى نشطاء منشقين آخرين وعلماء دين في أفغانستان عام ١٩٩٦. وهناك عمل مع حركة طالبان بأفغانستان التي كانت بالنسبة له ملاذًا مريحًا وقاعدة لإدارة عملياته. وهناك سارع زعيم طالبان (الملا عمر) بتقديم الملجأ لابن لادن وأبدى إعجابه بما يقوم به من تضحيات وتكريس نفسه للجهاد. فقام ابن لادن بمهارة بتوطيد علاقاته بالملا عمر وبطالبان، بتقديم الدعم المالي، وبناء الطرق والمنشآت، وإرسال الأفغان العرب للقتال في طالبان في المعارك الحرجة.

وأدى ذلك إلى ازدياد أتباع ابن لادن بشكل كبير. فقد اجتذب العديد من العرب والمسلمين المنشقين، الذين هربوا من أوطانهم الأصلية، وكان من بينهم متطرفون مصريون بارزون مثل الدكتور أيمن الظواهري، الطبيب والزعيم لحزب الجهاد المحظور في مصر، ورفاعي طه موسى زعيم حزب الجماعة الإسلامية المحظور أيضًا في مصر، وابني الشيخ عمر عبد الرحمن، الواعظ المصري الفاقد للبصر المتهم بالمشاركة في اغتيال الرئيس المصري أنور السادات، والمشتبه فيه أيضًا بالمشاركة في تفجيرات مركز التجارة العالمي عام ١٩٩٣، والذي اتضح فيما بعد تآمره لتفجير مواقع مهمة في نيويورك. أما

أيمن الظواهري ذو العقود الطويلة من الخبرة كمجاهد، فقد أصبح مستشارًا لابن لادن والمتحدث باسمه، وظهر في تسجيلات الفيديو يدين الغرب ويتوعد بمزيد من الهجمات ضد الغرب.

وفي عام ١٩٩٦ أصدر ابن لادن والظواهري بيانًا واضحًا؛ إعلانًا للجهاد لدفع الولايات المتحدة خارج البلدان العربية، وإسقاط الحكومة السعودية، وتحرير المواقع الإسلامية المقدسة مثل مكة والمدينة، والدفاع عن الجماعات الثورية حول العالم. وفي عام ٢٠٠٠ قام بتشكيل الجبهة الإسلامية للجهاد ضد اليهود والصليبيين، وهي غطاء لمجموعة من الحركات المتطرفة عبر العالم الإسلامي، وأصدر فتوى بأن واجب كل مسلم قتل المواطنين الأمريكيين والموالين لهم. فقد ذهبت أهمية ابن لادن وتهديد تنظيم القاعدة إلى كونها أكثر من مجرد تنظيم فقط؛ حيث أصبح ابن لادن وتنظيم القاعدة رمزًا أساسيًّا ومثالًا ونموذجًا للعديد من الإرهابيين المسلمين العالميين. ولكن هل كان الدين هو دافعهم الأساسي؟

الدين والإرهاب:

إن السبب الأساسي للإرهاب العالمي، هو الظلم الاقتصادي والسياسي الذي عادة ما يختفي داخل لغة الدين والمعاني الرمزية التي يستخدمها المتطرفون. فقد أصبح الدين طريقة فعالة لإضفاء صبغة شرعية على المتطرفين ولحشد الدعم الشعبي. مثلما رأينا في أيرلندا الشمالية، وسيريلانكا، والهند، وإسرائيل، وفلسطين، والعراق بعد صدام حسين، وكشمير، والشيشان أو في الإستراتيجية العالمية لأسامة بن لادن وتنظيم القاعدة، فالصعوبات وتحقيق الأهداف غالبًا ما تكون في الأصل بدعاوى وطنية: مثل إنهاء الاحتلال على الأراضي المحتلة، أو إجبار قوات الجيوش «الأجنبية» على الخروج مما يعتبرونه أوطانهم[٨٤]. إلا أن استخدام الرموز الدينية، للإشارة إلى تبريرات والتزامات أخلاقية، وإضفاء نوع من اليقين المتمثل في الضوابط الأخلاقية والجوائز السماوية لتقوية روح التطوع والاستعداد من أجل القتال والموت في سبيل الجهاد المقدس.

فحتى الحركات العلمانية دائمًا ما تلتمس الاستعطاف عن طريق المعاني والرموز الدينية. فمثلا استخدم ياسر عرفات زعيم حركة التحرير الفلسطينية التي أصبحت فيما بعد السلطة الوطنية الفلسطينية تعبيرات مثل «جهاد» و«شهيد» لإضفاء صبغة مأساوية وتعزيز قضيته أثناء حصاره في رام الله؛ حيث إن الكثير من قوات المقاومة الفلسطينية،

وليس حماس فقط، يطلقون على أنفسهم لواء شهداء الأقصى، ويستخدمون المعاني والرموز الدينية كالمسجد الأقصى في القدس، والجهاد، والاستشهاد في حديثهم. والأكثر من ذلك أن المنظمات والحركات، سواء أكانت الدينية أو غير الدينية (مثل: تنظيم القاعدة أو نمور التاميل الماركسية)- يتشاركون في إستراتيجية واحدة، فالمسلمون منهم يعرفون أهدافهم أنها إسلامية، وأنهم يهدفون لخلق حكومة إسلامية سواء كدولة خلافة إسلامية أو ببساطة كدولة ذات توجهات إسلامية.

بالإضافة إلى أن هناك عوامل أخرى تخفي المعنى الحقيقي للإرهاب، وهو تلك الصورة المنطقية الظاهرية لهؤلاء الإرهابيين على أنهم عاطلون عن العمل، وغير متعلمين، أو أنهم أناس غير أسوياء، سواء من الناحية النفسية أو الاجتماعية. ولكن على العكس تماما، فهم مثلهم مثل أي أناس آخرين ينضمون إلى أي حركات عبر العالم، ليسوا من «المحرومين» والفقراء والمقهورين؛ ولكنهم في معظم الأحيان يكونون أشخاصًا متألقين، ومثقفين، وذوي دوافع فردية ويستجيبون لما يرونه مظالم سياسية واقتصادية فادحة. أما الجيل الجديد من المتطرفين والإرهابيين المتورطين في أعمال العنف، بدءًا من هجمات ١١ من سبتمبر، إلى التفجيرات في لندن، فمعظمهم من المتعلمين، ومن الطبقات المتوسطة العاملة. كما أن معظمهم لم يتخرج في كليات الشريعة، بل درسوا في المدارس الخاصة أو المدارس والجامعات الحكومية. فقد درس ابن لادن الإدارة، والاقتصاد، والهندسة، أما الدكتور الظواهري فهو طبيب جراح، وكثيرون آخرون من زعماء تنظيم القاعدة، وكذلك المسئولون عن التفجيرات في مركز التجارة العالمي وعن الهجمات على مبنى البنتاجون مثل الطيار محمد عطا، فهم من المتعلمين تعليمًا عاليًا، أو من موظفي الطبقة المتوسطة. أما البريطاني الجنسية عمر الشيخ الذي اتهم باختطاف وقتل الصحفي دانيال بيرل وتم الحكم عليه بالإعدام فكان خريجًا لأرقى المدارس الخاصة بما فيها كلية لندن للاقتصاد. وهناك خمسة أطباء منهم الدكتور بلال عبد الله الذي ولد وتعلم في لندن ويعمل في مستشفى ألكساندرا الملكي، والذي تم القبض عليه لعلاقته بتفجير سيارة في مطار جلاسجو الدولي في يونيو ٢٠٠٧. فجميع هذه الصور يجب ألا تدهشنا؛ فهي تتطابق مع نماذج الجماعات مثل جماعة الجهاد بمصر وجماعات أخرى كثيرة. وقد توصلت الدراسات التي أقيمت عن قتلة الرئيس أنور السادات عام ١٩٨١ إلى ما يلي:

"إن النمط الاجتماعي المعتاد لأعضاء الجماعات الإسلامية المتطرفة يمكن تلخيصه

في كونهم من الشباب (في بداية العشرينيات)، ذوي الخلفيات الريفية أو القادمين من مدن صغيرة، ينتمون إلى الطبقة المتوسطة أو الطبقات الشعبية، ولديهم دوافع عالية للتقدم، فمنهم من درس الهندسة أو العلوم، ومن عائلات مترابطة... فمعظم الذين تم التحقيق معهم يمكن اعتبارهم شبابًا مصريًا نموذجيًا"(٨٥).

ويلعب الدين دورًا متعدد الاتجاهات في حياة هؤلاء الذين يتورطون في أعمال إرهابية عالمية. فبعض هؤلاء الإرهابيين متدينون وملتزمون عن حق، حتى وإن كانت أفكارهم وتخطيطاتهم مشوهة. أما آخرون فهم أقل التزامًا، مسلمون بحسب ثقافتهم، ويرون كونهم مسلمين هو جزءًا من هويتهم الاجتماعية والوطنية، إلا أنهم يرجعون عن تقاليدهم الدينية إذا حوصروا أو ووجهوا بالموت. ومازال كثيرون آخرون يلجئون إلى الدين كخطة لتشريع كفاحهم وللتعبئة الشعبية للجماهير. فنحن نجد أمثلة متنوعة للجوء إلى الدين أو استخدامه في الصراعات بين الناس من مختلف الأديان: مثل: الكاثوليك والبروتستانت في أيرلندا الشمالية، والمسلمين في البوسنة والأرثوذكس من الصرب، والكاثوليك الكرواتيين في البلقان؛ وبين التاميل والصن هيلز في سيريلانكا؛ والمسلمين والمسيحيين أثناء الحرب الأهلية في لبنان؛ وبين السنة والشيعة في العراق بعد صدام حسين والإرهابيين في أحداث ١١ من سبتمبر.

ولكن النقطة الحرجة هنا هي: ما علاقة الدين بالعنف والحرب. فبينما ترفض الشعوب بشكل عام الجماعات والحركات التي تتسم بالعنف، إلا أن معظمهم يلجئون إليه في كفاحهم، ومعاركهم، وثوراتهم «العادلة»: سواء أكان ذلك في الحروب الصليبية، أو في الثورات الفرنسية والأمريكية، أو في الجهاد الأفغاني، وفي الحرب ضد الإرهاب العالمي. الفارق الخطير هنا هو بين مشروعية أو عدم مشروعية استخدام الدين لتبرير استخدام العنف. فهذه المعايير هنا بالإضافة إلى معايير أخرى كثيرة هي التي تفرق بين الحروب «العادلة» أو المقاومة المشروعة، أو حركات التحرير مقابل الحركات الإرهابية. ولكن المشكلة ليست في إيجاد المعايير الكافية، ولكن في مَنْ مِن حقه إصدار الحكم. «فالحروب العادلة» هي غالبًا مثل المثل القائل بأن الجمال في عين الناظر. فالوضع المشترك بين جميع الجوانب في الصراعات السياسية هو أنهم جميعًا يخوضون حربًا دفاعية ضد العدوان والظلم. وغالبًا ما يقوم الزعماء الدينيون بتأييد الجماعات المعارضة في الكثير من الحروب المهمة التي حدثت في القرن العشرين مثل: الصراعات في البوسنة، وصربيا،

وكرواتيا، وكوسوفو، والصراعات في فلسطين وإسرائيل، وأيرلندا الشمالية، والغزو الذي تقوده الولايات المتحدة في العراق؛ حيث أدان الغالبية العظمى من الزعماء الدينيين الغزو العراقي زاعمين أنه لا يتفق مع معايير «الحرب العادلة»، في الوقت الذي أيد فيه زعماء اليمين المسيحي الرئيس بوش في هذا الغزو.

وأصبح الاتهام المشترك هو أن الحرب ضد الإرهاب والمتطرفين المسلمين يتأثر بحاجة الإسلام إلى سلطة دينية مركزية. فرجال الدين أو المفتون يقومون بإصدار الفتاوى الدينية المختلفة في جميع شئون الحياة، سواء الخاصة أو العامة، مثل عقود العمل، ومعاملات الزواج والطلاق، بالإضافة إلى الفتاوى التي تتعلق بالحروب والقتال. ويمكن لرجال الدين المعتدلين إصدار فتاوى مخالفة لتلك التي يصدرها الذين يؤيدون المتطرفين، ولكن الفتاوى التي يصدرها كل منهما تعتبر صالحة لدى أتباع كل من الطرفين. فالفتاوى التي يصدرها العلماء الدينيون المتشددون مثل عمر عبد الرحمن لتشريع الإرهاب في مصر وفي نيويورك، وأيضًا تلك التي أصدرها ابن لادن وتنظيم القاعدة لتبرير الإرهاب العالمي - أصبحت تمثل مشكلات رئيسية في العقود الأخيرة؛ الأمر الذي جعل هذه الفتاوى تتحول من كونها مصدرًا للتنوع الصحيح والمرونة في الإسلام إلى جانب سلبي خطير. وتنعكس هذه «الحروب في الفتاوى» في الأحكام المتنوعة التي صدرت حول التفجيرات الانتحارية والاختلافات الحادة بين الزعماء الدينيين المعتدلين في العراق مثل آية الله علي السيستاني والمتطرفين مثل مقتدى الصدر وأبو مصعب الزرقاوي الزعيم الإرهابي لتنظيم القاعدة في العراق والذي لقي حتفه حديثًا، وأيضًا ما أصدره كبار مفتي السعودية التي تعتبر معقلا للإسلام الوهابي يدينون فيها العنف والإرهاب مقابل الآراء والأعمال التي يقوم بها تنظيم القاعدة في هذا البلد.

وتزامن هذا التشابك في الفتاوى التي تبيح العنف والإرهاب مع الحاجة إلى سلطة مركزية؛ لتصبح بعد ذلك هذه المسألة قضية إسلامية مهمة في الصراع من أجل الإسلام، وهو الصراع الذي له تأثيرات واضحة على الشئون العالمية. فقد ظهر عدد كبير من الجهود للتعامل مع هذه القضية، وقام عدد كبير من العلماء عظيمي الشأن بدحض وتهميش المتطرفين الدينيين وتوضيح من هو مؤهل لإصدار الفتاوى والمعايير التي تحدد مشروعية هذه الفتاوى. وقدمت الاقتراحات لإيجاد المزيد من المركزية عن طريق استخدام المراكز الإقليمية للمفتين. وكانت هذه خطوات مهمة في عملية الإصلاح الضرورية هذه.

وفي الوقت نفسه، كانت فكرة عدم وجود سلطة مركزية مشكلة غير معتادة بالنسبة للإسلام جعلته أكثر عرضة للاستغلال. لذلك من الطبيعي هنا مقارنة الإسلام بالباباوية الكاثوليكية؛ حيث لا يستطيع البابا التحدث نيابة عن المسيحيين البروتستانت أو الأرثوذكس، فلا يوجد سلطة مركزية في المسيحية أو اليهودية، ولا حتى الهندوسية أو البوذية. لهذا لا تستطيع سلطة بمفردها أن تتحدث عن الإصلاح، سواء من المحافظين المسيحيين أو اليهود الأرثوذكس. ففي العديد من الحالات يتخذ الحاخامات المحليون والمجالس الكنسية- القرارات الخاصة بمجتمعاتهم فقط.

وبالإضافة إلى الفتاوى، هناك قوى تعمل على تقويض الإرهابيين المسلمين. وتجعل أعمال العنف التي يقوم بها المتطرفون ضدهم وتؤدي إلى فقدان الدعم لهم، واستبعاد عناصر في المجتمع كانت يمكن أن تكون متعاطفة معهم. وكانت نقطة التحول الكبرى في حرب الحكومة المصرية ضد الجماعات، مثل: الجهاد، والجماعة الإسلامية، عندما وقعت الهجمات على الأقصر، وقام الإرهابيون بذبح كل من الأجانب والمصريين على حد سواء. وبالمثل، أصبح السعوديون شديدي العنف في محاربة تنظيم القاعدة ليس بعد أحداث ١١ من سبتمبر فورًا (بالرغم من أن معظم المسئولين عن الهجمات ضد مركز التجارة العالمي والبنتاجون- كانوا من السعوديين) ولكن أيضًا بعد الهجمات الكبرى التي وقعت في السعودية واستهدفت ليس فقط الأجانب، ولكن السعوديين أيضًا، وكان ضمنهم نساء وأطفال.

دور الإسلام الوهابي/ السلفي:

قبيل أحداث ١١ من سبتمبر كان مصطلح «الأصولية الإسلامية» يستخدم بشكل شائع لتعريف الإسلام المتطرف. أما بعد أحداث ١١ من سبتمبر استبدل بمصطلحات أكثر تحديدًا وهو «الإسلام الوهابي»، «الإسلام السلفي». وقد أطلق اسم «الإسلام الوهابي» نسبة إلى محمد بن عبد الوهاب، الذي كان زعيمًا دينيًا وقائدًا للحركة الاجتماعية الدينية في القرن الثامن عشر من أجل إصلاح المجتمع، وكون تحالفًا مع شيخ القبيلة محمد بن سعود، الذي وضع الأسس لما أطلق عليه فيما بعد دولة المملكة العربية السعودية. وكانت الرؤية الوهابية الدينية أو الفكر الوهابي الإسلامي يتسم بالتشدد والتزمت والتمسك الحرفي بالقرآن والتوحيد، والذي كان الأساس للحكومة السعودية، ومصدر التشريع الديني والسياسي. ولقد أنكر الوهابيون باقي القبائل والمجتمعات الإسلامية،

واعتبروهم من المشركين أو الوثنيين. فأي شيء كان الوهابيون يشعرون أنه غير إسلامي ينظرون إليه على أنه كفر- يتوجب إجهاضه وقمعه.

وكان عبد العزيز بن سعود نجل محمد بن سعود هو الذي قام بتطوير المملكة العربية السعودية مستخدمًا قصصًا ورموزًا مستوحاة من حياة النبي وكفاحه. فقام بضم رجال القبائل من البدو إلى ما أسماه الإخوان المؤمنين، كما حدث في مجتمع النبي ﷺ عندما قام بالهجرة؛ حيث هاجر هو وأصحابه إلى مجتمع جديد يستطيعون أن يعيشون فيه حياة إسلامية حقيقية، ويتم تدريبهم دينيًا وعسكريًا. فخلط عبد العزيز بن محمد بين الحماس الدعوي، والقوة العسكرية والرغبة في الغنائم ونشر الحكم الإسلامي مرة أخرى في البلدان العربية، بشن الجهاد الذي وافقه عليه الزعماء الدينيون. واستخدم عبد العزيز الشعار الوهابي المتزمت لإضفاء الشرعية على حروبه ضد زعماء القبائل الإسلامية الأخرى والاستيلاء على مكة والمدينة. وكان التاريخ والأفكار الوهابية جزءًا أساسيًا من معتقدات أسامة بن لادن، وهو الإرث الذي سيعود إليه فيما بعد في حياته من أجل الإلهام والإرشاد.

وبعد الحركة «الوهابية» أصبحت كلمة «الإسلام السلفي» هي المصطلح الأكثر شهرة للحركة التي انتشرت في أنحاء السعودية ودول الخليج. وكلمة «سلفي» تعني العودة إلى الإسلام الحقيقي للمسلمين الأوائل أو «السلف». إلا أن الوهابية والسلفية كليهما مصطلحان معقدان يحويان العديد من المعاني المتشابكة التي يمكن أن تكون مضللة، فهما غالبًا ما يستخدمان للتعبير بشكل عام عن مذاهب ومفاهيم وحركات مختلفة، قديمة وحديثة، عنيفة وغير عنيفة.

فالوهابيون والسلفيون يعتبرون زمن النبي محمد ﷺ وأصحابه من أفضل الفترات الدينية. ويعتقدون أن الإسلام بدأ يتدهور في الأجيال التي تلت هذا الزمن نتيجة انتشار «البدع» ، وأن إحياء الإسلام يحتاج إلى العودة إلى الأجيال السابقة، ومحو التأثيرات الداخلة على الدين. والسلفيون مثل الوهابيين يؤكدون التوحيد ويصرون على تنزيه الشريعة، أو القانون الإسلامي، ويدينون الكثير من ممارسات المسلمين الشائعة على أنها شرك ويعارضون النظامين: الصوفي والشيعي والكثير من الحركات الإسلامية والتي يعتبرونها بدعًا على الإسلام.

بالرغم من ارتباط السلفية بدول الخليج إلا أنها تضم العديد من الجماعات

والمعتقدات. فهي موجودة في معظم الدول الإسلامية وفي المجتمعات الأوروبية والأمريكية؛ حيث تعمل كبديل يجذب الجيل الثاني من الشباب المسلمين الذي يريدون تحديد هوياتهم والاختلاف عن آبائهم وأجدادهم. فهم يرون أنهم اعتنقوا شكلا طاهرًا ونقيًّا للإسلام يتفوق على ثقافة معينة ويؤكد عالمية الإسلام.

ولكن هل تقوم الرسالة الوهابية والسلفية بالضرورة على العنف؟ فالوهابية الحقيقية تشير إلى دين شديد التطرف والصرامة، قائم على رؤية متصلبة للعالم تتسم بالانقسامية. فهي تضع الخير مقابل الشر، والمؤمن ضد الكافر، والسنة مقابل الشيعة. وقد أسفر الحماس للوهابية عن الاستخفاف بالمعتقدات الدينية، الأمر الذي أدى عبر التاريخ، ليس فقط إلى تدمير مقابر الرسول ﷺ وأصحابه، وهو ما يعرف اليوم بالمملكة العربية السعودية في العصر الحالي، ولكن أيضًا إلى تدمير قبر الحسين-رضي الله عنه- والعديد من المقدسات الشيعية الأخرى والكثير من أماكن الحج في إيران. مما أدى إلى اشتعال العلاقات بين الوهابيين والشيعة، واندلاع الصراعات بين الوهابيين في السعودية والشيعة في إيران بالإضافة إلى انتشار الصراعات بين الأغلبية من السنة والأقليات من الشيعة في السعودية في أواخر السبعينيات وبين الأقليات من الشيعة وطالبان في أفغانستان.

فمنذ أواخر الستينيات كان للإسلام الوهابي والسلفي انتشار وتأثير واسع. وقامت كل من المنظمات السعودية الحكومية والأفراد الأثرياء بالترويج للأشكال المختلفة التقليدية والمتطرفة للإسلام الوهابي في المجتمعات المختلفة سواء في العالم الإسلامي أو الغرب؛ حيث قامت السعودية، مثلها في ذلك مثل إيران وليبيا بتمويل المؤتمرات العالمية وبناء المساجد، والمراكز والمدارس الإسلامية، وقامت بإعطاء رواتب للوعاظ والدعاة وتوزيع النصوص الدينية؛ وذلك لنشر رسالتها المتطرفة.

وازداد تمويل دول الخليج للجماعات الإسلامية بشكل عالمي خلال الثمانينيات وخاصة بعد الثورة الإيرانية؛ وذلك لدحض التحدي الذي يقوم به النظام الإسلامي الثوري الإيراني الشيعي. وقامت السعودية بإنشاء علاقات وثيقة بينها وبين الحركات الإسلامية الكبرى مثل جماعة الإخوان المسلمين، والجماعة الإسلامية في باكستان. وفي أواخر الستينيات والسبعينيات قامت السعودية وقطر ودول أخرى خليجية بإعطاء حق اللجوء السياسي لأعضاء الإخوان المسلمين مثل محمد قطب شقيق سيد قطب الذين كانوا على درجة عالية من التعليم، ومن الناشطين الإسلاميين. ومكنت الأرباح البترولية

الحركات الإسلامية من الانتشار عالميًّا، عن طريق إنشاء وترجمة وتوزيع المذهب الإسلامي لمؤسسي الإخوان المسلمين مثل حسن البنا، وسيد قطب ومولانا المودودي مؤسس الجماعة الإسلامية في جنوب آسيا.

وكان هدف السعودية من هذه التمويلات هو رغبتها في إظهار نفسها على أنها موطن الإسلام، والحامية لمكة والمدينة أكثر الأماكن الإسلامية قدسية، وعلى أنها الزعيم والمتحدث باسم العالم الإسلامي في المحافل الدولية، إلا أنه وفي الوقت نفسه، قام بعض رجال الأعمال الأثرياء وبعض المنظمات السعودية والدول الخليجية بتقديم الدعم المادي للجماعات المتطرفة الوهابية والسلفية الذين يمثلون الثقافة الجهادية التي تؤيد المذهب المتطرف والعنيف للإسلام.

ومن الواضح أن التفرد الديني للحركات الوهابية والسلفية هو نظام معاد للتعددية كما أنه غير متسامح مع المسلمين الآخرين -وبخاصة المسلمين من الشيعة الذين يكرهونهم بشدة- وغير المسلمين. فهم يسعون إلى الترويج لأفكارهم ومعتقداتهم وفرضها مع أنه لا يشاركهم فيها المسلمون الآخرون حول العالم الإسلامي، سواء من السنة أو الشيعة. ولكن المذهب الوهابي السلفي في نفسه ليس بالضرورة عنيفًا، ولكن رؤيته العالمية تشبه تلك التي يمثلها وعاظ اليمين المسيحي المتشددين، والذي يمكن أن تؤدي بهم إلى العنف والتطرف، وذلك عندما يعتقد المتشددون الدينيون أن لديهم أمرًا إلهيًّا بتنفيذ إرادته على الأرض. فحين يتبني البعض مذهبًا متشددًا نجدهم ربما يخبرون الآخرين قائلين: «أنتم ستذهبون للجحيم» كما يقول الإرهابيون الدينيون: «أنا لست فقط أعرف بأنكم ستذهبون للجحيم، ولكنني أعتقد أن المسلم الحقيقي مأمور من الله أن يرسلكم إلى هذا الجحيم بأسرع ما يمكن». فالإرهابيون العالميون، مثل أسامة بن لادن وأيمن الظواهري، هم أمثلة رئيسية لهذه النظرة. فبعد هجمات ١١ من سبتمبر قامت القاعدة بهجمات أخرى داخل السعودية نفسها، وقام المجاهدون السعوديون في العراق بتقديم مثال للتهديد الوهابي/ السلفي.

ولاتزال الأفكار الوهابية / السلفية قوية حتى يومنا هذا، إلا أنها ليست شائعة في الكثير من المجتمعات الإسلامية. فمذهبها الحصري المنعزل وغير المتسامح غالبًا لا يمثل خطرًا اليوم أكثر من المتعصبين في المذاهب الأخرى، ولكن أتباعه سيظلون حتمًا غير مستعدين لمواجهة المساواة الدينية في عالم سريع العولمة؛ حيث يعيش ملايين المسلمين في

بلدان أغلبها من غير المسلمين، إلا أن الحركات الجهادية مازالت تمثل تهديدًا مستمرًا ومباشرًا لأمن البلدان الإسلامية والغربية على حد سواء، كما تستمر في ترسيخ وجهة النظر لدى من يعتقدون أن الإسلام هو المشكلة، وأن الجهاد العالمي هو تهديد قوي.

عالمية الجهاد :

منذ السبعينيات وحتى أوائل التسعينيات كان نشاط الجماعات الإسلامية المتطرفة مقصورًا على بلادها فقط. فباستثناء تفجيرات مركز التجارة العالمي عام ١٩٩٣ والتفجيرات في باريس عام ١٩٩٥، حدثت معظم التفجيرات ضد الغرب أو السفارات الأجنبية داخل البلدان الإسلامية فقط، كما في المغرب، ومصر، والسعودية، وتركيا وحتى العراق، واليمن، وباكستان، وإندونيسيا. أما أوروبا وأمريكا فظلتا أهدافًا ثانوية، أو «العدو البعيد»، ولكنهما كانتا مكروهتين بسبب قوتها العسكرية ودعمهما للأنظمة القمعية، وظل الخوف منهما يتنامى بشكل كبير.

وفي القرن العشرين يتوقع معظم الخبراء أن الهجمات العالمية ستستمر في الزيادة، جاعلين من الإستراتيجيات التي أضعفت الجماعات الجهادية ومجموعاتهم من المجندين أكثر أهمية. إذن لماذا هذا التحول في الجهاد من المحلية إلى العالمية؟ وماذا يعني هذا التحول للأجيال المستقبلية؟

بالرغم من أهمية الجهاد بالنسبة للمسلمين على مر العصور، كما رأينا شهد النصف الثاني من القرن العشرين عالمية «الجهاد» الجديد الذي تم استغلاله دوليًا لتحريك الأفراد والحركات الاجتماعية والسياسية بقوة، سواء العامة أو المتطرفة. وأصبح مصطلحًا رئيسيًا في المقاومة والصراعات من أجل الحرية، وفي الحروب المقدسة وغير المقدسة، ولا يوجد أي إشارة إلى نقصانه في المستقبل. ولكن أين هي أصول هذا الجهاد العالمي؟ وكيف ولد هذا الجهاد الجديد؟

الجهاد الأفغاني :

أثناء الحرب الباردة في الفترة من عام ١٩٧٩ وحتى عام ١٩٨٩ قامت الحرب بين السوفيت والأفغان، في الوقت الذي كان العالم فيه يواجه، ليس فقط الخوف من الشيوعية، ولكن من أفكار خوميني في الثورة الإيرانية. ولكن الحرب الأفغانية تميزت عن غيرها بسبب البلدان التي دعمتها، والاتصالات الواسعة التي قامت بتغطيتها، والطريقة

التي جعلتها بها وسائل الإعلام العالمية واقعًا حيًّا. ففي حين شعر الكثيرون في أمريكا وأوروبا وباكستان والسعودية ودول الخليج بالخوف من الجهاد الإيراني، شجعت كل من الحكومات الإسلامية والغربية الجهاد الأفغاني، بل وحرصت على دعمه بالمال، والأسلحة والنصح. ويُرى هذا الدعم من خلال التغطيات الفورية العالمية التي مكنت العرب والمسلمين من معرفة هذا الجهاد الصحيح. كما ساعدت على رفع الوعي لدى المسلمين، وتجديد الشعور بالانتماء إلى مجتمع متعدد الجنسيات، أي: الأمة، وزادت من الدوافع لدى الأفراد: فأرسل الكثيرون منهم المساعدات المالية لأفغانستان؛ حتى إن بعضهم ذهب للانضمام إلى الجهاد الأفغاني.

وشجعت عالمية الحرب الأفغانية والنصر المستوحى من المجاهدين الأفغان ضد السوفيت المسلمين بشدة على استخدام رموزهم الدينية في الدخول عالميًّا في الكثير من الصراعات الأخرى، سواء أكانت حركات مقاومة أو إرهابية، دينية أو علمانية، مقدسة أو غير مقدسة، مثل الحروب في البوسنة، وكوسوفو، والشيشان، وكشمير، أو حتى العراق أو فلسطين، فكلها كان يطلق عليها مسمى الجهاد، ولقب الذين ماتوا فيها بالشهداء. وقدمت الحرب الأفغانية بشكل غير مقصود أرضًا للتدريب على الواقع للمجاهدين المستقبليين، فهؤلاء المسمون بالأفغان العرب، هم شباب شجعتهم تجاربهم وانتصاراتهم في المعارك على البحث عن الجهاد في أوطانهم أو في البلدان الإسلامية الأخرى؛ حيث أثبتت السياسات التي تتبناها الحكومات الإسلامية أنها حافز للتطرف والإرهاب الموجه إلى هذه البلدان نفسها أو إلى مؤيديها من الغرب.

الطائفية السنية والشيعية:

بالضبط كما نلون الحرب ضد «الإرهاب العالمي» الموحد و«مجاهديه الإرهابيين» بضربة فرشاة، فنحن أيضًا نتجاهل ببساطة تنوع المسلمين والبلاد الإسلامية. فعدم فهم نشأة وظهور الطائفية بين السنة والشيعة في العالم الإسلامي قادنا إلى ما نراه الآن على أنه نتائج كارثية في غزو واحتلال العراق، وإلى المستقبل الذي يهدد قدرتنا على التعامل بكفاءة مع سياسات السنة والشيعة في باقي البلدان الإسلامية الأخرى، وبخاصة في دول الخليج وباكستان.

فالصراعات بين السنة والشيعة يجب فهمها من خلال سياق سياسي؛ حيث غالبًا ما استخدمت الحكومات السنية ما أسموه بـ«التهديد الشيعي» كذريعة للحفاظ على سيطرة

السنين. فمثلا، في عام ١٩٩٨ قامت حكومة الجنرال ساني أباتشا في نيجيريا باتهام زعيم الإخوان المسلمين الشيخ إبراهيم الزاكزاكي بانتمائه إلى الشيعة قبل محاكمته بسبب نشاطه المعادي للحكومة. وفي ماليزيا كانت القيود الصارمة التي تفرضها الحكومة على النشطاء الإسلاميين والاعتقالات التي تقوم بها ضدهم غالبًا ما كانت تتخذها ذريعة لحماية الإسلام السني من النشاط الشيعي الإجرامي. وقد أدان العلماء السنيون في الهند وباكستان الانتقادات اللاذعة التي وجهها خوميني لآل سعود على أنهم مصدر للفتنة أي: (مصدر للفرقة، والانقسام، والفوضى)، مما يستدعي الذكريات عن ثورات الشيعيين ضد الخلفاء الأمويين والعباسيين السنيين في العصر الإسلامي القديم.

تاريخيًّا، استفحل الصراع بين السنة والشيعة بسبب القمع العنيف للشيعة في البحرين، والعراق، والكويت، وباكستان، والسعودية؛ حيث يتصور الحكام السنيون المظاهرات التي يقوم بها الشيعة واحتجاجاتهم على أنها تهديد لهم. وكانت أنظمة ضياء الحق في باكستان وصدام حسين في العراق قد أقرت استخدام العنف الطائفي للقضاء على المعارضة الشيعية المحتملة. ففي العراق تعرض آلاف من الشيعيين للاغتيال، والقتل الجماعي، أو الإعدام[٨٦].

وبالرغم من الاحتلال الأمريكي والتدخل في العراق بعد صدام حسين، استمر صانعو السياسة الأمريكيين في التأخر بسبب جهلهم للإسلام السني والشيعي. فالحكومة والجيش اللذان خططا لغزو العراق فوجئا بشدة الدور الذي سيلعبه الإسلام الشيعي ورجاله الدينيون وقواته العسكرية بعد «الصدمة والترويع». فقد أظهرت السنوات الأولى للاحتلال الأمريكي إلى أي مدى لم تستطع حكومة بوش والسفير بول بريمر رئيس السلطة الإقليمية الائتلافية (٢٠٠٣-٢٠٠٤) فهم السياقات السياسية. فهم حتى لم يستطيعوا معرفة أصدقائهم من أعدائهم من بين القادة الشيعيين، ولذلك لم يكن لديهم أمل في التعامل بكفاءة مع العسكريين، مثل: مقتدى الصدر، أو العمل مع حلفائهم المحتملين، مثل: آية الله السيستاني؛ مما يفسر استمرار العنف الطائفي في العراق، وتشابك السياسات السنية الشيعية، والصراعات المحتملة في الخليج وباكستان.

فالعنف الطائفي في العراق لم يكن ببساطة نتيجة ازدياد سلطة الشيعة في العراق، ولكنه كان نتاجًا لصراعات قديمة وحديثة والأحقاد في العلاقات بين السنة والشيعة التي ذكرناها في الفصل الأول؛ فَتَحْتَ رئاسة الديكتاتور السني صدام حسين، كان غالبية

السكان من الشيعة، يستبعدون من مناصب السلطة، ومن الجيش والأجهزة الحكومية. وفي عام ١٩٩٠ وحده لقي ثلاثون ألف عراقي مصرعهم نتيجة للإعدام والاغتيالات وعمليات الإبادة الجماعية[٨٧]. ولكن مع سقوط صدام حسين انقلب حظ الأقلية من السنة الذين يمثلون ٣٢٪ من العرب والأكراد إلى الأغلبية من الشيعة الذين يمثلون ٦٥٪ مما أدى إلى إشعال الصراع الطائفي من جديد. كما شكلت الحاجة إلى الاستقرار السياسي في العراق بعد الغزو الأمريكي عام ٢٠٠٣ وظهور الشيعة كقوة سياسية مسيطرة أرضًا خصبة للصراع والعنف الطائفي الجماعي، مثلما حدث في السياسات في العراق عام ٢٠٠٥، والتي بدأت في الأساس بالهجمات التي قام بها المتمردون من السنة، ثم كان للهجمات المضادة التي استخدم فيها كل من السنة والشيعة هوياتهم الطائفية ومذاهبهم الأيديولوجية لتبرير هذه الهجمات.

فتنظيم القاعدة في العراق هو واحد من أهم الجماعات الثورية السنية، وكان مؤسسه السني الأردني الأصل أبو مصعب الزرقاوي عام ٢٠٠٦، يكره الشيعيين، وأعلن أنهم من المرتدين. والزرقاوي مسئول عن بعض التفجيرات الدموية للمساجد الشيعية وعن اغتيال الزعماء الشيعيين والمدنيين بالإضافة إلى اغتيال قوات الأمن العراقيين وبعض العاملين بالجيش الأمريكي[٨٨]. وكان استهداف السنيين للمزارات المقدسة لدى الشيعة لإضعاف مصادر القوة لديهم، وزعزعة يقينهم بعودة المهدي المنتظر، وذلك كما أشار خوان كول قائلا:

«إن الثوار من العرب السنيين يعلمون أن الأمل بعودة المهدي والحماس المتعلق بذلك هو السبب في تماسك الشيعيين، وأنه موضوع حساس بالنسبة لهم، لهذا السبب بالضبط قام السنيون مرتين بتفجير مقام سامراء، المخصص للأب الروحي الإمام المهدي، واليوم قاموا بمنتهى الوحشية بضرب المسجد والمقام الثاني للإمام المهدي»[٨٩].

والكثير من الشيعيين يلقون اللوم ليس فقط على السنيين من العراقيين، ولكن أيضًا على الولايات المتحدة نفسها للانتهاكات التي لحقت بمعظم الأماكن المقدسة الخاصة بالشيعة، بل في حقيقة الأمر اعتبر الكثير من الشيعة أن القوات العسكرية السُنية والأمريكية هي المسيح الدجال، الذي يحول دون عودة المهدي المنتظر والسيد المسيح. ويقول كول:

«الأمر المثير للسخرية أن بعض الجنود الأمريكيين الذين يحاربون الشيعة ربما

يكونون من المسيحيين الذين يؤمنون باقتراب عودة المسيح، وأن العراق هي أرض المعجزات وتحقق النبوءات»[٩٠].

فلجوء الثورات السنية للعنف الطائفي والهجمات الإرهابية للاستفادة من مخاوف السنيين من الشيعة، قابله موت الفرق العسكرية الشيعية، في الوقت الذي كان فيه الشيعيون يقومون بالانتقام والتطهير العرقي من الأسر والأحياء السنية بالضراوة نفسها. فأقوى القوات العسكرية الشيعية العراقية المسماة بالجيش المهدي كان يقودها الشاب العراقي المتطرف مقتدى الصدر، والذي اغتيل والده من قبل قوات صدام حسين عام ١٩٩٩. فقام مقتدى الصدر باللعب على القومية العراقية والمذهبية الشيعية لحشد المجتمعات الشيعية الفقيرة لافتعال ثورات عارمة ضد القوات الأمريكية. وبسبب إيمانه بالدعم الذي يقدمه له ١٥٪ من المجتمع الشيعي، أي: ما يعادل تقريبًا ٢٫٥ مليون شخص، شارك مقتدى الصدر أيضًا في العملية السياسية، مسيطرًا على ٣٠ مقعدًا من أصل ١٢٨ مقعدًا للكتلة الشيعية، والذي تحكَّم في ٢٧٥ عضوًا للبرلمان بعد انتخابات ديسمبر ٢٠٠٥[٩١].

وأصبح جيش المهدي واحدًا من أهم القوات المسلحة على أرض بغداد، وهو يقوم بحماية المناطق المهمة للشيعة. وطبقًا لبعض قادة الجيش الأمريكي - قامت القوات العسكرية لمقتدى الصدر باختراق صفوف الشرطة العراقية ووحدات من الجيش العراقي[٩٢]. وأصبح تفجير المساجد، والاختطافات، والهجمات الانتحارية، وتفجير السيارات هو أمر عادي كل يوم. وعلى الرغم من عدم توفر دليل واحد على وجود تنظيم القاعدة بالعراق، إلَّا أنها أصبحت مهددة بأن تكون أرضًا خصبة له للتدريب على الجهاد في العالم.

سياسة أمريكا الخارجية: هل هي حرب ضد الإرهاب العالمي أم ضد الإسلام؟:

عقب أحداث ١١ من سبتمبر كان الرئيس بوش وسياسيون كثيرون آخرون حريصون على التأكيد أن أمريكا تشن الحرب ضد الإرهاب العالمي، وليس ضد الإسلام بشكل خاص. إلا أن مطاردة أمريكا عالميًّا ومحليًّا لما تطلق عليهم بشكل عام «الإرهابيين»، والخطابات السياسية للحكومة الأمريكية التي صاحبت هذه المطاردات، والاعتقالات الجماعية للمسلمين، وكبت الحريات المدنية للمسلمين في أمريكا - جعل الكثير من المسلمين يعتقدون أن هذه الحرب هي بالفعل ضد الإسلام وليس ضد الإرهاب.

المسار الأمريكي في السياسة الخارجية أجج مشاعر العداء لها لدى عامة المسلمين، بالإضافة إلى المتطرفين منهم، (وتشمل هذه السياسات: اتساع نطاق الحملات العسكرية التي تقودها أمريكا لتشمل ما هو أبعد من أفغانستان، وإطلاق مصطلح محور الشر على عدة دول معظمها إسلامية، وغزو واحتلال العراق، والقيادة الفاشلة لإدارة بوش للصراع العربي الإسرائيلي، وحرب لبنان وغزة) وبالتالي فقد أصبحت النظرة إلى أمريكا على أنها دولة استعمارية استخدمت قوتها السياسية والعسكرية بشكل عشوائي وغير عادل.

فأسامة بن لادن مثله مثل هتلر أو ستالين لم يقم بحشد الجماهير عن طريق دعوتهم ببساطة ليكونوا إرهابيين، وليس مثل صدام حسن أو آية الله خوميني، فقد عرف ابن لادن بمهارة المظالم التي يعاني منها المسلمون من النظم الحكومية من أمريكا على نطاق واسع، والذين لم يكن معظمهم من المسلمين المتشددين. ثم استخدم النصوص والمعتقدات الدينية ليبرر الجهاد والعنف والإرهاب.

وذلك لأن مشاعر العداء ضد أمريكا لم يكن يقودها فقط ما يقوله الإرهابيون، ولكن أيضًا الغضب من سياسات أمريكا الخارجية في العديد من المجتمعات العربية والإسلامية، ومن رجال الحكومة، والدبلوماسيين، ورجال الأعمال، والعسكريين، والمفكرين، ورجال الصحافة. فمن بين الديمقراطيين المسلمين – أي: هؤلاء الذين يؤمنون بأهمية الديمقراطية من أجل التقدم والمستقبل- نسبة ضئيلة جدًا (فقط من ٥ إلى ١٠٪) الذين يعتقدون أن الولايات المتحدة هي أهل للثقة، أو أنها دولة صديقة، أو تحترم الدول الأخرى[٩٢].

وتختلف هذه المظالم عند عامة المسلمين وعند المتطرفين المحتملين من دولة إلى أخرى، ولكنهم جميعًا يتفقون أن غضبهم بسبب دعم أمريكا لوقت طويل للأنظمة الإسلامية الديكتاتورية مثل حسني مبارك في مصر، وزين العابدين بن على في تونس، وصدام حسين في العراق من (١٩٨٠-١٩٨٨) وبرفيز مشرف في باكستان. حيث يشير النقاد إلى استخدام أمريكا معايير مزدوجة في الترويج لمبادئها وقيمها الأساسية مثل: (الديمقراطية، والمشاركة السياسية، وحقوق الإنسان، والحريات الأساسية مثل: حرية الحديث، والاجتماع، وحرية الصحافة) بشكل انتقائي أو عدم استخدامها على الإطلاق عندما يتعلق الأمر بالعالم الإسلامي. ففي استفتاء قام به مركز جالوب العالمي للاستفتاءات لم توافق معظم الشعوب الإسلامية على أن أمريكا جادة في إقامة نظام

ديمقراطي في المنطقة. أما الاستثناء فكان في لبنان حيث وافق ٤٥٪ ، وسيراليون ٦٨٪، وأفغانستان ٥٣٪[٩٣].

فالمسلمون لا يحتاجون لينظروا بعيدًا عن حكومة بوش لتأكيد مخاوفهم؛ فعندما لم تستطع حكومة بوش إيجاد أسلحة الدمار الشامل في العراق، أعلنت بجرأة أن الغزو الذي قادته أمريكا والإطاحة بصدام كان هدفه إرساء الديمقراطية في العراق في إطار سياسة أوسع لتعزيز الديمقراطية في الشرق الأوسط كله. وفي خطاب سياسي ألقاه السفير ريتشارد هاس أحد كبار موظفي وزارة الخارجية في حكومة بوش، اعترف فيه أن الإدارات الديمقراطية والجمهورية قامت بممارسة ما أسماه «ديمقراطية استثنائية» في العالم الإسلامي؛ مقدمة المصالح العالمية على الديمقراطية، مثل: الوصول إلى النفط، واحتواء الاتحاد السوفيتي، ومحاولة السيطرة على الصراع العربي الإسرائيلي[٩٤]. وبالرغم من ذلك يرى غالبية المسلمين وآخرون كثيرون في العالم أن غزو العراق كان حرب احتلال. وأن المزاعم بالالتزام بنشر الديمقراطية تم تجاهلها بما يمكن تسميته على الأقصى «ديمقراطية موجهة» برعاية أمريكية، أما خارج العراق، فقد وافقت غالبية الدول على أن مبادرة أمريكا في العراق أحدثت من الضرر أكثر مما أحدثته من النفع[٩٥].

فالحرب في العراق كانت دون دعم يستند إلى تحالف واسع، كما أنها لم تُزِلْ تهديدًا إقليميًّا أو عالميًّا يمتلك أسلحة الدمار الشامل، أو أسلحة نووية، أو حتى داعمًا لأسامة بن لادن وتنظيم القاعدة. بل على العكس لقد خفض الاحتلال بشكل ملحوظ من المستوى المعيشي، سواء في (الوظائف، أو الكهرباء والماء)، أو من ناحية الأمن والأمان للكثير من العراقيين، ودفع العراق إلى شفا الحرب الأهلية، كما أشعل الفتنة الطائفية، والأكثر سخرية أنه حول العراق إلى أرض لتدريب الإرهابيين. وخلق ظروفًا سياسية واقتصادية عززت التطرف والإرهاب، وهدد استقرار البلدان المجاورة مثل: تركيا، والأردن، وسوريا، والسعودية، والكويت، ودول الخليج الأخري، بالإضافة إلى تعزيز مكانة إيران كعامل مؤثر في السياسة في الشرق الأوسط.

فالاعتداءات التي حدثت في العراق، في (أبو غريب)، والحديثة، وخليج جوانتانامو وعمليات تسليم الأسرى (أي: نقل السجناء المشتبه بهم أنهم إرهابيون من وكالة الاستخبارات الأمريكية المركزية إلى بلدان تقوم باستخدام أساليب استجواب وتعذيب

قاسية)- أدى إلى التشكك في سجل الولايات المتحدة في حقوق الإنسان وأثار غضب، ليس فقط المسلمين، ولكن آخرين كثيرين حول العالم. وقد أدان هذه الحرب الكثير من زعماء الأديان السائدة، بما في ذلك الطائفة الميثودية التابعة لبوش نفسه ووصفوها بأنها غير عادلة، وأنها كانت بدعم من القوى السياسية للمحافظين الجدد والمسيحيين اليمينيين المتشددين، مما أدى بالولايات المتحدة إلى محاولة التحايل على القانون الدولي من خلال تبني مبدأ الهجمات الوقائية، والابتعاد عن اتفاقيات جينيف، ومحاولة إعفاء نفسها من المحاسبة أمام المحاكم الدولية.

فتدهور العلاقات الفلسطينية - الإسرائيلية والشعور بتحيز الولايات المتحدة لها، دبلوماسيًّا، وسياسيًّا، وعاطفيًّا، ودعمها للغزو الإسرائيلي وحروب إسرائيل في لبنان وغزة- أفقد أمريكا مصداقيتها في العالم الإسلامي والدولي. فقد فشل الرئيس بوش باستمرار في موازنة اتهاماته لحزب الله، والأعمال الإرهابية الفلسطينية واتخاذه وقفة جادة مماثلة من استخدام إسرائيل للعنف والإرهاب في لبنان وغزة والضفة الغربية.

حيث دعمت حكومة بوش إسرائيل بشكل غير مشروط في حربها غير المتكافئة التي دامت ٣٤ يومًا في لبنان عام ٢٠٠٦، والتي كان سببها ظاهريًّا أسر حزب الله لاثنين من الجنود الإسرائيليين وقتل ثلاثة آخرين في الثاني عشر من يوليو. وفي اليوم الذي تلا إدانة الأمين العام للأمم المتحدة كوفي عنان القصف الإسرائيلي على لبنان ووصفه بأنه «استخدام مفرط للقوة»- كان العنوان الرئيسي لصحيفة النيويورك تايمز كالتالي: «الولايات المتحدة تسارع بإيصال القنابل إلى إسرائيل»، وكان رد إسرائيل على الهجوم بالصواريخ الذي قام به حزب الله بهدف ضرب المدن الشمالية الإسرائيلية، إلقاء أكثر من مليون قنبلة عنقودية على لبنان، والتي كان ضحاياها معظمهم من المدنيين اللبنانيين وليس الإرهابيين. أما الهجمات الجوية على مطار لبنان، ومحطات الوقود، والمنارات، والكباري، والحافلات، والمنازل، ومحطات توليد الطاقة- فراح ضحيتها اثنا عشر ألف لبناني، معظمهم من المدنيين، كما تركت مليونًا آخرين بلا مأوى(٩٦). وفقدت إسرائيل ١١٧ جنديًّا و١٤ شخصًا في الحرب نفسها. وقد وجهت هيئة العفو الدولية الاتهام لإسرائيل بتدمير البنية التحتية الضرورية لحياة السكان المدنيين وتدمير أحياء وقرى مدنية بأكملها بلا جدوى إستراتيجية(٩٧).

الغزو الإسرائيلي والحرب في غزة:

إن التزام أمريكا الشديد بوجود إسرائيل، وأمنها وسلامتها- تم اختباره مرة أخرى عندما قامت إسرائيل في ديسمبر عام ٢٠٠٨ بشن حرب، مدتها ٢٢ يومًا على غزة.

ففي حين يشهد السجل السابق لرؤساء الولايات المتحدة كما في الانتخابات في الأمم المتحدة- مدى التزام أمريكا المستمر تجاه إسرائيل، فإن جورج بوش أخذ العلاقات بين أمريكا وإسرائيل إلى المرحلة الثانية؛ فقد انحازت حكومة بوش لإسرائيل، واعتمدت على الدعم العسكري لها بدلًا من الدبلوماسي؛ لتحاشي القانون الدولي، ومخاطر التورط في جرائم الحرب، فكان توقيت الحرب في غزة محسوبًا بدقة، وتم تنفيذه تحت «بصر» حكومة بوش التي دعمت الحرب الإسرائيلية في لبنان، ولكن عجزت عن التدخل فيها.

وقد تناقلت وسائل الإعلام الإسرائيلية أن الجيش الإسرائيلي كان يخطط ويبحث عن ذريعة أو تحريض للهجوم على غزة. وكانت الحجة التي اتخذها لقصف غزة بالقنابل وغزو أراضيها هو انتهاك حماس لوقف إطلاق النار الذي كان مدته ستة أشهر وقيامها بالقصف المدفعي لإسرائيل. مع أن حماس قامت بالقصف المدفعي فقط بعدما فشلت المحادثات لتجديد وقف إطلاق النار. وبالرغم من أن هذا القصف لم يقتل إسرائيليًّا واحدًا، ادعت إسرائيل أن إطلاق حماس للصواريخ يوميًّا قادها إلى «القتال حتى النهاية المريرة».

فقد تجاهلت إسرائيل حقيقة أنها قامت بالحصار أثناء وقف إطلاق النار لمنع دخول البضائع الضرورية إلى غزة. مما خلق كارثة إنسانية لسكان غزة، البالغ عددهم ١٫٥ مليون شخص بسبب منع المنطقة من الطعام، والوقود، والدواء، والكهرباء، والضروريات المعيشية الأخرى. وكانت الولايات المتحدة وأوروبا متواطئة في هذا الحصار الذي فرضته على حكومة حماس المنتخبة ديمقراطيًّا، الذي كان ضحاياه من السكان المدنيين في غزة. فقام نشطاء حماس بإطلاق الصواريخ للتنفيس عن غضبهم.

بالطريقة نفسها التي اتبعها الجيش الإسرائيلي في الحرب على حزب الله، قام أيضًا بالتورط في غزة في جميع أنواع الهجوم الذي يتنافى مع القوانين والأعراف الدولية للحرب، وكما حدث مع لبنان قامت حكومة بوش بتدعيم الغزو الإسرائيلي والحرب على غزة، والذي راح ضحيته الكثير من المدنيين، وكان معظمهم من النساء والأطفال، وبالطبع غضت الولايات المتحدة الطرف عما تقوم به إسرائيل من تدمير للبنية التحتية

والمؤسسات الاجتماعية (كالمنازل، والأحياء، والجامعات، والمدارس، والمساجد، وأقسام الشرطة، والمستشفيات)، وأشعلت المزيد من الكراهية والتطرف لدى الأجيال الفلسيطينية القادمة.

ووصل عدد القتلى إلى أكثر من ١٣ ألف فلسطيني، و٥ آلاف جريح على الأقل. وكان أكثر الضحايا من المدنيين، من بينهم ٤ آلاف طفل. وكانت نسبة القتلى بين الفلسطينيين والإسرائيليين كنسبة ١٠٠ إلى ١. وقد أمدت الولايات المتحدة إسرائيل بصواريخ إف-١٦، ومروحيات الأباتشي، وتم استخدام القنابل لقتل جميع المدنيين في غزة، بل وحتى امتنعوا عن التصويت في الأمم المتحدة لوقف إطلاق النار الذي ساعد على وضع مسودة. وحذت الولايات المتحدة حذو الحكومة الإسرائيلية في إلقائها اللوم على حماس وحدها لموت المدنيين في غزة، تمامًا كما فعلت مع حزب الله بسبب العدد الهائل للقتلى المدنيين في لبنان.

وبالرغم من نداءات المجتمع الدولي بما في ذلك (الأمم المتحدة، والاتحاد الأوروبي، ومنظمات حقوق الإنسان، والكثير من الزعماء الدينيين، من بينهم (البابا بينديكت السادس عشر) لوقف إطلاق النار فورًا، إلا أن إسرائيل استمرت بمباركة من حكومة بوش، بل وضاعفت من حربها الجوية والأرضية ضاربة بالقانون الدولي وبانتقادات منظمة العفو الدولية بسبب «جرائمها الحربية»- عرض الحائط. وقد دفع سلوك إسرائيل النقاد إلى وصف إسرائيل بأنها «دولة شرسة». كما استنتج آفي شلايم الأستاذ البارز في العلاقات الدولية في جامعة أكسفورد أنه:

"بالنظر إلى سجل إسرائيل على مدار العقود الأربعة الماضية جعل من الصعب مقاومة الاستنتاج بأنها قد أصبحت بالفعل «دولة شرسة»، يقودها مجموعة من القادة «المنعدمي الضمير». فهي تقوم بخرق القانون الدولي باستمرار، وتمتلك أسلحة للدمار الشامل، كما تقوم بممارسة الإرهاب – وهو استخدام العنف ضد المدنين لأسباب سياسية. فإسرائيل تستوفي هذه المعايير الثلاثة؛ لذلك فالرداء يناسبها ويجب أن ترتديه. فهدف إسرائيل الحقيقي ليس التعايش السلمي مع جيرانها الفلسطينيين؛ إنما هدفها هو السيطرة العسكرية"(٩٩).

أما الكاردينال ريناتو مارتينو رئيس المجلس الباباوي للعدل والسلام، فقد انتقد

سلوك إسرائيل في الحرب عدة مرات قائلا: «إننا نرى مذابح مستمرة في الأراضي المقدسة في الوقت الذي لا علاقة للغالبية العظمى من الناس بهذا الصراع، ولكنهم يدفعون حياتهم ثمنًا لهذه الكراهية ... دعونا ننظر إلى الوضع في غزة: فهو يبدو كمعسكر اعتقال أكثر فأكثر»(١٠٠).

فالمظاهرات في العالم الإسلامي، والخطابات السياسية الشهيرة، والإنترنت أدانت عدم اكتراث الزعماء العرب وجامعة الدول العربية في الاستجابة بفعالية، كما عززت الشعور لدى الكثيرين كما في فلسطين- أن الإسلام هو البديل العملي السياسي والوحيد للعالم العربي؛ حيث إن فشل الحكومات العربية والغربية أشعل شعورًا شعبيًّا من العداء للغرب وأمريكا، وقدم سببًا للمتطرفين، كما هدد أمن عامة المجتمعات الإسلامية والغربية.

استمرار التحدي:

منذ بداية السبعينيات، ظهر الإسلام كقوة مؤثرة في السياسات الإسلامية، سواء لعامة المسلمين أو المتطرفين، فالحكومات والحركات الإسلامية، وتيارات الإصلاح والمعارضة، وحتى الإرهابية لجئوا إلى الدين كمصدر للهوية، والشرعية، والحشد الشعبي، وظهرت الحركات الدينية المتطرفة والإرهابية اليوم محليًّا وعالميًّا. وحاليًا يواجه المسلمون تحديًا مزدوجًا يتمثل في الإصلاح الديني والسياسي، وكلاهما جزء لا يتجزأ من تنمية المجتمعات الإسلامية وتهميش واحتواء التطرف الديني والإرهاب.

ويلعب المفكرون والزعماء الدينيون دورًا مهمًّا في الصراع من أجل روح الإسلام؛ فعليهم أن يتحملوا السلطة الدينية ويقدموا رؤية للإسلام تمكن المسلمين من مواجهة تحديات العلاقة بين الدين والحياة في بيئة سريعة التغير، ويرفضوا أديان الكراهية. وهذا التحدي هو في صياغة وتطبيق إصلاحات فقهية وتربوية في (المدارس والجامعات) يمكن أن تتصدى بفعالية لتحديات العولمة في القرن الواحد والعشرين وحاجة الأديان إلى الشمولية بدلًا من الحصرية، وأن يتبنوا التفاهم، والاحترام المتبادل، والمساواة الدينية.

وكما سنرى، في الفصل القادم، أن هناك بالفعل مجموعة من الإصلاحات المختلفة عالميًّا، التي تعمل وتتحدث في القضايا الدينية والإصلاحات السياسية. من هم أصحاب هذه الإصلاحات المهمة؟ ما هي تحديدًا القضايا الرئيسية التي يتحدثون عنها بالنسبة للإسلام والعلاقات بين المسلمين والغرب في القرن الواحد والعشرين؟

الفصل الثالث

أين هم الإصلاحيون المسلمون ؟

يقول الكاتب محمد إقبال، مؤلف كتاب The Reconstruction of Religion Thought in Islam أو إعادة بناء الفكر الديني في المجتمع الإسلامي: "نحتاج إلى نظرية جديدة، ومرحلة مشابهة لفترة الإصلاح البروتستانتي؛ حتى لا ننسى الدروس المستفادة من حركة لوثر".

هل الإسلام قادر على الإصلاح؟:

في اليابان، ومنذ أكثر من عقد مضى، واجهنا أنا وعبد الرحمن واحد (الذي أصبح فيما بعد قائدًا لحركة إسلامية مكونة من ثلاثين مليون شخص ثم أصبح أول رئيس جمهورية إندونيسي ديمقراطي) مجموعة من رجال الأعمال والدبلوماسيين اليابانيين. وكان محور تعليقاتهم وأسئلتهم حول عدم توافق الإسلام مع العلم والتكنولوجيا الحديثة وعدم قدرته على الإصلاح. وهكذا، شكك اليابانيون في قدرة المسلمين على تقبل الحياة العصرية، مرددين المعتقد القديم نفسه الذي انتشر في منتصف القرن العشرين وشكك في قدرة المسلمين على الاختيار بين "مكة والميكنة". وفي محاولة لكسر هذه الصورة النمطية، كنت أشرح لهم كيف كانت تصيبني خيبة الأمل عندما كنت طفلا إذا أعطى لي أحد هدية مكتوبًا عليها "صنع في اليابان". وقد كانت "الحكمة" في وقتها أن المنتج الياباني أرخص سعرًا وأقل جودة من المنتج الأمريكي، وكان من غير المتوقع أن يستطيع المنتج الياباني منافسة التكنولوجيا الأمريكية الأكثر تميزًا. ولكني اليوم أقول بفخر: إنني أمتلك سيارة ماركة Lexus. وهكذا وصلت الرسالة للمستمعين.

وتبدو الأسئلة التي تدور حول الإسلام اليوم على نحو: "هل الإسلام قادر على الإصلاح؟" و"هل هناك مصلحون إسلاميون؟"- غريبة وفي بعض أحيان سخيفة وتبدأ تلك الأسئلة بافتراض "استثنائية الإسلام" "Islamic exceptionalism"، بمعني وجود الاعتقاد بأن الإسلام يختلف عن بقية الأديان. وكما يستطيع أن يلاحظ أي طالب يدرس تاريخ الأديان، فإن أديان العالم قد تغيرت، ومازالت تتغير. وإذا نظرنا إلى الطبيعة الإنسانية والتاريخ والسياق الإجتماعي فسنجد أن التغيير حتمي. ولكن القضية عند المحافظين والأصوليين لم تكن ما إذا كان سيحدث التغيير، بل كيف سيكون شكل هذا التغيير؟.

وقد زادت الدعوة للإصلاح الإسلامي عقب أحداث ١١/ ٩. وبينما يقول البعض: إن الإسلام دين عظيم لا يحتاج إلى تغيير أو تكييف، يقول البعض الآخر: إن هناك حاجة ملحة إلى إعادة تعريف الإسلام والإصلاح في خضم هذا الصراع الحيوي من أجل الاستجابة لمطالب العصر بتهميش دور المتطرفين، والوصول إلى المساواة بين الجنسين، والتعددية الدينية، والحقوق الإنسانية. وقد كان هناك بعض العوامل التي دفعت إلى ترسيخ تلك المطالب للتصدي لتلك التكنولوجيا الحديثة والوسائل الإعلامية التي تساهم في نشر التطرف الديني والإرهاب باسم الإسلام. ولكن إذا كانت هذه هي القضية، فمن وأين هو المصلح الإسلامي، أين هو مارتن لوثر اليوم؟

ولعقود عديدة، كان هناك بعض المفكرين والقادة الإسلاميين من أفريقيا وآسيا وأوروبا وأمريكا الذين ساهموا في تكوين صورة الإسلام في الوقت المعاصر: كيف ساهم الدين والقانون الإسلامي في الدولة الحديثة؟ أين هو دور القيم الإسلامية في القضايا المهمة اليوم مثل: الديمقراطية ، العلمانية، المساواة بين الجنسين، الحقوق الإنسانية، اقتصاد السوق الحر، والمصرفية الحديثة؟ وما هو دور العلماء؟ هل هم أصوات ذات سلطة كي يتكلموا باسم الإسلام؟

والمصلحون هم العلماء والمفكرون والناشطون والمسئولون والمواطنون من القدامى والمعاصرين، وهؤلاء تجدهم في المعاهد والجامعات، في الأكاديميات والمؤتمرات الإسلامية، وفي المجادلات البرلمانية. وتظهر الأفكار الإصلاحية في مئات من الكتب والمقالات والتسجيلات والفيديوهات وأقراص الـ DVD. كما تظهر تلك الأفكار في الجرائد وفتاوى رجال الإفتاء، وعلى الإنترنت. وكما هو الحال في المسيحية، فإن التغيير في الإسلام ليس قاصرًا على الأفكار النظرية والقانونية، ولكنه تضمن الصراعات السياسية والاجتماعية، وفي بعض الأحيان العنف والإرهاب.

وقد نسي معظمنا أن المسيحية قد حاربت على مدار قرون من أجل إحداث التغيير. فقد بدأ الإصلاح البروتستانتي في شكل محاولة لإصلاح الكاثوليكية الرومانية في قضايا كبيرة مثل: البابوية والكهنوتية والقربان المقدس والعشاء الأخير والتقرب إلى العذراء مريم والقديسين، الاعتراف والغفران. وتمثل هذه القضايا جدلًا نظريًا أدى إلى حدوث "حركة التنوير" و"الإصلاح البروتستانتي". ولكن ما يغيب عنا الآن هو أن هذا

الإصلاح الديني كان جزءًا من سلسلة طويلة تضمنت "حرب الثلاثين عامًا" الدامية بين البروتستانت والكاثوليك، وبين الآباء والملوك، ورجال الدين والعلمانيين، وهو صراع سياسي وديني، صراع من أجل السلطة والعقيدة. كان هذا وقتًا للثورة والاضطهاد الديني، وتبني العنف والإرهاب تحت ستار الدين. فقد قام الجانبان بالاضطهاد والأسر والتعذيب وإعدام المعارضين، وتدمير الكنائس والمدارس والمكتبات.

وقد استمر الصراع خلال فترة ما بعد الإصلاح في عهد الديانة المسيحية. كان الصراع في المسيحية حول موضوعات تتضمن نقد الكتاب المقدس وعدم المغامرة بما جاء فيه، ونظرية الخلق في مقابل نظرية النشوء والارتقاء، والبحث في أصل المسيح تاريخيًّا ودينيًّا، والثالوث المقدس، والتعددية الدينية والحوار، والنسبية، العلاقة بالنساء ومثلي الجنس، وتحديد النسل، والإجهاض، وأبحاث الخلايا الجذعية، وتعريف الأدوار الجديدة للعلمانية في الكنائس. واليوم، وبعد كل تلك الحوارات والجدل، مازال المسيحيون يحتلون مكانة بين الأصوليين والإنجيليين إلى الرومان الكاثوليك (الليبراليين والمحافظين)، البروتستانت الرئيسيين، الأورثوذكس الشرقيين، والموحدين.

ويمثل المسلمون، مثلهم مثل المسيحيين، تيارات متعددة من أصوليين ومحافظين وتقليديين، مرورًا إلى علمانيين وإصلاحيين. وعلى عكس الإصلاح المسيحي الذي نما في الغرب على مر القرون- استغرق الإصلاح الإسلامي عصورًا، وليس قرونًا من أجل إحداث تطور ملموس في عالم يهيمن عليه السيطرة الغربية السياسية والعسكرية والاقتصادية. ويتابع العديد من المسلمين الإصلاح، ليس من واقع القوة والسيطرة، بل من واقع الضعف الحالي والصراع من أجل التغيير في مواجهة التسلط، والقمع، وحرية التعبير المحدودة عن الرأي، بل وحرية الصحافة المقيدة، وفي بعض حالات الحروب والإرهاب.

تراث الحداثة الإسلامية:

كان الإصلاح دائمًا جزءًا لا يتجزأ من التاريخ الإسلامي؛ فقد جاهد النبي محمد ﷺ والقوم الأوائل من أجل الارتقاء بالحياة وإرساء نظام إسلامي. ففي كل عصر، كان التفاوت بين إرادة الله وسياسة الدولة محورًا للإصلاحين الإسلاميين وضح (المجددين)، والحركات التي تطالب المسلمين بإصلاح مجتمعهم واتباع قواعد الإسلام بجدية وإيمان أكثر. وقد دعم هذا التوجه الحديث القائل فيما معناه: أن الله يرسل على

رأس كل مائة عام من يجدد للأمة دينها... ففي أوقات الانشقاق أو التراجع، كانت الحركات الإسلامية ورجال الدين (وبعض المتشددين) ينهضون ليطالبوا المجتمع بالرجوع إلى أصول الدين ورسالته ومهمته.

وقد تميز الإسلام منذ بداياته بميراث ثري للفكر الإصلاحي، فمبدآ «التجديد» «والإصلاح» هما مكونان أساسيان للنظرة الإسلامية للعالم، وهما متأصلان في القرآن والسنة، وكلا المبدأين يدعوان إلى العودة لأصول الإسلام (القرآن والسنة)[١٠١].

فالإصلاح هو مصطلح قرآني يصف الدعوة إلى الإصلاح التي قام بها الأنبياء عند دعوة أقوامهم المذنبين للعودة إلى منهج الله عن طريق إعادة تنظيم حياتهم كأفراد ومجتمع على مبادئ الشريعة. وقد جاء هذا المبدأ القرآني المتجسد في حياة الأنبياء- وخاصة محمد ﷺ- متوازيًا مع أمر الله لعباده بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا يوضح المنطلق التاريخي لمنهج الإصلاح في الإسلام، بالرغم من اختلاف طرق تطبيقه على مر العصور.

وقد بني التجديد على منهج الرسول ﷺ كما جاء في حديث الرسول ﷺ: "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها". فالمجددون في الإسلام يرسلون في بدايات كل قرن لاستعادة الممارسات الإسلامية الحقيقية، ثم ما يلبث هذا المجتمع ينحرف عن الطريق القويم بمرور الوقت. ويحدث هذا على مرحلتين، الأولى: هي عند العودة إلى النموذج الأساسي في القرآن والسنة، والثانية: هو حق الاجتهاد في تفسير مصادر الإسلام، ويعتمد هذا التجديد على الإيمان بالمجتمع الصحيح الذي يوجهه الرسول من مقره في المدينة أولًا، ثم القضاء على أية إضافات خارجية وأجنبية وأية بدع ثانيًا، أما العامل الثالث فهو نقد المؤسسات القائمة التي اعتمدت على الترجمة القديمة لمصادر الإسلام. فعلى مر القرون، كان المفكرون الإسلاميون- مثل محمد الغزالي والسيد المهدي في السودان، ومحمد بن عبد الوهاب في شبه الجزيرة العربية وشاه ولي الله في الهند- جميعهم ينادون بالحق في تفسير الإسلام لتنوير المجتمع الإسلامي. وعلى عكس الحركة الإسلامية الحديثة في القرن التاسع عشر والقرن العشرين، لم يكن الهدف من الاجتهاد في الإسلام هو خلق أفكار جديدة، بل كان الهدف هو الرجوع وإعادة اكتشاف الرؤية الكاملة والفريدة للإسلام كما هو في مصادره.

واليوم، يعتمد الإصلاحيون بشكل كبير على الأفكار والإستراتيجيات التي قام بتطويرها القادة المسلمون الذين واجهوا أزمة السيطرة والاستيطان الأوروبي في نهاية

القرن التاسع عشر. وفي وسط التراجع الاقتصادي والسياسي، قام المصلحون الإسلاميون من شمال أفريقيا إلى جنوب شرق آسيا بالدعوة إلى الاجتهاد في الإسلام في محاولة للتواصل مع الحياة المدنية الحديثة. ومثل المسلمين العلمانيين، تأثر المصلحون المسلمون بتهديد "النجاح الغربي"، غير أن الغرب كان مخطئًا، فالمسلمون كانوا ضعفاء، ويمكن السيطرة عليهم، ولذلك طالبوا بنهضة إسلامية للاستجابة للأفكار الغربية الحديثة والمؤسسات. فقد آمنوا أن هذه النهضة سوف تكون الخطوة الأولى على طريق إعادة إحياء الإسلام، واستعادة قوته واستقلاله الإقليمي.

وقد جادل المحدثون الإسلاميون قائلين: إن تراجع المجتمع الإسلامي لم يكن بسبب تراجع في الإسلام نفسه، بل كان السبب هو هجر الدين والعقيدة وعدم اتباع سنة الرسول ﷺ وتعاليم المجتمع الإسلامي الأول. مثال ذلك: أفكار ودراسات الشيخ جمال الدين الأفغاني (١٨٣٨ - ١٨٩٧) ومحمد عبده (١٨٤٩ - ١٩٠٥) في مصر، وسيد أحمد خان (١٨١٧ - ١٨٩٨) ومحمد إقبال (١٨٧٦ - ١٩٣٨) في الهند، والذين طالبوا بتنقية وإعادة بناء، بل وتجديد، الإسلام ليحل محل الدين الدنيوي. كما كان هناك مطالبة بتطوير الشكل التعليمي النظري والعلمي للهدف نفسه. وفي نهاية القرن التاسع عشر، طالب سيد أحمد خان بنظرية جديدة قائلا: "واليوم، كما كان في البداية، نحتاج إلى نظرية جديدة تشك في العلوم الحديثة أو تضعها في تناغم مع عقائد الإسلام". وقد وهب أحمد خان حياته للإصلاح الديني والتعليمي مؤسسًا جامعة Aligarh التي بنى منهجها على منهج جامعة Oxford. وبعد عدة سنوات، وفي جنوب الهند، دعا محمد إقبال- مأذون وشاعر حاصل على ليسانس قانون من إحدى جامعات لندن ودكتوراه من ألمانيا- للإصلاح الديني قائلا: "نحن بحاجة إلى نظرية جديدة، وفترة مماثلة لمرحلة الإصلاح البروتستانتي. يجب ألا ننسى الدروس المستفادة من حركة لوثر".

ركز المحدثون الإسلاميون على توافق الإسلام مع المنطق، والعلم، والتكنولوجيا. فقد استرجعوا إنجازات المسلمين التاريخية في الحساب، والجبر، والهندسة، والطب والعلوم؛ ليوضحوا أن الإسلام هو دين منطق وتقدم، كما طالبوا بالاجتهاد في القانون الإسلامي والنظريات للتفريق بين القوانين الإسلامية الثابتة وغير المتغيرة (مثل: الصلاة والصوم والحج) والتشريعات الاجتماعية (مثل: الزواج والطلاق والعقود)، بل وحتى الأنظمة السياسية التي يجب أن تتغير لتقابل طلبات المجتمعات المتغيرة والحياة الحديثة.

وقد أدى هذا إلى تطور المفهوم الرئيس للإصلاح في الإسلام، وهو ما يتم ترديده كثيرًا اليوم وهو التفريق الجذري بين الشريعة (المبادئ والقيم الإلهية الثابتة) والفقه (القوانين والاجتهادات البشرية الإسلامية)، وهذه القوانين لابد أن تتوافق مع الظروف المتغيرة والقضايا المستجدة في مجتمعنا الحديث.

الغريب في الأمر أن معظم الإصلاحيين الدينيين لم يدرسوا أو يتدربوا على هذا، بل إنهم تلقوا تعليمًا مدنيًا على يد علماء تم اعتبارهم بمثابة "حماة الإسلام". لذلك، فقد تقيد هؤلاء الإصلاحيون باجتهادات العلماء القدامى. فقد تم ترجمة معاني الآيات القرآنية لتوضيح أهمية المساواة بين الجنسين للحد من ظاهرة تعدد الزوجات، وحق الزوج المتفرد في الطلاق، إلى جانب توضيح أهمية تعليم الفتيات. غير أن تأثير الإصلاحيين لم يكن كبيرًا بسبب تأثير أنظمة السلطة والكيانات الإسلامية المتحفظة. بل إن أغلب الإصلاحيين لم يتفهموا الحاجة إلى إنشاء منظمات إصلاحية قوية، لكن اجتهادهم في الإسلام قد خلق أساسًا قويًا يستطيع أن يبني الكثيرون عليه اليوم. وقد ظل إرث عبده وخان وإقبال حيًا بين الإصلاحيين الذين كانوا يعملون على أسلمة الأفكار الحديثة للديمقراطية والحكومات البرلمانية، وحقوق الإنسان، والمساواة بين الجنسين، والإصلاح من أجل خلق أنظمة تعليمية تجمع بين المناهج الحديثة والدراسات الإسلامية. وقد اقتحمت الأفكار والقيم الإسلامية الحديثة سيل حوارات المسلمين حتى أصبحت جزءًا من تيار الفكر الإسلامي كما سنرى لاحقًا.

إعادة التفكير في الإسلام :

بدأ الإصلاح الإسلامي في المجتمعات الأولى، وهو مستمر حتى الآن، يسوده أحيانًا بعض التطرف الذي يأتي من المتطرفين الذين يتلقون معلومات مغلوطة. فالأصوات الإسلامية التي تطالب بالإصلاح، سواء أكانت للباحثين من العلماء والمثقفين "من أشباه مارتن لوثر" أو الدعاة "من أشباه بيلي جراهامز"، يمثلون مجموعة متنوعة من المسلمين من الرجال والنساء، والعلمانيين ورجال الدين، والمحترفين والباحثين، إلى جانب المشاهير من الدعاة. وهذا الجمهور يمتد من شمال أفريقيا إلى دول الخليج، ومن جنوب شرق آسيا وصولًا إلى أوروبا وأمريكا.

وسيبحث هذا الفصل في عينة من المسلمين المنتشرين حول العالم، والذين يمثلون رأس حربة في إعادة التفكير والبحث في الإسلام ودوره حول العالم. ويأتي هنا استخدام

مصطلحات مثل: "الإصلاح الإسلامي" و "مارتن لوثر، وبيلي جراهامز"، أو "مشاهير الدعاة" فعالًا ووظيفيًا، يشير إلى فترة كبيرة وعملية إصلاح. ولكن هذا الإصلاح الإسلامي لا يحاكي الإصلاح البروتستانتي. فالمصلحون لهم دور مهم، ليس فقط بسبب أفكارهم واتجاهاتهم، ولكن بسبب تصوراتهم الراسخة الفاضحة التي تقول بأن الإسلام هو دين القرون الوسطى، دين ثابت غير قادر على التغيير، دين عنف يحتقر المرأة ولا يتفق مع الديمقراطية. كما أن المسلمين لا يهاجمون التطرف الديني والإرهاب، بل ويرفضون التعددية الدينية وحوار الأديان، فالمسلمون لا يستطيعون أن يكونوا مواطنين صالحين.

إن هذا التعدد والتنوع في عدد الإصلاحيين اليوم يطرح سؤالًا (يخفي تهكمًا) وهو: "هل هناك من الإصلاحيين المسلمين من هو جاد بالفعل؟". لعله من الأفضل أن يكونوا قليلي العدد حتى أستطيع أن أتغلب على صعوبة اختيار نموذج أتحدث عنه. فالمعيار الأول لاختياري كان هو العدد الهائل لأتباع أو جمهور بعضهم، والذين يقدمون قاعدة دينية وعلمانية، بل وتقليدية، وأصواتًا حديثة تطالب بالإصلاح في القرن الواحد والعشرين. فأنا مهتم بنظرياتهم وآرائهم وكيفية وصول أحدهم إلى نتيجة، والتي هي أهم من النتيجة نفسها.

ظهر اسما طارق رمضان وعمرو خالد في القائمة السنوية لمجلة التايمز لأكثر مائة شخصية تأثيرًا حول العالم. ويعد رجال الإفتاء التالين مثل: فضيلة الشيخ علي جمعة مفتي الديار المصرية، ومصطفى سيرك مفتي البوسنة والهرسك، والعالم المصري الجليل يوسف القرضاوي- هم من أعظم رجال الإفتاء الذين يتمتعون بآراء وتوجهات مختلفة. كما يوجد بعض الباحثين الإسلاميين والغربيين المهمين في مجال الدين الإسلامي من خلفيات ثقافية متعددة، من أمثال: نورشوليش ماجد من إندونيسيا، تيموثي وينتر (عبد الحكيم مراد) من بريطانيا، فرحات هاشمي من باكستان وكندا، أمينة ودود من الولايات المتحدة، وهبة رءوف من مصر. وتعد فرحات وأمينة وهبة عالمات في مجال الإصلاح الإسلامي، تتبنى وجهات نظر مضادة لنظرة المرأة في الإسلام. ويشبه عبد الله جيمنستيار في إندونيسيا الأستاذ عمرو خالد في مصر، فهو يمثل جيلا من الدعاة الجدد الذين تدور قضاياهم حول السؤال الأهم للمسلمين حول العالم: "كيف نعيش؟".

التراث والحداثة، أو ربط الماضي بالحاضر:

يكمن التحدي الأساسي أمام الإصلاحيين الإسلاميين في أهمية الربط والاستمرارية

بين التغيرات التي تحدث في عالمنا الآن وبين المعتقدات الإسلامية الراسخة منذ الأزل. فقد قامت بقية الطوائف (الكاثوليك، البروتستانت، اليهود) بالخوض في تلك المسألة، بل ومازالت تصارع حتى الآن في محاولة لإصلاح قوانين الزواج والطلاق والإجهاض والشذوذ الجنسي، أو استخدام العلوم الجديدة في أبحاث الخلايا الجذعية والاستنساخ. وتكمن شرعية الفكر الإسلامي الإصلاحي في مدى القبول أو الرفض الذي يواجه به، كما تتوقف على شخصية وأصالة الصفة الإسلامية التي تبحث فيها. لذلك، فإن أهمية "الكيف" مثلها مثل أهمية "الماهية"، كما أن أهمية مرحلة التغيير ليست أقل أهمية من الإصلاح نفسه.

وليس من الغريب أن تجد المصلحين دائمًا ما يؤكدون أنهم لا يدافعون عن شيء "جديد" بعينه، وأن التقاليد الإسلامية دائمًا ما عرفت أهمية إعادة تفسير مصادرها في ضوء الحقائق الثقافية والاجتماعية المعاصرة. ومثل المحدثين الإسلاميين في نهايات القرنين التاسع عشر والعشرين، يضع معظم المصلحين اليوم فرقًا حادًّا بين فروض الله أو العبادات (مثل الصلاة والزكاة وصيام رمضان)، وبين القوانين التي تحكم الشئون الاجتماعية والإنسانية (الزواج، والطلاق، والمواريث، والعقود، وفوائد البنوك، وتعدد الزوجات)، تلك القوانين التي يمكن تغييرها وفقًا للظروف الجديدة[١٠١]، كما يستعرض الدكتور طارق رمضان قائلا:

"الإيمان بالمبادئ لا يمكن أن يتضمن الإيمان بالرموز التاريخية؛ حيث إنه في أوقات التغيير تتعقد الأنظمة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وفي كل عصر يكون من الضروري أن نتخذ نموذجًا مناسبًا لكل حقيقة اجتماعية وثقافية"[١٠٢].

لكن ماذا عن المصادر المقدسة من القرآن وتعاليم الرسول ﷺ؟ هل تمنع التغيير مقللة من صورة الدين كي يصبح صورة ساكنة مقدسة في نظر العالم؟

ويشير العديد من الإصلاحيين إلى أن من يؤمن بأن الكتب السماوية هي كلام الله المنزل لا يحتاج إلى تفسير أو إعادة تفسير للنصوص. ويضيف الدكتور رمضان: «إن (التغيير) يتطلب (إعادة تفسير) مصادر الكتب السماوية برؤية جديدة ... وهذا التجديد ليس تغييرًا في المصادر، ولكنه تحول في التفكير والرؤية تجاه مختلف القضايا التي تتأثر بالبيئة الاجتماعية والسياسية والعلمية الجديدة، تلك البيئة التي يعيشون فيها. فالسياق الجديد يغير من أبعاد النص ويجدده، بل ويعطيه مضمونًا أصليًّا ليلاقي استجابة غير متوقعة"[١٠٣].

ويحظى رمضان بمكانة تؤهله للخوض في مسألة التقاليد الإسلامية وإعادة قراءة النصوص المقدسة في استجابة للتغيرات المعاصرة في السياق الاجتماعي والتاريخي. فالدكتور رمضان يحاول توضيح نقطة الاستمرارية بين الإصلاح والموروثات الإسلامية.

وقد أدت حقيقة كون المواريث والنظريات والقوانين الإسلامية مبنية على أسس القرآن والسنة- بأن يتبنى المصلحون نظرية تقدس الموروثات الإسلامية وعصور الإسلام القديمة. وينظر العديد من العلماء- منذ زمن وإلى الآن- إلى مدارس القانون الإسلامية على أنها مصادر ذات سلطة مقدسة لا يمكن مناقشتها أو تغييرها. ويشير نورشوليش ماجد إلى جوهر القضية بدعوة المسلمين إلى التخلي عن (تقديس الموروثات)، والتفريق بين القضايا الخاصة والعامة، بين كلام الله الذي لا يمكن تغييره والثقافات والموروثات الإسلامية التي يمكن أن تتغير. ويعترف ماجد، مثله مثل رمضان، بالصعوبة التي يلاقيها المسلمون عندما تصبح الأمور غامضة فيما يمكن أو لا يمكن تغييره[١٠٥]. وهذا ينتج عنه نظرة دينية جامدة للعالم.

تؤثر تلك القوة التي تتمتع بها الموروثات الإسلامية في العديد من القضايا المصيرية. ففي تيار السنة، يكفي إجماع العلماء على قضية ما حتى تحسم تلك القضية عند جمهور المسلمين. إذًا، فالإجماع على ارتداء المرأة للحجاب أو عدم شرعية إمامة المرأة للرجال هو بمثابة تحريم ديني، حتى وإن لم يذكر القرآن شيئًا عن تلك القضايا، أو لم تأت السنة بنص يتحدث عن حرمة ذلك (وهو ما يشبه رفض قضية حق المرأة أن تصبح كاهنة في الكنيسة بالرغم من عدم وجود نص صريح في الكتاب المقدس يحرم ذلك، إلا أن التحريم جاء بناءًا على موروثات ومعتقدات دينية). ويرفض المسلمون من أنصار التمسك بالموروثات الفشل في الربط بين موروثات الماضي ومحاولات الإصلاح في الوقت الحاضر. ففي جامعة الأزهر (منارة الإسلام ذات السلطة) هناك مقولة مفادها أن: "الإجماع يعد بمثابة ركيزة أساسية يستند إليها الدين".

وهناك من الإصلاحيين الجدد علماء مثل نورشوليش ماجد ومصطفي سيرك اللذين يحترمان المواريث الإسلامية القديمة، لكنهم في الوقت نفسه يدافعان عن أهمية الحداثة في بعض الأمور. فبينما يمجدان في الإسلام وموروثاته، يعترفان بأن تلك الموروثات ليست هي المصدر الوحيد للشئون الدينية، بل إنها أداة لحل المشكلات المعاصرة[١٠٦]. لذلك، فعند الضرورة يعودون سريعًا إلى القرآن. يشعرون بالحرية في رفض التفسيرات القديمة

والتي يرونها وكأنها تحكمها سياقات اجتماعية وتاريخية، لم تعد ذات صلة أو إفادة، بل والأهم أنها ليست بالضرورة تستند إلى أية نصوص قرآنية. هكذا، فإنهم يعيدون قراءة النصوص المقدسة من خلال السياق المعاصر للوصول إلى نتائج جديدة في تفسير القرآن.

ويقدم نورشوليش ماجد نموذجًا لمنهج الإصلاحيين في تناوله لقضية الردة في الإسلام. فقد أشار إلى أن القانون الإسلامي الذي يقضي بإقامة الحد على المرتدين عن الإسلام- ليس له أي أساس في القرآن. فقد كان هذا القانون نتاج اجتهاد إنساني بحت في عصور الإسلام الأولى من أجل الحد من الردة وجعلها مساوية لعقوبة خيانة البلاد. ولكن الأمور تغيرت الآن، لذا يلزم تغيير القانون على حد قوله. ويستطرد ماجد قائلا: إن عقوبة الارتداد عن الإيمان هي أمر لا يجب أن يكون دنيويًا، بل يجب أن يترك لله يوم الحساب.

ولعلنا نجد بعض رجال الإصلاح- من أمثال رمضان وماجد الذين يرفض المجتمع وعلماء الدين الاعتراف بهم بحجة أنهم علمانيون- تأثرت أجندتهم بتعليمهم واحتكاكهم بالغرب، وعلى العكس نجد بعض العلماء الذين يعكسون أفكار وقضايا الإصلاح. ففي استجابة سريعة لما جاء في جريدتي واشنطن بوست ونيوز ويك، نشر موقع (أون فيث) ما جاء على لسان الشيخ علي جمعة مفتي الديار المصرية من أن الله قد أعطى الحرية للإنسانية جمعاء بما في ذلك حق اختيار الدين دون فرض[١٠٦]. ويدلل الشيخ علي جمعة على ذلك عن طريق الاستشهاد ببعض الآيات القرآنية، ويضيف: " إن السؤال الأساسي الذي نحن بصدده الآن هو: هل يستطيع المسلم أن يرتد عن الإسلام ويختار دينًا آخر؟ والإجابة هي: نعم؛ حيث يقول القرآن في سورة الكافرون: ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ [الكافرون:٦] وفي سورة الكهف: ﴿ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾، وسورة البقرة أيضًا: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ﴾ [البقرة:٢٦٥][١٠٧]، لكن جمعة قد شدد على أن الحرية تعني المسئولية، فالاختيار يعني الحرية، بما فيها الحرية في ترك الدين، وهي سيئة يعاقب عليها يوم القيامة.

لم يقتصر التفريق بين الضرورات الدينية والالتزامات الاجتماعية على المصلحين الجدد فقط، بل امتد ليشمل بعض العلماء من أنصار الموروثات القديمة. والشيخ يوسف القرضاوي هو أحد أكبر علماء الإسلام وقد تلقى تعليمه في الأزهر. ويعد الشيخ القرضاوي باحثًا ومفتيًا في الشئون الإسلامية التي تتعرض للموروثات، وله كلمة ورأي مسموع، ورغم ذلك فهو يتقبل فكرة التفريق بين واجبات المسلم وفروضه تجاه الله

وشعائر الإسلام التي لا يمكن تغييرها، وباقي القضايا التي تتعلق بالقوانين الإسلامية. لذلك، وعلي سبيل المثال، نجد أن الفروض الإسلامية مثل الزكاة لا يمكن أن تحل محلها الضرائب الحكومية مثلا، كما أن صيام رمضان لا يمكن أن ينقل لأي شهر آخر. وبالمثل، فإن صلاة الجماعة يوم الجمعة لا يمكن أن تصلى في يوم آخر. لذا، يقول القرضاوي: «إن أية ممارسات لاتتعلق بالفروض يمكن إعادة النظر في معانيها الخفية وأهدافها. وعندما نصل إلى تلك الأهداف يمكن حينئذ قبول أو رفض تلك الممارسات»(١٠٨). فسلطة التفسير كانت موجودة في الماضي، لكنها لا تتماشى مع الحقائق والظروف الاجتماعية الراهنة.

ويتجنب طارق رمضان الخوض في هذا السؤال بشكل مباشر بسبب الانتقادات التي قد تهدد مصداقيته ومكانته عند الكثير من المسلمين. غير أنه يجد مكانًا للإصلاح بالاستناد إلى فكرة سماح القرآن بكل شيء ما لم يذكر عكس ذلك بنص صريح فيه ولم يحرمه كبار رجال الدين. لذلك، يقول رمضان: " إن نطاق ممارسة المنطق والابتكار واسع جدًّا" (١٠٩).

كذلك يقول القرضاوي:« إن كل شئ مباح وحلال ما لم يحرم بنص قرآني صريح أو حديث صحيح»(١١٠). ويجعل هذا القرضاوي في مصاف الباحثين المحدثين الذين يتمسكون بالمواريث القديمة، لكن يضعه أيضًا في مواجهة وخلاف مع المسلمين من التيار السلفي المتزمت المحافظ الذي يقول بأن "كل شيء محرم ما لم يثبت عكس ذلك".

وتتلخص رؤية القرضاوي في كتابه (الحلال والحرام في الإسلام)، وهو الكتاب الذي يعتمد عليه الكثير من المسلمين حول العالم وفي الغرب. يتحدث القرضاوي في هذا الكتاب عن المشاكل والقضايا اليومية التي تواجه المسلمين من زواج وطلاق وتربية النشء إلى المعاملات التجارية. وفي تصد لفتاوى بعض العلماء المتشددين، يعتمد القرضاوي على القرآن والسنة؛ حيث إن هدف الإسلام هو التيسير على الناس وليس التعسير. وفيما يخص قوانين العقوبات في الإسلام، يقول القرضاوي: «إنه يجب توقيع أقل عقوبة ممكنة وليس أقصى عقوبة. فالتوبة وحدها تكفي لإلغاء العقوبة أو الحد (مثل بتر الأطراف في حالة السرقة أو الرجم في حالات الزنا)، كما يجب أن تترك عقوبة شرب

الخمر كي تكون عقوبة تقديرية»(١١١). وبالمثل، يصر القرضاوي على أن دور رجال القانون الإسلامي هو أن يسهلوا عملية التغيير بدلًا من الالتصاق بالماضي ومعارضة الإصلاح في قضايا عدة وحيوية مثل المعاملات المالية، وقضايا المرأة والأسرة، والآداب والترفيه.

يؤكد الشيخ علي جمعة مفتي الديار المصرية على أهمية الموروثات القانونية الإسلامية. لكنه في الوقت نفسه يطالب بإيجاد حلول قانونية للقضايا الجديدة المعاصرة. وعلى عكس ما يراه الكثيرون من أن الدين الإسلامي جامد متحيز لا يقبل التفسير أو النقاش، يرى جمعة أن هناك بعض القوانين التي تربطها صلة تاريخية بالماضي ولكن يمكن تغييرها. فهو حريص على ألا يذهب في صدام مع الباحثين القدامى، ولكنه في الوقت نفسه حريص على أن يجادل بأن الواقع المعاصر بحاجة إلى تفسير وحلول جديدة، ويشرح قائلا:

"نحن نعتبر مصادر الإسلام مقدسة لأننا نؤمن أنها تأتي من عند الله. لذلك، لا يمكننا أن نقول: إن أسئلة الباحثين القانونية المنطقية ليست واقعية، بل إنها صحيحة وفقًا للزمان والمكان... فنحن نتبنى آراءً مختلفة اليوم نتيجة لاختلاف الزمان والمكان والأشخاص والظروف. ومن هنا تتبلور نظرية " الحتمية الزمنية " التي تعني أن كل عصر يحمل معه فروضًا يجب أن ينشغل بها الباحثون. وتتغير هذه الفروض بتغير الزمن وظروف الناس... وبينما نعتقد أن الأسئلة القانونية تتقيد بظروف الزمان والمكان على سبيل المثال، فإننا أيضًا نؤمن بأنها كانت مناسبة لهذا الزمان والمكان، حتى وإن بدت غير مناسبة للعصر الحالي. ومن هنا يأتي الحكم بأننا نحترم الموروثات لكننا لا نقدسها، فنحن نعني بالموروثات أنها نتاج فكري لجهود باحثين على مدى عصور طويلة"(١١٢).

ثمرة التفريق بين الإسلام الصحيح والتطرف:

تتناسى العديد من الشعوب أن أشكال التطرف والإرهاب التي تحدث في الغرب تضر بالمسلمين أكثر. فليس معظم ضحايا العمليات الإرهابية من المسلمين فقط، بل إن الخوف من استمرار العنف حول العالم قد ربط الدين بهذه التهديدات والشرور، ورسم المسلمين على أنهم لا يتصدون لتلك الممارسات ولا يدينونها.

وقد كانت أحداث الحادي عشر من سبتمبر وتبعاتها بمثابة صفعة أفاقت الكثير من المسلمين. فبينما لايزال الكثيرون في حالة من الإنكار، هناك أيضًا الكثيرون الذين يعون تهديدات التطرف الديني وفهم الحاجة إلى تحالف العالم في مواجهة المتطرفين. لذا، فالإصلاح هو مفتاح مستقبل المسلمين للتفريق بين الدين الإسلامي الحق وأشكال التطرف.

ينكر الكثير من المسلمين أحداث الحادي عشر من سبتمبر مستندين إلى التفريق بين الدين الحق والتطرف، كما يفرقون بين أشكال العنف المشروعة وغير المشروعة التي تندرج تحت نطاق العمليات الإرهابية. لذلك، مازالت التفجيرات الانتحارية في الأراضي الفلسطينية موضع جدل.

يمثل تيموثي وينتر، الأستاذ بجامعة كامبريدج والعالم الإسلامي الجليل، العديد من المسلمين من حيث التفكير المستنير المنطقي ورفض أشكال التطرف مثل التي تتبناها القاعدة وهي غير شرعية دينيًا. ويشجب وينتر فشل المتطرفين في التقيد بالشريعة في القانون الإسلامي[113]. وعلى عكس بعض المسلمين، يرفض وينتر التفجيرات الانتحارية باعتبارها شكلا من أشكال الانتحار، كما يرفض إزهاق أرواح المدنيين لكونه شيئًا محرمًا وهو أشد من القتل. لذلك، يهاجم وينتر أسامه بن لادن وذراعه الأيمن أيمن الظواهري لانتهاكهم تعاليم الدين الإسلامي الحنيف، ويضيف:

"تتجاهل إعلاناتهم ١٤ قرنًا من الأبحاث الإسلامية... بل ويستخدمون قوائم مظالم مناهضة للولايات المتحدة وآيات قرآنية تشير إلى حروب المسلمين الأوائل ضد الكفار... كل ذلك يؤدي إلى خرق مشين لتعاليم الإسلام... فأيما شخص يقتل المدنيين غير المحاربين بغير ذنب "اعتداء مسلح" فقد "بغى"، وهي جريمة كبرى في الإسلام. فالجهاد يجب أن يكون منظمًا بواسطة الدولة[114].

يتبنى الشيخ يوسف القرضاوي موقف وينتر نفسه فيما يتعلق بالتطرف الديني من حيث تغييب العقل وضيق الأفق عند بعض الباحثين والعلماء مما يفتح المجال إلى الأفعال الإرهابية. وينتقد القرضاوي التيار السلفي والمسلمين الذين يتبنون موقفًا سلبيًا تجاه الإسلام: "فبالنسبة لهم، يجب أن يصبح المجتمع ككل تجسيدًا للجاهلية، كل شيء في الحياة حرام، والناس؛ إما منافقون، أو ملحدون، والعالم مليء بالوحوش والكون يمتلئ بالشر "[115].

بالرغم من كون القرضاوي أحد أعضاء جماعة الإخوان المسلمين المصرية، إلا أنه يلوم الموقف السلفي الذي يتزعمه اثنان من رموز جماعة الإخوان المسلمين هما سيد قطب والشيخ سعيد حوى. وبالرغم من أن القرضاوي على علم بتأثير القمع الحكومي في الخمسينيات والستينيات ضد الإخوان المسلمين ونظرة العالم لهم، إلا أنه ينتقد فكرهم المقاتل الذي يدعو إلى "رفض كل شيء، والتشاؤم والشك، واتهام الآخر بغض النظر عن

ميولهم وانتماءاتهم حتى ولو كانوا من المسلمين"(١١٦). ويشدد القرضاوي على أن الحركات الإسلامية (مثل الإخوان المسلمين) يجب أن ترى الألوان الأخرى للحياة وليس فقط اللونين الأبيض والأسود، وتبنِّي وجهة نظر معتدلة تجاه الدين الإسلامي. فالإسلام، كما يراه القرضاوي، هو دين "وسط بين التطرف والعلمانية يستند إلى تفسيرات دينية تؤكد الاعتدال"(١١٧).

كان القرضاوي من أوائل العلماء المسلمين الذين أدانوا أحداث الحادي عشر من سبتمبر الإرهابية ثاني يوم الاعتداء مباشرة، كما شجع المسلمين للتبرع بالدم من أجل إنقاذ الضحايا. فالمسلم لا يجب أن يقتل إلا من اعتدى عليه، كما أن الدين الإسلامي الحنيف يحرم قتل المدنيين والأبرياء:

"الإسلام هو دين التسامح الذي يسمو بالروح الإنسانية، كما يدين قتل الأبرياء الذي هو من الذنوب الكبرى كما توضح الآية القرآنية التالية: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [المائدة: ٣٢]... لذا، فأنا أعارض مثل هذه الهجمات على يد من يدعون الإسلام"(١١٨).

ويذهب القرضاوي إلى ما هو أبعد من ذلك في الانتقاد. ويضيف أن العرب المسلمين قد يتعاطفون مع ضحايا الحادي عشر من سبتمبر بسبب تجربتهم مع ممارسات الجيش الإسرائيلي: "نحن نتشارك تجربة معاناة الفلسطينين من قبل الطغيان اليهودي الذي يساوي بيوت الفلسطنيين بالأرض، ويجرف التربة، ويقتل بدم بارد ليترك أطفالًا يتامى يولولون"(١١٩). هذا المنظور، كما سوف نرى، يؤثر في موقف البعض تجاه التفجيرات الانتحارية في فلسطين وإسرائيل التي يراها البعض كعمل بطولي، والبعض الآخر ينظر لها كعمل شرير.

وعلى الرغم من إدانة القرضاوي ووينتر للإرهابيين المسلمين، إلا أنه لا ينظر إلى الدول الغربية على كونها بريئة. أما بالنسبة لوينتر، فعلى الرغم من انتقاده لتنظيم القاعدة والإرهابيين الآخرين، إلا أنه يرى أن الفكر الغربي يعكس خطًا قتاليًا يبرر استخدام القوة لترويع الإرهابيين: "يعد سلاح ٧٧٧ هو السلاح النووي للرجل البسيط الذي أصبح خائنًا في مواجهة الشرق بسبب تبنيه للفكر القتالي لأعدائه المفترضين، بل إنه يذهب أكثر من الحكومات العربية في توضيح ثمن الاتجاه للغرب"(١٢٠).

وبسبب إيمانه بالإسلام التقليدي، ينظر وينتر إلى كافة الحركات الإسلامية الإرهابية وغير الإرهابية على أنها ليست سوى انعكاس لسياسات الغرب في الشرق الأوسط:

"منذ عشرين أو ثلاثين عامًا مضت، لم نكن قد سمعنا عن أية حركات أصولية... تلك التي تستهدف المدنيين... كما أن تلك الحركات لم تكتسب أيَّ موقف قيادي ديني، لكنها فقط قد اكتسبت بعض الجموع في الشوارع في أماكن حساسة للغاية مثل غزة، وبعض الأحياء الفقيرة في بغداد وبعض المناطق الأخرى، حيث تبنت موقفًا غير قليل. وهذا يمثل تحديًا كبيرًا للسلطة الدينية كيف تعيد طمأنه وتوكيد الأرثوذكسية في مواجهة ثورة الأصوليين التي تنمو؟(١٢١).

بينما تُتهم السياسات الغربية بتصعيد الغضب ومشاعر العداء في العالم الإسلامي، ينتقد وينتر الفكر الوهابي بالمملكة العربية السعودية، ذلك الفكر الذي يعطي المسلمين المتطرفين ذريعة دينية لتطرفهم وعنفهم: "ليس من العادل أن نقول: إن سياسات الغرب هي المحفزة وراء أحداث الحادي عشر من سبتمبر. فبدون موقف ديني يبرر رفض إدانة العمليات الانتحارية والإرهاب، فإن غضب الأرثوذكس ما كان ليؤدي لموجة غضب تجاه الدين ومن ثم البحث عن حلولٍ علمانية. لكن هذا الدين البديل لازال موجودًا"(١٢٢).

وخلال العقود الحديثة، قامت المملكة العربية السعودية ورجال الأعمال السعوديين بتمويل بناء المساجد حول العالم ودفع رواتب الأئمة الوهابيين، إلى جانب توزيع آلاف المصاحف والكتب الدينية حول العالم. ويؤمن وينتر أنه بالرغم من رفض الفكر الوهابي الإسلامي (الدين البديل) تاريخيًّا من قبل غالبية مسلمي العالم، إلا أن قبوله اليوم "يسمح للشباب الذي تزايد غضبه من السياسات الأمريكية في الشرق الأوسط بتجاهل الإجماع حول معنى القرآن، وقراءة غضبه فقط"(١٢٣). ومن أجل الاستجابة لتهديدات الأصوليين، يدعو وينتر إلى حركة إصلاح مضادة "يقودها خيرة القوانين والروح العالمية التاريخية". ويشدد وينتر على أن الحل هو "المسئولية الأولية للعالم الإسلامي، وليس مسئولية الغرب"(١٢٤).

يرى وينتر أن الإرهاب العالمي هو نتيجة للتطرف الإسلامي والغربي على حد سواء. أما الجناة، فهم صقور الحرب الأمريكيين غير المحافظين والإرهابيون المسلمون الذين يتشاركون في متشابهات جلية. فكلاهما قد طوع الماضي لتمجيد الحاضر، لكنهما "لا يرتبطان ببقايا الدين، ولا يعرضان أية دلالات للوعي عن كيفية الارتباط بالتاريخ"(١٢٥).

ويؤكد وينتر أن المتطرفين المسلمين هم نتاج الحداثة والعولمة. فتأكيد (المطالب البسيطة) في وقت الحرب له جذور في التاريخ الغربي الحديث والفلسفة التنويرية عن الإسلام كما ينظر لها في بريطانيا على أنها (تفجيرات إرهابية) مثل التي حدثت في هامبورج في الأربعينيات وسلاسل التفجيرات في دريسدن عام ١٩٤٥[١٢٦].

وينظر يوسف القرضاوي إلى الوضع بشكل مختلف حين يربط التطرف الديني بالغطرسة وضحالة الفكر، إلى جانب قلة المعرفة والبصيرة الدينية. وهذا يدفع المتطرفين المسلمين إلى النظر لقضايا هامشية (مثل إطلاق اللحى ولبس الملابس التي تغطي الرأس حتى القدم) والتركيز على السلبيات: "هم يلهثون وراء مبدأ تحريم الأشياء دون سبب أو في سبيل الله. وإذا كان هناك رأيان حول الانحياز الإسلامي لأشياء بعينها، أحدهما يناقش (المباح) والآخر يناقش (المكروه)، فسوف يؤثر المتطرفون الرأي الأخير"[١٢٧]. لذا، يقول القرضاوي: إن تلك الآراء تشتت القضايا الرئيسية مثل: العلمانية، الصهيونية، والمسيحية (شبه الصليبية)[١٢٧].

التفجيرات الانتحارية - حرب الفتاوى:

كانت هناك بعض القضايا التي شغلت رجال الدين والباحثين في السنوات الأخيرة أكثر من قضية التفجيرات الانتحارية. ويتبلور السؤال حول ما إذا كانت التفجيرات الانتحارية شرعية أم غير شرعية في المشهد الفلسطيني - الإسرائيلي خلال الانتفاضة الثانية. فقد أدت زيادة العنف الإسرائيلي المسلح والاغتيالات الموجهة، إلى جانب نقص الأسلحة على المستوى الفلسطيني من أجل مواجهة متكافئة للدفاع عن أنفسهم، أدت إلى تأكيد إيمان الفلسطنيين بأن المتفجرين الانتحاريين لا يقومون بعمليات انتحارية بل هي عمليات استشهادية، وهي الخيار الوحيد أمامهم من أجل المقاومة ومواجهة العدو الذي يتمتع بالقوة العسكرية والدعم الأجنبي. وكما توضح ملصقات الطلبة في جامعات الضفة الغربية وقطاع غزة: "تمتلك إسرائيل قنابل نووية، بينما نمتلك نحن قنابل بشرية".

أما الهجمات الانتحارية التي تستهدف المدنيين الأبرياء أو غير المحاربين فهي تشعل شرارة الجدل بين رجال الدين في العالم الإسلامي. فقد أوضح الشيخ أحمد ياسين القائد الإسلامي السابق ومؤسس حركة حماس والشيخ عكرمة صبري مفتي القدس، إلى جانب العديد من رجال الدين العرب والفلسطنيين أن التفجيرات الانتحارية ضرورية ولازمة لمواجهة الاحتلال الإسرائيلي والقوة العسكرية المهيمنة. ويدين الشيخ يوسف

القرضاوي العمليات الإرهابية والتفجيرات الانتحارية، حتى إنه في عام ١٩٩٥ كان واحدًا من أوائل الباحثين المسلمين في إصدار إحدى الفتاوى التي تبرر تلك الهجمات ضد الإسرائيليين مستندًا إلى مبدأ كون الإسرائيليين غير مدنيين بل محاربون مجندون في حرب ضد الفلسطنيين.

وفيما يعد تناقضًا لكل ما سبق، أدان الشيخ عبد العزيز آل الشيخ مفتي المملكة العربية السعودية كافة التفجيرات الانتحارية غير المبررة بل والمحرمة من قبل الإسلام. لذلك، فقد أعلن في يوم ١١/١٥ عن أحداث الحادي عشر من سبتمبر ما يلي:

"العداوة والكره لا يبرران استخدام العنف وقلة العدالة... أولًا: التطورات الأخيرة في الولايات المتحدة بما فيها خطف الطائرات وترويع الأبرياء وإراقة الدماء تكون شكلا غير عادل لا يمكن أن يتسامح معه الإسلام، حيث ينظر لتلك الأعمال على أنها جرائم وذنوب كبيرة. ثانيًا: أي مسلم على دراية بتعاليم الدين الإسلامي الحنيف والقرآن والسنة - لا يمكن أن يورط نفسه في مثل هذه الأفعال حتى لا يغضب الله تعالى أو يؤذي ويفسد في الأرض. ثالثًا: أنه واجب العلماء المسلمين أن يوضحوا الحقائق وأن الإسلام لا يشجع مثل هذه الأفعال. رابعًا، يجب على الإعلام أن يوضح حقيقة الدين الإسلامي لدول العالم الأخرى، ومن ثم يتصدى إلى أية محاولات غير مقبولة أو سوية؛ لأن الأشخاص العقلانيين يعرفون أن تلك الاتهامات المنحازة ليس لها علاقة بالإسلام"[١٢٨].

وأضاف الشيخ عبد العزيز آل الشيخ يوم الحادي عشر من فبراير ٢٠٠٣ قائلا:

"إن إراقة دماء الأبرياء وتفجير المباني والسفن، إلى جانب تخريب الممتلكات العامة والخاصة تعد كلها أعمالًا إجرامية ضد الإسلام. كما يعد كافة القائمين على هذه الأعمال أشخاصًا تسيطر عليهم أفكار مندسة ومنحرفة وهم مسئولون عن تلك الجرائم. لذلك، لا يجب أن يُحاسب الإسلام والمسلمين عن تلك الأعمال. فالقانون الإسلامي يحرم بوضوح تلك الأعمال، كما يحذر كل من يقوم بها أو يتبع أفكارها، بل ويشدد الإسلام على أنه واجب كل المسلمين حول العالم أن يتشاركوا النصيحة ويتعاونوا على الخير"[١٢٩].

أما الشيخ محمد سيد طنطاوي مفتي الديار المصرية السابق وشيخ الأزهر حاليًا، فقد قام بالتفريق بين التفجيرات الانتحارية التي يقوم بها البعض من أجل الاستشهاد في سبيل الله والدفاع عن النفس وبين قتل غير المحاربين، قائلا: "إن مهاجمة الأبرياء ليست عملا بطوليًا وسيحاسب الله عليها يوم القيامة... فليس من الشجاعة أن تهاجم الأطفال

الأبرياء والنساء والمدنيين، لكن من الشجاعة أن تحمي الحرية وتحمي نفسك ولا تهاجم"(١٣٠).

وقد حدث خلاف كبير بين القرضاوي وطنطاوي في "حرب الفتاوى " التي أطلقها العلماء المسلمون من خلال الإعلام العربي. فعندما أدان طنطاوي إحدى الهجمات الانتحارية في شهر ديسمبر ٢٠٠١ والتي خلفت ٢٦ قتيلا إسرائيليًا، رد القرضاوى بحدة قائلا:

"كيف يصف شيخ الأزهر المجاهدين الذين يتصدون للمعتدين بالمجرمين؟ كيف يعتبر هؤلاء المعتدين مدنيين أبرياء؟ هل محاربة المستعمر أصبحت عملاً إجراميًا أو إرهابيًا من وجهة نظر بعض الشيوخ؟ ... إنني أندهش أن هناك بعض المشايخ الذين يصدرون فتاوى تخون المجاهدين بدلًا من تدعيمهم ومطالبتهم بالتضحية بالنفس والاستشهاد.

لكن لم يكن هذا موقف طنطاوي وحده، ففي ٤ ديسمبر ٢٠٠١، صرح الشيخ محمد ابن عبد الله السبيل إمام مسجد مكة أن قتل الإسرائيلين غير مسموح به:

"أي اعتداء على المواطنين الأبرياء يعد أمرًا غير قانوني ومخالفًا للشريعة... يجب على المسلمين حماية الأرواح والأعراض وممتلكات غير المسلمين الذين يخضعون لحمايتهم وفق معاهدات السلام. لذلك، فالاعتداء عليهم مخالف للشريعة(١٣٠).

وفي حوار لقناة الجزيرة، تصدى القرضاوي لعبد الله السبيل رافضًا موقفه واستخدامه لمصطلح (العمليات الانتحارية) بدلًا من (الاستشهادية). كما أضاف القرضاوي أن هناك خيطًا رفيعًا يفصل بين الإرهاب والاستشهاد:

"إن الفلسطيني الذي يفجر نفسه هو شخص يدافع عن أرضه، وعندما يهاجم عدوًا محتلا فهو يهاجم هدفًا شرعيًا. وهذا يختلف عن شخص يترك بلده ويذهب باتجاه هدف ليس له قضية"(١٣١).

وقد أكد القرضاوي موقفه قائلا: " إن هناك المئات من العلماء المسلمين الآخرين الذين يؤمنون أن التفجيرات الانتحارية ضد "المستعمرين في الأراضي الفلسطينية هي شكل شرعي من أشكال الدفاع عن النفس للذين لا يملكون دبابات أو طائرات. فهو دفاع تفرضه القوانين الإلهية، والقيم الإنسانية، والقوانين الدولية"(١٣٢).

كان رأي القرضاوي عن العمليات الانتحارية سببًا في رفض الولايات المتحدة الأمريكية أن تمنحه تأشيرة زيارة لأراضيها. وقد فشلت الضغوط في منع زيارته أيضًا للمملكة المتحدة. وفي الوقت نفسه، أدى هذا إلى أن يدخل القرضاوي في مواجهة مع علماء الدين من أمثال تيموثي وينتر الذي قال:

"يعد استهداف المدنيين والعنف الإرهابي أمرًا حديثًا... كما أن تلك الحركات لم تكتسب أي موقف قيادي ديني، لكنها فقط اكتسبت بعض الجموع في الشوارع في أماكن حساسة للغاية مثل غزة، وبعض الأحياء الفقيرة في بغداد وبعض المناطق الأخرى؛ حيث تبنت موقفًا غير قليل. وهذا يمثل تحديًا كبيرًا للسلطة الدينية كيف تعيد طمأنة وتوكيد الأرثوذكسية في مواجهة ثورة الأصوليين التي تنمو؟"(١٣٣)

وقد استخدم القرضاوي سلطته الدينية في معارضة الغزو الأمريكي للعراق. لذلك، فقد أصدر فتوى تنص على أنه من غير المقبول أن تسمح الدول العربية والإسلامية للولايات المتحدة باستخدام مطاراتها وموانئها وأراضيها كقواعد لشن الهجمات على العراق. وقد حذر القرضاوي القادة العرب من أنهم يخاطرون بأن يلعنهم التاريخ وشعوبهم إذا وقفوا إلى جانب الولايات المتحدة، بل وطالب العراقيين أن يقفوا متحدين في مواجهة الحرب، قائلا: "إذا غزا الأعداء دولة إسلامية يجب على الشعب مقاومتهم وإخراجهم من الأراضي... وهذا واجب فردي على كل مسلم، رجلا كان أو إمرأة". وبالرغم من معارضته الشديدة للسياسة الأمريكية الأجنبية، يفرق القرضاوي بين الشعب الأمريكي الذي يصفه بـ (الطيب)، وبين الإدارة الأمريكية التي تتبنى "العنف والسياسة الإجرامية" ضد العالم الإسلامي(١٣٤).

الثيوقراطية أم الديمقراطية ؟

تعد قضية دور الإسلام في السياسة والمجتمع والفصل بين الكنيسة والدولة من أهم القضايا المطروحة الآن عالميًا. وتنعكس تلك الأدوار في الجدل الدستوري في أمريكا حول الصلاة في المدارس، والدعم الحكومي للمدارس الدينية، والإجهاض، وفي المخاوف الأوروبية حول الإسلام والتوحيد القومي، ومساندة المؤسسات الدينية الإسلامية، وسياسات الهجرة والإرهاب الداخلي. لكن، لم تكن مسألة علاقة الدين بالدولة أكثر سخونة مما هي في العالم الإسلامي. فهل فصل الكنيسة عن الدولة ممكن في الإسلام؟

يقول البعض: إن المسلمين لا يمكن أن يقبلوا بدولة علمانية وأنهم مطالبون في الدين بإقامة الدولة الإسلامية. فهناك جماعات عسكرية مثل حزب التحرير وتنظيم القاعدة الإرهابي التى تقاتل من أجل استعادة الخلافة والحكم الإسلامي حول العالم. تتبنى المملكة العربية السعودية، وإيران، والسودان وباكستان أنظمة وجمهوريات إسلامية، تتفاوت في شدتها بين نظام شديد التحفظ مثل المملكة العربية السعودية، إلى برلماني حكومي يقوده رجال الدين في إيران، وسياسات عسكرية إسلامية تفرضها باكستان تحت قيادة الجنرال ضياء الحق. إذًا، فهل يتعارض الإسلام مع الديمقراطية؟ يملك الإصلاحيون المسلمون الكثير من الأجوبة عن هذا السؤال.

ونجد أن من يدعون بعدم تجانس الإسلام والديمقراطية يستندون في حجتهم إلى حقيقة أن قليلا من الدول الإسلامية تتمتع بأنظمة ديمقراطية. وهناك العديد من الأنظمة الاستبدادية التي تبني وجودها وشرعيتها على قواتها الأمنية الحربية أكثر من الإرادة الشعبية والسياسات الانتخابية. بل وينسى النقاد الدور الذي لعبته الدول الأوروبية في تكوين وقبول الحكام المستبدين والدور المستمر الذي تلعبه القوى الغربية في دعم ومساندة الأنظمة التي تمنع وتسحق المعارضة. إضافة إلى ذلك، هناك بعض الدول الإسلامية التي تمثل أنظمة (ديمقراطية) مختلفة من تركيا إلى بنجلاديش وباكستان وماليزيا وإندونيسيا، حيث تمارس بعضها ديمقراطية (محدودة أو مقنعة). لذا، يجب أن توضع الحقائق وسط انطباعات حول الإسلام والديمقراطية.

لكن ماذا عن الأنظمة الثيوقراطية مثل الجمهورية الإسلامية في إيران وبلاغة الجماعات المقاتلة التي تؤكد أن الإسلام يتطلب دولة تحكمها حكومة رجال الدين؟ ويدين وينتر مبدأ الثيوقراطية كشكل انحرافي حديث بعيدًا عن الفكر الإسلامي والتقليدية. فليس هناك نموذج واحد ذو كيان للدولة الإسلامية ولا أية قواعد للثيوقراطية:

"وتعد أية نتائج تنتج عن رفض الإسلام التقليدي بمثابة عقيدة أن القوة السياسية يجب أن تكون في أيدي رجال الدين. فعندما أتى آية الله خوميني إلى السلطة عام ١٩٧٩، حقق شيئًا ما غير مسبوق في التاريخ الإسلامي. فقد حكمت حركة طالبان بعض الدول مباشرة لا بواسطة النصح فقط، حيث تم توحيد (السيف) و(القلم). وبعيدًا عن الحركة التراثية، يعد هذا بعدًا عن الإسلام يرقبه الباحثون بريبة عميقة"(١٣٥).

ويصر وينتر على أن الأصولية الحديثة قد قضت على الفصل المؤسسي التقليدي بين القادة ورجال الدين. فبينما يتمتع الخليفة أو السلطان تاريخيًا بشرعية دينية في الإمبراطوريات والسلطنات الإسلامية، لا يتمتع القائد بشرعية أو سيطرة على الدين. وعلى الصعيد نفسه ليس للباحثين الإسلاميين أية سيطرة على السلطان. أما اليوم، فهناك تناقض كبير:

"ما يحدث في الأصولية الحديثة هو أن الشكل التقليدي للسلطان أو الخليفة قد بدأ يتلاشى؛ حيث إن الأسرة الملكية قد تدهورت كما هو الحال في إيران في فترة ما قبل الثورة على سبيل المثال. ويرى رجال الدين أن تلك هي مسئوليتهم الآن ولأول مرة في التاريخ الإسلامي لأخذ خطوات نحو الفراغ ووضع الأشياء في نصابها الصحيح. فما نراه الآن إذًا من رمز للثيوقراطية، ورمز للجمهورية الإسلامية في أنحاء عدة من العالم الإسلامي هو شيء جديد ولا يمثل عاداتنا"(١٣٦).

ولذلك، يقول وينتر: إن النتيجة هي رفض المسلمين للإسلام كرد فعل للثيوقراطية الإسلامية:

"إذا كتمته في حلق الناس فسيريد كثير منهم التقيؤ... ولكن إذا نظرت إلى التجربة الإيرانية، فبعد ٢٥ عامًا من الحكم الإسلامي، قامت وزارة الدعوة الإسلامية مؤخرًا بنشر أرقام توضح أن ٣٪ فقط من الإيرانيين يحضرون صلاة الجمعة، وقد كان المعدل قبل الثورة حوالي ٥٠٪ فقط قبل الثورة. إذًا، فأية صحوة وأي إصلاح إسلامي حدث بالفعل؟"(١٣٧).

كما رأينا في العقود الحديثة، فإن الإسلاميين أصبحوا لاعبين رئيسيين في الانتخابات ولهم أدوار بارزة في الحكومة. فبينما يسعى الحكام لتقويضهم ومنعهم إلا أنهم مازالوا يتمتعون بمساندة شعبية، إلى جانب مساندة الرموز الدينية الكبيرة مثل الشيخ يوسف القرضاوي. وبالرغم من السيطرة وتقييد الخناق على الجماعات الإسلامية وعلى رأسها جماعة الإخوان المسلمين، إلا أن مفتي الديار المصرية الشيخ علي جمعة يصر على أن الجماعات والمنظمات وبيوت الاستثمار الإسلامية ليست إسلامية في شيء. ويفرق جمعة بين وظيفتين للسياسة: الأولى: هي تولي الأمور الداخلية والخارجية للمجتمع الإسلامي والثانية: هي أكساب القوة والتي هي عمل الأحزاب السياسية الحديثة غير أنه يراها غير مقبولة. ويضيف جمعة، وهو أحد رجال الدولة والذي يعكس موقف حكومة مبارك،

قائلا: "ليس من العدل أن نرفع راية الدين" من أجل اكتساب قوة في البرلمان أو في أية منظمة أو مؤسسة. فإنه من غير المقبول بالنسبة للدين الإسلامي أن تدعي إحدى المجموعات احتكارًا للدين بحيث يصبح كل من هو خارج تلك الجماعة كافرًا:

"يهتم الإسلام بكل مسالك الحياة بما فيها الأوجه السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية إلخ- حيث نشير لمعنى السياسة في شئون المجتمع، نشارك في بنائه وتحقيق كافة مصالحه- ورفضنا لاستخدام الدين (إسلام أو غيره) في السياسة التي تتركز في شخص حزب سياسي معين وأنصاره"(١٣٨).

الديمقراطية والتعددية الدينية:

يرى مصطفى سيرك- مفتي البوسنة والهرسك- أن الديمقراطية هي إحدى المزايا التي أتى بها نظام الدولة الحديثة. وكأوروبي ولد في النظام اليوغوسلافي السابق وتلقى تعليمه في العالم العربي والغربي، يعد سيرك قائدًا إسلاميًّا مسلمًا يملك مهارات السياسي، وهو بمثابة جسر بين العالم الإسلامي والغرب من ناحية، وبين المسلمين المتعددين في أوروبا من ناحية أخرى. وقد حصل سيرك على ليسانس علوم الدين في مصر من جامعة الأزهر - التي يطلق عليها فاتيكان العالم الإسلامي، ثم حصل على دكتوراه في الدراسات الإسلامية من جامعة شيكاغو. ومثل نورشوليش ماجد المُصلِح الإسلامي، كان فازلور رحمن هو أستاذ سيرك الذي درب جيلا من الباحثين المسلمين.

وباعتباره من أكبر المؤمنين بنظريات روسو في العقد الاجتماعي، يؤكد سيرك على أهمية الحقوق الأساسية الأربعة، وهي: حق الحياة والعقيدة والممتلكات والكرامة(١٣٩). ورغم ثنائه على الحضارة الغربية، وبالأخص أوروبا، لأنظمتها الديمقراطية القانونية، يؤكد سيرك أن تلك الأنظمة ليست غربية بالكامل لكنها "تنبع" من قيم غربية يقبلها الآخرون وينسبونها لأنفسهم.

ويقول سيرك: إن هناك مشاعر مشتركة بين شريحة كبيرة من المسلمين في العالم الإسلامي، وملخصها أنه بالرغم من التزاوج بين الغرب والديمقراطية ، إلا أنه فشل في تطبيقها في العالم الإسلامي. ومن الغريب أن نلاحظ مساندة الغرب للأنظمة الاستبدادية الإسلامية؛ حيث إنها معادلة للحالة السياسية المرتبطة بالاستقرار والأمن. ويضيف سيرك: إن الخوف من الإسلام يعكس وجهتين: "ما يحدث الآن يمثل أزمة للحضارة الغربية التي لا تريد أن تشارك تلك القيم مع الآخرين"(١٣٩).

ونتيجة لتأثره بالمجتمعات متعددة الأديان في البوسنة والهرسك، يدافع سيرك عن الديمقراطية التي تندمج في سياسة قوية للتعددية الدينية وترفض الصراع:

"نحن لا نؤمن بصراع الحضارات كما لا نؤمن بصراع الأديان، بل نؤمن بصراع الحضارة والتخلف... نحن نؤمن بالصراع بين الدين والكفر وبين الخير والشر؛ لأن هذا هو ما يحدث طول الوقت"(١٤٠).

ويهاجم سيرك المسلمين الذين يعارضون تعدد الثقافات والديانات والحياة، مشيرًا إلى أن القرآن يقول في مواضع عديدة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ... ﴾ [الحجرات:١٣].

وتعكس آراء نورشوليش ماجد- أحد أنصار الديمقراطية- تجربته الشخصية كناشط إسلامي في إندونيسيا- أكبر الدول من حيث عدد المسلمين. وبالرغم من أنه كان أحد رواد الناشطين الإسلاميين وهو طالب، إلا أن خبرته كمعارض لأنظمة سوكارنو وسوهارتو جعلته مقتنعًا بعدم جدوى معارضة النظام. بل إن عدم قدرة الأحزاب السياسية الإسلامية على العمل مع بعضها قد أدت إلى اقتناع ماجد أن اختلاط الدين بالسياسة كان غير منتج. لذلك، كان شعار ماجد هو: "نعم للإسلام، لا للأحزاب السياسية الدينية"(١٤١).

ومع إصراره على عدم وجود أساس في القرآن لضرورة قيام دولة إسلامية، يحذر ماجد من أن التركيب الحديث للدولة الإسلامية يقلل من الإسلام، ويضعه في هيئة مذهب دنيوي يسهل السيطرة عليه من قبل هؤلاء الذين يفرضون أفكارهم باسم الدين. وهذا لا يختلف عن ذنب "الشرك بالله أو الإلحاد"(١٤٢). كما يرفض ماجد نزاع الإسلاميين المحدثين لفرض شريعة تجعل المجتمع الإندونيسي أكثر إسلامية، بل ويصر على أن الروحانية والتدين الحقيقي يأتي من التحول الداخلي (الفردي والقومي). وبدلًا من فرض قانون إسلامي، يجب أن يكون هناك طريق روحاني وثقافي يعزز الأخلاقيات في المجتمع(١٤٣). وتعتمد وسائل الوصول لذلك على التعليم لتحويل الأفراد والمجتمعات، وعلى الحوار الذي هو تبادل مفتوح لتنمية العلاقات بين المسلمين والمجتمعات الدينية الأخرى كما هو الحال بين العالم الإسلامي والغرب(١٤٤).

ومع رفضه لفكرة "الدولة الإسلامية"، يعزز ماجد من إيمانه بالديمقراطية التي نجد لها جذورًا في القرآن والعقيدة الإسلامية متمثلة في مبدأ المشاورة أو الشورى. وحتى الآن

لا يوجد نموذج واحد لحكومة، لذا يجب على البلدان المختلفة أن توجد نموذجًا مناسبًا لمجتمعاتهم(١٤٥).

وكما كان الحال مع سيرك، تأثر ماجد بالتعددية الدينية والثقافية بالمجتمع. فهو يؤمن بأن التعددية الدينية والتسامح ليست أمورًا دينية، بل هي أمور شرعية لها وجود في القرآن تقول: إن الله سوف يحاسب أو يكافئ جميع من يؤمن به في الآخرة سواء أكان مسيحيًا أو يهوديًا. إذًا، فكافة الأديان في تكافؤ مع الإسلام، والله يغفر لمن يريد بغض النظر عن عقيدته(١٤٦). وبما أن كل عقيدة لها قيم أخلاقية محددة، فإن كافة الأديان- لا الإسلام وحده- لها دور لتلعبه في تطبيق القيم الدينية مثل العدالة الاجتماعية والحكم الديمقراطي في السياسة والإجتماع(١٤٧).

ولعله لا يوجد موضوع أقل حساسية من موضوع العلاقات الإيمانية وزواج ذوي الديانات المختلفة. وبالرغم من عدم وجود حظرٍ رسمي في إندونيسيا ضد زواج الطرفين ذوي الديانات المختلفة، إلا أن الزوجين يواجهان خيارًا من اثنين: أن يتزوجا في المحكمة الدينية للمسلمين أو في مكتب التسجيل المدني لغير المسلمين. وقد حاول البعض التحايل على هذا المنع بتغيير أحدهم لملته أو سفر البعض إلى سنغافورة، أو هونج كونج، أو أستراليا للزواج(١٤٨).

ولم ينس ماجد أن يتبنى تلك القضية في مؤسسته Paramadina عام ٢٠٠٢ ليسهل زواج آلاف الإندونيسيين ذوي الديانات المختلفة. تقدم Paramadina خدمات للطرفين مختلفي الديانة الذين يبغون الزواج من بعضهم، كتقديم الاستشارة لأهل الطرفين الرافضين للزواج على أسس دينية، أو إيجاد كاهن أو إمام ليؤدي مهمة- تعد بمثابة خطوة حيوية، حيث إن هناك العديد من الكنائس التي ترفض أن تبارك زواجًا فيه طرف غير مسيحي(١٤٩).

وُجِّهَ لمبادرة ماجد الإصلاحية نقد كبير من الباحثين الإسلاميين. وبالرغم من تصريحه أنه لا يوجد نص صريح في القرآن يحرم الزواج بين المسلمين وغير المسلمين، إلا أن العلماء في إندونيسيا مازالوا يتبعون القانون الإسلامي التقليدي، بل ويؤمنون أن الزواج بين المرأة المسلمة والرجل الأجنبي غير إسلامي(١٥٠). هذا الموقف وغيره قد أدى بالبعض إلى أن يصف ماجد بأنه كافر.

قوبلت التعددية الدينية التي ينادي بها ماجد بنظيرتها في إندونيسيا التي يتبناها

صديقه عبد الرحمن وحيد، وهو الذي ينادي بإسلام عالمي. ومن النظرة الأولى، يظهر وحيد وكأنه يسلك طريقًا شاذًا بين نظرائه من الإصلاحيين الدينيين، يعكس جذوره التقليدية والقيادية وشخصيته الجذابة، لكنه في الوقت نفسه يظهر وجهة نظر إسلامية معاصرة. وبالرغم من أنه ولوقت طويل مضى - قاد وحيد علماء النهضة الإسلامية الذين بلغ عددهم ٤٠ مليون عضو من أكبر المنظمات الإسلامية حول العالم، إلا أنه في نفس الوقت قام بالعمل على تفسير معاصر للإسلام؛ حتى إنه وفي عام ١٩٩٩، أصبح أول رئيس إندونيسي منتخب ديمقراطيًا.

ويحاول وحيد بناء الجسور بين الإسلام التقليدي والفكر الحديث، مستجيبًا لمتطلبات الحياة الحديثة وعاكسًا تاريخ ومجتمع إندونيسيا المتعدد الديانات. فإندونيسيا هي قوة دينية ديمقراطية تعددية[١٥١].

ويؤمن وحيد أن المسلمين المعاصرين على مفترق طرق. فهو يرفض الأصولية والمنهجية القانونية للعديد من المسلمين المحافظين؛ لأنها تمثل عقبات كبيرة للإصلاح الإسلامي ولاستجابة الإسلام للتغير العالمي. ويرى وحيد أن هناك تحديَيْن يواجهان المسلمين اليوم: إما مواصلة الإسلام التقليدي الثابت، أو إصلاح وإعادة تبني نظرة عالمية تعددية، ولكنه يرفض فكرة أن الإسلام يجب أن يكون قاعدة للنظام السياسي والقانوني للدولة، وهو ما يراه وحيد تقليدًا شرق أوسطيٍّ مواليًا لإندونيسيا. ويجب على المسلمين في إندونيسيا أن يتبنوا إسلامًا معتدلًا متسامحًا لحياتهم اليومية في المجتمع الذي يصبح فيه "المسلم وغير المسلم شخصًا واحدًا"، في دولة ينفصل فيها الدين عن السياسة[١٥٢].

وانعكاسًا للقوة المتزايدة لجمهور المسلمين اليوم، والتي يراها العديد من العلماء تحديًا لسلطاتهم، يؤكد وحيد حق كافة المسلمين - سواء أكانوا من سواد الناس أو من العلماء - أن "يجتهدوا" في القرآن والسنة في ضوء "الظروف الإنسانية المتغيرة"[١٥٣].

لكن ماذا عن مستقبل الإسلام في الغرب؟ وبالنظر إلى التحديات التي يواجهها المسلمون لخلق الديمقراطية في الدول الإسلامية، لننتقل إلى خبرات المسلمين الذين يعيشون في المجتمعات الديمقراطية في أوروبا وأمريكا.

المسلمون في الغرب: هل هم مواطنون أوفياء؟

أدى تزايد أعداد المسلمين في الغرب إلى خلق تهديد ديموغرافي جديد لأوروبا

وأمريكا. فالأوروبيون الذين يشهدون خروجًا ضخمًا للمسيحيين من الكنائس نتيجة لتأثير العلمانية ولانخفاض معدل المواليد، قد واجهوا تهديدًا عميقًا من أعداد المسلمين المتزايدة نتيجة للهجرة وارتفاع معدل المواليد من المسلمين. ويردد المعلقون رأي باتريك بوشانان عندما قال: "نمو الإسلام قد يسحق الغرب"(١٥٤). فهجمات الحادي عشر من سبتمبر والسابع من يوليو قد أكدت المخاوف من تهديد عالمي. كما ظهرت البروباجاندا المضادة للهجرة في التحذير من مصطلحات يورابيا أو لندنستان.

وقد تساءل بعض المسلمين في الغرب- ولعدة أسباب- ما إذا كانوا يستطيعون أن يكونوا مسلمين حقيقيين ومواطنين أوفياء في الغرب. هل يستطيعون العيش وسط شرعية الدول (الأجنبية) غير المسلمة التي تبني قوانينها على العادات الغربية الدنيوية؟ هل يمكن للفرد أن يكون أمريكيًا أو أوروبيًا مسلمًا، أم هل يتطلب الإسلام منهم أن يكونوا مسلمين يعيشون ببساطة في أمريكا أو أوروبا؟

إن إيجاد طريق للتكامل بدلًا من تفضيل العزلة أو الصراع لهي عملية تستفيد من الفكر الإصلاحي. فوجود مجموعة من الباحثين والرواد المسلمين في أوروبا وأمريكا -يمثل صوتًا مؤثرًا في عملية التكامل من حيث إنها توجه أسئلة للإيمان والهوية، للاستيعاب، والتعددية الدينية والتسامح. كما أن البصائر المهمة تأتي من المسلمين الأوروبيين من أمثال وينتر الإنجليزي، ورمضان السويسري وسيرك من البوسنة والهرسك. فهم يرفضون النظرة القطبية للعالم التي تضع (المسلمين) في مواجهة الغرب، ويدافعون عن تركيبة لهوية المسلمين الأوروبيين والأمريكيين مبنية على القيم. وبالرغم من الفصل بين الفروق الثقافية والدينية، إلا أنهم يؤكدون الانسجام الضروري بين الإسلام والغرب.

أما بالنسبة لطارق رمضان، فالمسلمون في الغرب، مثلهم مثل الأوروبيين والأمريكيين، يتشاركون هوية ساهمت في تكوينها ثقافات عديدة. فالمسلم هو المسلم دينًا، وهو الفرنسي، والبريطاني، والألماني أو الأمريكي ثقافةً. ويقول مصطفى سيرك: "إذا استخدم العرب الإسلام لتحقيق أهدافهم القومية، فنحن في أوروبا يمكن أن نقوم بالشيء نفسه. إذا كان من حق المصري أن يكون وطنيًا باسم الإسلام، فنحن الأوروبيون المسلمون يمكن أن نكون أوروبيين وطنيين باسم الإسلام، وكمسلم أوروبي، أريد أن أساهم في الحضارة الأوروبية وأن أُعْرَفَ بذلك"(١٥٥).

يؤمن سيرك أنه لكي تكون بريطانيًا أو ألمانيًا أو فرنسيًا وطنيًا هذا لا يعني التخلي عن دينك، بل إنه حقيقة واجب ديني على المسلم، ويوضح قائلا: "إنني فخور أن الإسلام يحدد ماهية وطنيتي الأوروبية"(١٥٦). وهناك العديد من الهيئات الإسلامية: العرب، العثمانيون، والبوسنيون (الأوروبيون). تاريخيًا، الإسلام مثل المسيحية، تخلله ثقافات أهلية ومن ثم تطورت معتقداته الفريدة "بينما نجد الفروق بين الكاثوليك في بولندا والنمسا وفرنسا، وبينهم وبين الكنائس المسيحية الأخرى، فهناك أيضًا فروق في الإسلام"(١٥٧).

لكن، هل هناك تعارض في القيم الأساسية بين الإسلام الأوروبي أو الإسلام الأمريكي، وبين القيم الغربية والدنيوية؟ يتحدث رمضان وسيرك عن قيم مشتركة (إسلامية وغربية) كقاعدة للوطنيين. فهذا يعني أن "أخلاقيات المواطنة" تتطلب أن تبنى القرارات على المبادئ المشتركة مثل حكم القانون، والمساواة في حقوق المواطنة دون النظر إلى الدين والمعاناة العالمية، والاعتماد على القادة ليس بناءً على الهوية الدينية(١٥٨). وينتقد رمضان المسلمين من حيث النظر لأنفسهم على أنهم أقلية، ومن ثم عليهم الانتقال من كونهم جزءًا إلى كونهم مساهمين "يستبقون ويقدمون شيئًا للمجتمع"(١٥٩).

وماذا عن الإسلام والعلمانية الغربية؟ هل يمكن التكامل بينهما؟ على عكس العديد من المسلمين الذين ينظرون إلى العلمانية على أنها تتعارض مع الإسلام، يؤمن رمضان أن احتضان العلمانية والمجتمع المفتوح ليس بخيانة للمبادئ الإسلامية، فهو يمكن جميع المواطنين للعيش سويًا وهو ضروريٌّ أيضًا للحرية الدينية- للمسلمين وغير المسلمين. لذلك، يدعو رمضان المسلمين في الغرب إلى نشر الرسالة في الوطن وخارجه: "نحن نعيش في ديمقراطية، نحترم قانون الدولة والحوار السياسي المفتوح ونريده لكافة المسلمين". ويتساءل رمضان: "هل تستطيع أن تكون أوروبيًا مسلمًا؟". ليس هناك في القرآن ولا في السنة ولا حتى في القوانين الغربية ما يمنع المسلم من أن يمارس عقيدته وأن يكون في الوقت نفسه أوروبيًا مخلصًا. فالملايين من المسلمين الذين يعيشون، يعملون ويصوتون في أوروبا هم شهود حقيقيون على أن الفرد يستطيع أن يكون مسلمًا وأوروبيًا في الوقت نفسه. فلا يوجد تعارض متأصل.

ويذكر رمضان الأوروبيين والأمريكيين أن الحضارة الغربية تكونت على أساس الحضارة الإسلامية. ويضيف: إن الحضارة الإسلامية هي جزء لا يتجزأ من الحضارة

الغربية حيث أمدتها بإرث غني، بل وأثرت في الغرب في أوجه شتى: في الفلسفة، والطب، والعلوم، والفن والعمارة. لكن بالنسبة للأوروبيين المناهضين للهجرة والذين يحلمون بأوروبا بيضاء مسيحية، فإن رمضان يرى "أنه قد فات الأوان"(١٦٠). فالمسلمون في أوروبا منذ عقود طويلة، وقد أصبحت بيتًا لهم. وبينما اعتقد المهاجرون الأوائل أن وجودهم في أوروبا أو أمريكا أمر مؤقت، إلا أن "الأجيال الجديدة أصبحت أكثر وضوحًا وأكثر انغماسًا في المجتمع"(١٦١).

يؤمن رمضان أن التكامل لا يعني الاستيعاب جُملةً. ويجب أن يُسمح للمسلمين أن يطوروا من هويتهم وثقافتهم الأوروبية المسلمة كما فعلت أديان ومجموعات عرقية أخرى من قبلهم(١٦٢). كما أن جزءًا من الثقافة هو قبول المسلمين للدستور والقوانين وإطار الدولة الأوروبية التي يعيشون فيها. أما عن موقف رمضان من الفتيات المسلمات المحجبات، فهو يصر على أنه "ليس لأي شخص الحق في أن يجبر المرأة على ارتداء أو عدم ارتداء الحجاب"، ومن ثم فهو يعارض موقف فرنسا الذي يمنع ارتداء الحجاب، إلا أنه في الوقت نفسه يدعو فتيات المدارس من المسلمات إلى احترام القانون الفرنسي حتى يتغير، وأن يستبدلوا حجابهم بشيء مثل الباندانا (منديل كبير): "يجب أن يظهر المسلمون لأقرانهم من المواطنين والمسلمين حول العالم: نحن نحترم القانون حتى ولو كنا نختلف معه"(١٦٣). ولكن ماذا يقول المسلمون الغاضبون في فرنسا حول احترام القانون الفرنسي؟

يصر رمضان أن هناك ما يسمى بمشكلات المسلمين (الأحياء الفقيرة، والجريمة، والبطالة) والتي يلقي على عاتقها مسئولية عدم تكامل الإسلام مع الغرب، وهي أشياء لا ترتبط بالدين، بل تعكس مشكلة عدم المساواة في الأمور الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية التي تلقاها المجتمعات المهاجرة. غير أن هذه المشكلات يتم رؤيتها بصورة غير صحيحة على أنها "قضايا إسلامية" بسبب النظر إلى المسلمين الأوروبيين من الزاوية الدينية فقط. لكن بالنظر لطبيعة تلك المشكلات، نجد أنهم بحاجة إلى حلول اجتماعية وليس إلى حلول دينية فقط. ويمكن إعطاء مثل على ذلك بأعمال الشغب التى قام بها المسلمون في فرنسا عام ٢٠٠٥، فقد بدأت تلك الأعمال يوم ٢٧ أكتوبر على إثر مقتل شابين في أحد الأحياء الفقيرة في باريس. وقد استمرت هذه الأعمال لمدة ثلاثة أسابيع وامتدت لبعض الأحياء الأخرى وبعض المناطق الريفية (ما يقرب من ٢٧٤ منطقة

باريس). كان معظم المشاغبين من الشباب العاطل في الأحياء الفقيرة. وقد قاموا بإحراق ٩٠٠٠ سيارة وعشرات المباني، بما فيها دور الرعاية والمدارس. وترجع أصول بعض المشاغبين إلى المسلمين من شمال أفريقيا، وهو ما أدى إلى تناول الصحافة لقضية التطرف الإسلامي حينذاك. لكن بإمعان النظر، أثبتت التحقيقات أن الموضوع لا علاقة له بالإسلام، بل ترجع أسبابه إلى الظروف المعيشية السيئة والبطالة.

ويرى سيرك- مثل رمضان وآخرين- أن التكامل الناجح بين أوروبا والإسلام يعتمد على شرطين أساسين: يجب على المسلمين احتضان هويتهم الأوروبية، كما يجب على الحكومات الأوروبية أن تسهل ارتباط المسلمين من حيث استيعاب وتقنين الإقامة والعمل وممارسة شعائرهم الدينية(١٦٤). أما التحدي الأكبر فهو "مجتمع الخوف" الذى يعيش فيه الكثيرون، من حيث خوف المجتمع من المسلمين وخوف المسلمين من الإحساس بالعزلة في هذا المجتمع، وهو ما يجعل المجتمع يصفهم بـ "الغرباء".

وينصح سيرك المسلمين بأن يدركوا أن الغرب لا يحتكر القيم مثل الديمقراطية وحكم القانون، بل هى قيم عالمية: "إذا تمعن المسلمون الأوروبيون النظر في دينهم، فسيجدون تلك القيم التي يصفونها بالغربية من حقوق الإنسان والحرية الفردية موجودة في الدين"(١٦٥). ويؤمن سيرك أنه إذا تحرر هؤلاء المسلمون من الخوف والفقر، فإنهم لن ينجحوا فقط، بل سيصبحون مثلا للمسلمين في الشرق الأوسط.

ولذلك فعلى الحكومة دور مستمر من حيث تسهيل إدماج المسلمين في التعليم وتدريب الأئمة في أوروبا وأمريكا. ويشجع سيرك مساندة الحكومة، وهي سياسة ينتقدها الكثيرون بوصفها تدخلا أو توجيهًا. فهو يرى أن الحكومات الأوروبية سوف تكسب ثقة المجتمع الإسلامي عندما ترعى المدارس والمجالس الإسلامية والمساجد. ويؤكد سيرك أيضا على أهمية تدريب الأئمة الأوروبيين في أوروبا، وليس في الدول الإسلامية، من أجل خلق رؤية إسلامية أوروبية موحدة تشبه النموذج الموجود في البوسنة من حيث انتخاب رئيس للعلماء. فاندماج الإسلام في المجتمع الأوروبى يظهر المسلمين كمواطنين مخلصين، كما يساهم في بناء الثقافة والحضارة الأوروبية(١٦٦).

مستقبل المسلمين في أوروبا وأمريكا:

يأتي شعار "الإسلام في خطر" كحجة دفاع في الصراع الدائم ضد الإسلام. ولذا، يكتب بعض المسلمين عن "الإسلام تحت الحصار" أو عن زحف الإسلاموفوبيا، أو كما

يشير تيموثي وينتر إلى "محاكم التفتيش" التى يواجهها المسلمون اليوم. إذًا، فماذا يفعل المسلمون في الغرب؟

يضع وينتر طريقة للتأقلم ونقد الذات والإصلاح:

"هل نصبح أمريكيين أو كنديين أو بريطانيين فقط لأننا نحمل جواز السفر أو نجد فرصة للعمل؟ أم أنه شعور وطني؟ لقد كان الإسلام دومًا نموذجًا للتبني والتأقلم، إلا أن مسألة معاداة السامية أصبحت تعوق هذا النموذج، غير أن المصلحين المعتدلين قد نجحوا في تكوين مجتمعات أمريكية مسلمة تناهض التطرف. كما يجب أن ندرك أن العدد المتزايد لزعماء المجتمعات المتزمتة الذين تلقوا تدريبهم في دول شرق أوسطية تعلو فيها لهجة العنف ضد أمريكا قد جعلهم يشكون في المنهج الذى يقدمه المصلحون في تفسير الإسلام اليوم"(١٦٧).

ويرى وينتر أن المستقبل قادم على يد الجيل الجديد:

"إن هذا الجيل الجديد هو المنوط بوصف قدرة الإسلام على نشر قيمه التقليدية والتأقلم المنهجي مع الغرب، وبرفض أجندة المتطرفين من الجانبين كي يظهرهم كأقلية مسلمة، ليست أكثر من مجرد مجموعة تتخلف عن اختلاف طبيعة الشرق الأوسط عن الغرب(١٦٨).

أما التحدي الأول للمسلمين الأوروبيين والأمريكيين من وجهة نظر وينتر فهو خلق هوية إسلامية صلبة:

"وإلى أن يقوم المسلمون بمعرفة هويتهم ونشر صورة ثقافية وروحية يمكن أن يشار لها بالأمريكية، بل وتطوير آليات نظرية واجتماعية من أجل تعريف ومواجهة التطرف الديني، فسوف يظلون دائمًا تحت خط النار"(١٦٩).

وأما التحدي الثاني فيتطلب التأقلم إدراك أن الكتابات المناهضة للغرب التي كتبها بعض الكتاب المسلمين المشاهير من أمثال الكاتب الباكستاني مولانا مودودي أو المصري سيد قطب، قد كتبت خلال القرن العشرين لمجتمعات ما بعد الاستعمار في دول إسلامية تواجه القمع والفساد، لا للأقليات المسلمة في الغرب.

وأما التحدي الثالث فيتمثل في الفهم الحقيقي لموقف الإسلام تجاه الدول غير المسلمة التي يعيش بها أقليات مسلمة يتطلب إعادة النظر في التفسيرات الإسلامية الحديثة المتشددة والمحرفة، والعودة إلى التقاليد الدينية. ولهذا، يحذر وينتر قائلا:

"لا يمكن أن تسامح ضيفًا يشتمك مهما كان مهذبًا في استضافتك، لكن النقد المعتدل المعني بالانحلال الأخلاقي والمعتقدات غير المقبولة أو السياسات الخارجية المدمرة سوف يكون دائمًا عنصرًا مهمًا في الحوار الإسلامي... أما الاستنكار الجاف مثل وصف الشيطان الأكبر أو المؤامرات الصليبية العالمية- فهي ليست فقط خطرًا على المسلمين، ولكنها أيضًا فظة. ويجب أن يكون هذا واضحًا بشدة للمنظمات التي تزور المجتمعات لتقدم تمويلاً للدول الدكتاتورية (المسلمة)"(١٧٠).

وأما التحدي الرابع فهو النقطة الأهم، ويصر وينتر على أن التراث الإسلامي الكلاسيكي القديم، وليس الحديث، هو المفتاح لمستقبل الإسلام والمسلمين. فقصة نجاح الحضارة الإسلامية يجب أن يعاد تناولها:

"إن الأجندات السلفية والتجديدية التي تقدم إسلام العصور الوسطى كدين ظلام وانحراف- سوف تحرمنا من قصة النجاح الرائعة للحضارة الإسلامية. وإذا قبلنا أن الإسلام الكلاسيكي أو القديم جاء من تفسير منحرف للقرآن، فنحن نستسلم للادعاءات المسيحية الاستشراقية التي تدعي أن أمجاد الحضارة الإسلامية نشأت بالرغم عن وليس بسبب القرآن. لذلك، يجب علينا أن نكون استمرارًا لقصة النجاح الرائعة لا أن نكون مجرد هامش في الفصل الأول من القصة.

المسلمون والغرب: التصدي لأيديولوجية الخوف:

في حديث له عام ٢٠٠٥، حذر مصطفي سيرك قائلا: "أنا أخشى من كوننا على شفا رؤية موقف يصبح فيه وجود المسلم في أوروبا جريمة. فأحداث الحادي عشر من سبتمبر قد جعلت الأمور أسوأ. فليظلنا الله بحمايته"(١٧١).

ولعله ليس من المدهش أنه عندما سُئل سيرك كيف يشعر حيال مستقبل الإسلام في أوروبا أن يرد قائلا: "غير جيد بالمرة" نتيجة "لازدياد الفاشية"، و"للاتجاه الرسمي غير المُعلن نحو اللامعقول" في الإسلام مثل "سوء البشائر". لكن سيرك ليس متشائمًا. فهو يؤمن أنه من الحماقة أن تنزعج من "نهاية العالم" أو من "رؤية نبوية". فمن الواجب على المسلمين أن يتعلموا وينتظموا؛ حيث إن قوة واتحاد المسلمين في الدولة الواحدة سوف يزيد من قوة المجتمع الإسلامي في البلدان الأخرى "هذا لأننا نعيش في عصر؛ حيث يكون لكل فعل تأثير عالمي. فإذا كنت قويًا متحدًا ومنظمًا هنا، فبالتالي سوف نكون أقوياء

متحدين ومنظمين في البوسنة وكشمير وفلسطين وباقي العالم... فإنه من غير المفيد أن تجد بعض أجزاء هذا الجسم تعمل بينما الأخرى لا تعمل: فكلنا بحاجة لتوحيد أفعالنا "(١٧٢).

وبصفته صوتًا واقعيًا وقياديًا في مواجهة التطرف الديني والعنف، يحذر طارق رمضان المسلمين وغير المسلمين على حد سواء قائلا: "إن أولى العقبات المأساوية لنظرية الخوف هي تحول كافة المجتمعات وأفرادها لأعداء... يجب أن نكسر قيود الخوف... وأن نصبح رعية مفكرين "(١٧٣).

يرى رمضان أن "الضحية" هي خطر الخوف المشترك: "يصر العالم الإسلامي أنه ضحية للغرب، بينما يتهم الغرب المسلمين بتدمير القيم والحريات الغربية". إن المسلم الضحية "عقليًا" بادعاء أن أي فعل في الغرب يكون مدفوعًا بكراهية الإسلام قد أصبح في خطر الأشخاص نفسه الموجودين في أوروبا وأمريكا والذين يدعون أن السلوك الإسلامي مدفوع بكراهية ورفض الغرب. فالفشل في أن تصبح مخلصًا للقيم الديمقراطية في جو الخوف يضاهي فقدان الأوجه الأساسية، والتي لا تتجزأ من الحضارة الغربية.

إن الخوف المتبادل وتأكيد نظرة "نحن" أم "هم": الضحية- تسهل فهم الأسباب وراء أفعال "الآخر": "في نظام الخوف والشك الجديد، يجب أن تبحث عن مبرر الآخر لكي تفهمه، أن تبحث عن أسبابه كي؛ تتفق معه "(١٧٤).

يرجع رمضان نظرية الخوف والضحية التي نعرفها اليوم إلى العولمة وما يسميه بـ" الأعراض الإسرائيلية": "منذ الأربعينيات، كان تاريخ الدولة الإسرائيلية محاطًا بالخوف، بحتمية حماية النفس وعدم الثقة بالآخر". ويؤمن رمضان أن رؤية إسرائيل لنفسها كضحية في الأرض قد وصلت لأوروبا وأمريكا في حربهم على الإرهاب "إن الحرب التي أطلقت لتدمير الإرهاب هي الآن تُبْنَى على نفس الأساس المنطقي، ولكن على نطاق عالمي "(١٧٥). فالمحافظون الجدد من الأمريكان "ومن يقلدهم من الأوروبيين" قد حرضوا على إشاعة الإحساس بالخوف. فهم- من وجهة نظر رمضان- يستخدمون نظرية عالمية لتبرير السياسات الوحشية المحلية والأمنية المعادية للحرية.

ويرى رمضان أن الأعراض الإسرائيلية تصنع رؤية ثنائية للعالم، من دولة حصار تسيطر عليها الشيطنة:

"لم يعد الآخر ينتقد سياستنا، فهو يتجاهل وجودنا، ويبغض قيمنا وحضارتنا. كما لا يجب أن يكون مسئولًا عن أفعاله فقط، بل عن كراهيته، وعدميته، وجنونه، وعن معتقداته ودينه أيضًا، ولم لا" ؟[١٧٦].

نحو نموذج جديد لتمكين المرأة:

تتضارب الأقاويل حول الإسلام "الإسلام يكره المرأة"، "الإسلام يحرر المرأة"، "الرجال المسلمون يقهرون زوجاتهم" و"المرأة هي قلب الأسرة الإسلامية". فهناك القليل من الموضوعات التي تخطف المانشتات بجانب تلك التي تتعلق بالجنسين، ولا يوجد ما هو أهم منها ليعمل كعدسة للمسلمين ولغير المسلمين كي ترصد وتحكم على الإسلام. فنظرة الغرب للمرأة في الإسلام تسيطر عليها صورة الفتاة المحجبة في مجتمعات تنفصل جنسيًا، يسودها العنف ضد المرأة وحرمانها من حقوقها.

تستحوذ علاقة الرجل بالمرأة في المجتمعات الإسلامية على النصيب الأكبر من قضايا الجنسين، بدءًا من تعليم المرأة وعملها ودورها في المجتمع إلى قضية الإمامة والقيادة في الدين. ولعله ليس من المدهش أن تجد العلماء والباحثين المسلمين البارزين قد جعلوا وزنًا لتلك المسائل، بل وأصبح هناك تضارب في الفتاوى والتصريحات بينهم.

ونرى اليوم إسهامًا بارزًا من المرأة في المجتمع في نواحٍ شتى. فبعض الحركات الإسلامية مثل جماعة الإخوان المسلمين في مصر والأردن وجماعة النهضة في تونس، إلى جانب بعض الجماعات الأخرى في المغرب، ولبنان، والكويت، وتركيا، وماليزيا وإندونيسيا قد أكدت على حق المرأة في التعليم والعمل، كما أصبح للمرأة مكان واضح في مجالس المنظمات الإسلامية والمرشحين السياسيين، بالإضافة إلى الأعمال الحرفية مثل الطب، والصحافة، والمحاماة، والهندسة، والأعمال الاجتماعية، وأساتذة الجامعات، وكإداريين في المدارس والعيادات والأعمال المجتمعية والخيرية.

أما الشيء اللافت للنظر هو أن تجد عالمات وناشطات مسلمات يمثلن العديد من الأيدلوجيات المختلفة. فهن يمكنون أنفسهم ليس فقط من أجل الدفاع عن حقوق المرأة، لكن من أجل إعادة تفسير التقاليد الإسلامية. ويقول الكثيرون: إن البطريركية

مرتبطة بالدين، فهي المعنية بالعادات والتقاليد التي تحكم الجنسين في مجتمعاتنا. كان المفسرون الأوائل في الإسلام (القرآن والسنة والشريعة) من الرجال، يعكسون قيم المجتمع البطريركي حينئذ.

في المناطق المختلفة من العالم الإسلامي مثل إيران، وفي الجنوب وجنوب شرق آسيا، كونت النساء منظمات ومجلات خاصة بهن، كما ساهموا في الجرائد ليقدموا تفسيرًا جديدًا للدين وللأمور الاجتماعية التي تتعلق بهم بداية من قضايا لبس المرأة والتعليم إلى العمل والمشاركة السياسية. وهناك منظمات مثل منظمة Women Living Under Muslim Laws في جنيف، و Sisters in Islam في ماليزيا التي أصبحت لها دور بارز في مجتمعاتها، وهي تشارك في الطباعة والنشر والمشاركة الدولية في المؤتمرات مثل مؤتمر القاهرة للسكان ومؤتمر بكين للمرأة. ومع ازدياد العدد، قد تستطيع تلك السيدات أن تثبت تأثيرها على المدى البعيد في عملية الإصلاح والتحول الديني.

وهناك بعض المصلحات المصريات مثل الدكتورة هبة رءوف التي ركزت على كل ما ذكر في القرآن فيما يخص النساء- وأن عليهن واجبات وسيحاسبهن الله مثل الرجال، وهو ما علق عليه العلماء الرجال قائلين:

"في العقود التي تلت وفاة الرسول ﷺ، قام العلماء والباحثون بإيجاد أسباب أخلاقية من المجتمع مثل الانحطاط الأخلاقي، وميل المرأة إلى أن تكون مصدرًا للإغواء والخلاف الاجتماعي. وقد فعل العلماء الرجال ذلك من أجل تقييد وجود المرأة في الحياة العامة وداخل المساجد"(١٧٧).

وتؤكد هبة أهمية دور المرأة في التاريخ الإسلامي والصوفية كشاعرات وكاتبات أدب، إلى جانب دورهن في الحديث والتجارة والتعليم، وخاصة دورهن في تربية وتعليم الأطفال. كما أن للنساء المسلمات دورًا في الوقف، واستخدام ثرواتهن في بناء المساجد، والمستشفيات، والمدارس والملاجئ.

وبصفتها أستاذةً بجامعة القاهرة وناشطة اجتماعية ومفكرة إسلامية تلقت تعليمها في القاهرة وإنجلترا، تدعو هبة إلى إعادة تعريف دور المرأة المسلمة في التاريخ. وعلى عكس البعض، تصر هبة على أن إعادة تفسير دور المرأة في التعاليم الإسلامية لم يستلهم من حركات النساء الغربية ولكنه مغروس في الثقافة الإسلامية وأهداف التحرر في الإسلام.

وترفض هبة المصطلح الجديد "صراع الأجناس" أو منظور "حركة المرأة الغربية"، لكنها تفضل "تجديد الجهاد" لتعكس صراع إعادة تحديث رؤية الإسلام في المستقبل.

تقول هبة: إن المرأة المعاصرة "قد ناضلت من أجل مساواة طبيعة القرآن الأبدية وطريقة تطبيقها في السياق التاريخي والثقافي". وتشير هبة إلى علماء الإسلام البارزين وأعضاء الحركات الإسلامية الاجتماعية إلى جانب المفتين النشطاء في سبيلهم إلى إعادة فحص الآراء الدينية القديمة وإصدار تفسيرات جديدة. وتؤكد أنه واجب النساء الآن أن تشترك في الصراع لمحاولة القيادة والوصول إلى نهضة إسلامية لإعادة بناء العقل الإسلامي "إصلاح تفكيرنا" عن القرآن والسنة لنفهم الإسلام ونمارسه.

وتضيف هبة :" إن على عكس ما يتوقع الفرد من العالم الغربي، فالمرأة لها مكان في قوة العمل، وهو ما يؤدي إلى المعاناة الزائدة في السياسة في عالم تصعد فيه النساء إلى مناصب تنفيذية وتشارك في الجمعيات المدنية مع خروجها من الأحزاب السياسية والمجموعات التجارية. على سبيل المثال، في مصر بلغت نسبة ٧٠٦ من عينة عشوائية من النساء العاملات في الهيئات الرسمية والقطاع الخاص يكونون في الغالب أعضاء بأحزاب سياسية"(١٧٨).

لذلك، ترى هبة أن تمكين المرأة سياسيًا يتطلب تقويض الأنظمة المستبدة. فبينما تركز عملية تمكين المرأة على "الوصول بالمرأة إلى بعض مراكز القوى" كي تمثل شقيقاتها، فإن ما نحتاجه هو "تمكين الأغلبية من النساء". وتتساءل هبة عن ما إذا كان تعيين المرأة في مراكز عليا في الحكومة يعكس فعليًا التغير الديمقراطي، في حين أن هناك في الوقت نفسه منظمات أخرى مثل منظمة العمل الدولية ومنظمة الشفافية الدولية مازالت تنتقد الحقوق الأساسية والسياسية للنساء في تلك الدول(١٧٩).

وتدافع هبة عن تحويل الصيغة الحرفية من تعريف المشاركة السياسية، أي: "سياسات المشاركة" إلى "سياسات التواجد". فتمكين المرأة عن طريق منصبها في الدولة أو المشاركة السياسية لم يعد الطريق الوحيد للمرأة كي تصبح أقوى سياسيًا واجتماعيًا(١٨٠). فالمجتمع المدني والقطاع الخاص هم أيضًا منافذ لتمكين أغلبية النساء، وخاصة من الفقراء في العالم العربي(١٨١). ويصبح المجتمع المدني والسلطات المحلية والسياسية والاجتماعية المفتاح لإدماج الناس في العمل العام حتى يستطيعوا التأثير في السياسات التي تؤثر في حياتهم اليومية:

"الحركات النسائية المندمجة في السياسات الرسمية قد تخاطر بأن تتقيد بواسطة الحكومة أو تقديم التنازلات... ولضمان دعم الدولة والوصول لمراكز القوى لتمكين المرأة في المجتمعات المحلية... لأخذ موقعها في النطاق العام كي تدافع عن مصالحها وتعزز الديمقراطية... في كافة الأبعاد المعقدة"(١٨٢).

ويظل دور الدين كقوة دافعة للتغيير محل سؤال يوجهه القائمون على الدين والباحثين فيه في الحوارات التي تتعلق بالرؤية العربية والإسلامية لمشاركة المرأة السياسية والعامة في التطور الإنساني. فالجدل في دول مثل مصر وسوريا والمغرب وتونس والسودان دائمًا ما يحاول تجنب استقطاب المسلمين والعلمانيين من جهة، والمسئولين والحركات الدينية من جهة أخرى. لذلك تؤمن هبة أن الإسهامات يجب أن تكون جزءًا من الصيغة الحرفية الجديدة التي تعيد تأسيس الصلة بين الثقافة، والدين والحقوق الإنسانية وحقوق المرأة في الخطاب والنشاط.

الجهاد بين الجنسين:

في ٢٨ من يناير ٢٠٠٥، قامت أمينة ودود- باحثة في القرآن والدراسات الإسلامية وناشطة إسلامية- بكسر تقليد إسلامي منذ عدة قرون بأن الإمامة في صلاة الجمعة للرجال فقط. فقد قامت ودود بهذا الدور في أحد المساجد بنيويورك، حيث أمت أكثر من ١٠٠ رجل وامرأة. وقد قال البعض مؤخرًا: إذا لم يوجد رجل دين ليؤم صلاة أو يعقد قرانًا، فلا حرج أن تقوم بذلك امرأة. وبالرغم من أن هذا أمر مازال غير شائع، قامت بعض النساء بإمامة صلوات أخرى للجنسين مجتمعين في بعض المساجد في الولايات المتحدة وكندا ودول أخرى، متجاهلين الاعتراضات التي ووجهوا بها من بعض المسلمين الآخرين حول العالم، وحتى بالرغم من بعض التهديدات بالقتل التي وصلتهم، إلى أن حظوا بتأييد بعض الأقليات في فعلهم الجريء هذا.

ولكن مسألة إمامة ودود لصلاة الجمعة لم تكن سوى شيء بسيط في تاريخها الحافل بصراعات على مر العقود من أجل مساواة وحقوق المرأة، وهو الشيء الذي وصف بـ "الجهاد بين الجنسين". فالصراع لتحرير المرأة من قيود التقاليد الإسلامية يقابل استخدام الإسلام في تبرير عدم مساواة المرأة بالرجل، والذي تؤمن ودود بأنه قد زاد في آخر ثلاثة قرون.

بنت ودود فكرها على إعادة قراءة للقرآن الكريم من أجل تحدي التقليد الحرفي

والقوانين والسياسات المناهضة للنساء، وتحقيق الإصلاح السياسي والاجتماعي والقانوني. وكان فكرها يتركز على أن التحيز ضد النساء هو نتيجة للنحو الذي ترجم عليه القرآن وليس بسبب ما جاء فيه. فهؤلاء الذين يؤمنون أن الرجال مخلوقات أرقى من النساء قد ترجموا القرآن بناء على هذا التخيل. ولكن المشكلة الآن في العصر الحديث، حيث تقول ودود: "إن المشكلة ليست فقط لترجمة الرجال للقرآن على هذا النحو، بل في استمرارهم لممارسة هذا الدور السلطوي". وتضيف: "إن علماء الدين من الرجال اليوم يسيئون استخدام سلطاتهم". لذلك، فهي ترى أن "التدخل الجاد والمؤثر لخبرات النساء وترجماتهم هو أمر حيوي في تحول الموقف بين الجنسين إلى أعلى مساواة ممكنة"(١٨٣).

في الماضي، تعاملت النساء مع مسألة الفصل بين تعاليم الإسلام التقليدية والممارسات الكارهة لهم باعتبار أنها حالات منفردة أو بسبب الفشل في الإلمام بمفاهيم الإيمان الصحيحة. ونادرًا ما طالبت النساء بإعادة النظر إلى تلك التقاليد.

وتلاحظ ودود أن التفسيرات القرآنية لم تفرق بين النص القرآني والتفسير الفردي. فأنت لا يمكن أن تقرأ القرآن مرتين بنفس الطريقة؛ حيث إن الفهم الإنساني قد يستوعب فقط بعضًا أو معظم النصوص لكن ليست جميعها. ولكي يصل "لروح القرآن"، يجب على القارئ أن يفهم أولًا دلالات الآية في الوقت الذي قيلت فيه والسياق الذي وضعت به، ثم يستنبط مبادئ عالمية من هذا المعنى.

وتتلخص نظرية ودود في تفسير القرآن بالقرآن. فعند تفسير آية قرآنية، يجب أن يبحث المفسر عن آيات قرآنية أخرى حول نفس الموضوع وتشبه ذات السياق: بما يناسب نفس الظروف التي نزلت فيها تلك الآية. كما يجب أن تفسر الآية في سياق الرؤية العالمية للقرآن وفي ضوء المبادئ القرآنية.

تؤمن ودود أن القرآن يمكن أن يعاد قراءته من أجل ملاءمته مع حاجات وظروف النساء المتغيرة. وتحاول ودود إعادة قراءة القرآن من واقع خبرتها كأنثى، متجاهلة التقاليد القديمة والتفسيرات الجامدة.

ويظهر بوضوح المنظور المختلف الذي وصلت إليه ودود إذا ما قارناه بتفسيرات باحث أصولي مثل تيموثي وينتر. فمن أجل تحديد دور الرجل والمرأة في الإسلام، يعتمد وينتر على التفسيرات القديمة كمصدر له. ويقول وينتر: "إن المجتمعات الإسلامية أمومية ومرتبة. فالرجال يهيمنون على الأمور العامة، بينما النساء على الأمور الخاصة، وهو

ما يراه وينتر دورًا لا يقل أهمية. فتأكيد الإسلام على طاعة المرأة لزوجها يساوي تبجيل وتعظيم مكانة الأم. ويستشهد وينتر على ذلك بحديث الرسول عليه الصلاة والسلام: "الجنة تحت أقدام الأمهات".

لكن ودود ترى أنه على العكس، لم يستخدم هذا الحديث من أجل تعظيم مكانة المرأة بل من أجل تبرير معاناة المرأة في هذا المجتمع الطبقي. فالمرأة قد فطرت على تلبية رغبات الرجل ليكونوا زوجات اليوم وأمهات المستقبل، دون النظر إلى حاجاتهن أو ثمن تضحياتهن.

وفي جوهر ترجمة وينتر للإسلام، لا نجد فقط احترامًا للأصولية والتقاليد، بل نجد "تقديسًا" حذر منه نورشوليش ماجد وإصلاحيون آخرون. تبني وينتر لهذا المنظور "المتمسك" بالتقاليد المعنية بالعلاقات بين الجنسين في الإسلام- قد أثر على تناول بعض القضايا مثل حق المرأة في إمامة صلاة الجمعة. وبالرغم من اعترافه أنه لا يوجد حديث أو نص قراني واضح يحرم إمامة المرأة للرجال في الصلاة، إلا أن وينتر استخدم، مثله مثل القرضاوي وعلي جمعة والعديد من العلماء، الإجماع- القانون الإسلامي السني -ليحاول إثبات أن الإمام يجب أن يكون مذكرًا في حالة إمامة الرجال والنساء مجتمعين. وبالطبع، تلك النظرية ليست قاصرة على الإسلام. فرجال الدين المسيحي واليهودي من المحافظين أيضًا قد تبنوا الموقف نفسه من النساء في الحالات المشابهة.

وكرائد للبحث الأصولي، يعارض وينتر فكرة الرجوع إلى القرآن أو السنة النبوية مباشرة لاستنباط حكم يختلف عن إجماع علماء الدين الأوائل:

"بالرغم من وجود البعض الذين يرفضون مذاهب الإسلام الأربعة ويحاولون استنباط الشريعة من الإلهام، إلا أنهم في بعض الأحيان أيضًا ينكرون هذا الإجماع، مثل الباحث فريد إسحاق (باحث مسلم من جنوب أفريقيا- تلقى تدريبه في بريطانيا) الذي ناقش الموضوع بشكل جاد... فيمكن للفرد أن يكون زعيمًا دينيًا دون أن يكون إمامًا في مسجد مثل المفكرة البارزة بنت الشاطئ من مصر وآخرين من الأوائل... فقط بتقديم الإثبات الكافي"(١٨٤).

يشير وينتر إلى الممارسات الإسلامية التاريخية في السنة، فما تم فهمه على أنه سنة محمد ﷺ قد تحكم في فهمنا للقرآن، وأن إجماع العلماء قد سيطر على فهمنا للسنة. هذا يعني

باختصار أنه في السنة يحل الإجماع محل كل شيء. فحتى لو جادل أحد الأشخاص أن القرآن لا يوصي بالحجاب وأن الروايات النبوية والأحاديث التي أوصت بارتداء الحجاب ليست صحيحة، فيكفي إجماع العلماء الأوائل لإثبات الأمر. يجب علينا ألا نتحرر من تقاليدنا.

وعلى نهج وينتر نفسه، يشرح دكتور المزمل صديق - العالم الإسلامي والمفتي الأمريكي، رئيس المجمع الإسلامي ومجلس الفقه بشمال أمريكا (وهي منظمة للباحثين الإسلاميين في القانون) - آراء الكثير من رجال الدين المحافظين. وقد تلقى صديق تعليمه في جامعة Aligarh الإسلامية ودار العلوم بالهند، ثم الجامعة الإسلامية بالمدينة في السعودية. كما حصل على شهادة الدكتوراه في الدين من جامعة Birmingham في إنجلترا وأخرى في الفقه المقارن من جامعة Harvard. ويقول صديق في إحدى الفتاوى:

لا يضع الإسلام قيودًا على قيام المرأة بتعليم أو توجيه الرجال والنساء. ويقول القرآن في الآية ٧١ من سورة التوبة: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾. واليوم، هناك العديد من النساء اللاتي يصلحن كفقهاء في إصدار الفتاوى، وتعليم القرآن والحديث في المدارس والجامعات حول العالم... يجب أن يعطيهم المسلمون فرصًا أكثر ليشجعوهن على أن يَكُنَّ شركاء في العمل الإسلامي.

أما عن إمامة الصلاة، فهي قاصرة على الأئمة من الرجال فقط عندما تجمع الصلاة النساء والرجال معًا سواء أكانت في المساجد أو خارجها... في الصلوات اليومية أو حتى صلوات الجمعة والأعياد. ولا يمكن للنساء أن يأمن في تلك الصلوات.

كان هذا دائمًا طريق المسلمين حول العالم منذ عهد الرسول ﷺ. هذه الشريعة التي تحكم ليست بسبب أي عجز روحي بين النساء. فالرجال والنساء متساوون ومكرمون أمام الله. ويمكن للنساء أن يأمن في الصلاة إذا كانت تجمع النساء فقط. كما يمكن للنساء أن في يأمن في الصلاة في بيوتهن وبين أفراد عائلتهن إذا كُنَّ ملماتٍ بالقرآن والقوانين الإسلامية(١٨٥).

وبالرغم من النظر إلى المصلحات الدينيات من النساء على أنهن متحررات يتحدين التقاليد، إلا أن التفسيرات والاستنتاجات القرآنية للبعض مثل دكتورة فرحات هاشمي تقول ما هو أكثر.

فرحات هاشمي: مصلحة أم أصولية؟

تختلف فرحات هاشمي - التي تغطي وجهها وجسمها بالكامل - بشكل كبير عن أمينة ودود وهبة رءوف، فقد تلقت تعليمها في الدراسات الإسلامية في جامعة Glasgow. تصر هاشمي على أنها تتبنى الفكر الليبرالي وتسعى لتمكين وتعليم المرأة، بالرغم من أن آراءها النقدية قد تظهرها كأصولية لا كمصلحة إسلامية. وعلى عكس آرائها، تبدو هاشمي وكأنها "أجنبية" تتحدث الإنجليزية، وقد تلقت تعليمها في باكستان حيث رواد الحركات النسائية. وقد أثنى البعض على هاشمي باعتبارها مفجرة الطفرة الإسلامية في نخبة النساء الباكستانية. ويمكننا أن نرى مدى شعبيتها وتأثيرها في عشرات الآلاف من الأشخاص الذين يحضرون ندواتها.

وقد انتقدت بعض الحركات النسائية والتجديدية وبعض العلماء من التيار المحافظ أسلوب هاشمي. فقد قال عنها البعض: محدثة والبعض الآخر: أصولية، كما وصفت آراؤها بالنسائية، بل في بعض الأحيان بالطالبية (نسبة إلى حركة طالبان).

وتركز هاشمي على الممارسات اليومية من وجهة نظر الإسلام وتكتسب محاضراتها الشهرة من واقع يأس الناس من الدين، أو كما تقول: "هناك رغبة في البحث عن الإرشاد والتوجيه"(١٨٦). وترى هاشمي أن هدفها هو إصلاح المجتمع الإسلامي عن طريق إنعاش التعليم الإسلامي الحقيقي والأصولي. ولهاشمي أيضًا الكثير من المعجبين في تورنتو حيث تعيش وتعمل الآن - وأيضًا من أستراليا - حيث تلقت تدريبًا لمدة عشرين شهرًا في تعاليم القرآن في مركز الهدى الإسلامي بكندا، والذي قسم على أربعة أيام في الأسبوع، وخمسة أيام في الأسبوع، وقد كانت تكلفة التدريب ٦٠ دولارًا في الشهر. وكانت تلك التدريبات التي تتلقاها هاشمي سواء في مجال القرآن أو التفسير أو الأحاديث - هي محور الأبحاث واللقاءات الإعلامية. أما معهد الهدى، الذي يقدم خدماته لطلبة الدوام الكامل والنساء العاملات وربات البيوت، فقد تخرج منه أكثر من عشرة آلاف سيدة. ويصل صيت وخدمات معهد الهدى للنساء في المناطق الريفية، والمساجين والنساء في المستشفيات(١٨٦).

تؤمن هاشمي أن لدى الإسلام علاجًا للأمراض الشخصية والاجتماعية، وأن الجيل الجديد "سوف يكون أكثر انشغالًا بتناول مشكلات الحياة في ضوء الإسلام"(١٨٧). ويعد منظور هاشمي هو منظور قرآني، يؤكد أهمية فهم النساء للقرآن من أجل مصلحتهن(١٨٨).

ومن خلال المصادر الإلكترونية لمعهد الهدى، يستطيع الرجال والنساء الاطلاع على ترجمة هاشمي للقرآن وتحميل محاضراتها(١٨٩).

وبالرغم من شهرة هاشمي، فإن العديد من العلماء الأصوليين يقولون: إنها ليست مؤهلة كباحثة؛ لأنها لم تتلق تدريبًا أصوليًّا. كما ينتقدون ملفها الشخصي وحقيقة أن محاضراتها متاحة للرجال؛ لأنه ليس من المفروض أن يكون للنساء دور عام في الدعوة، وهو ما يرونه انصرافًا جذريًّا عن الأرثوذكسية أو المعتقدات التقليدية. وفي هذا الشأن، ترد هاشمي قائلة:

"إنهم لا يعون الدكتوراه التي حصلت عليها في الدراسات الإسلامية. فبالنسبة لهم أنا لست مؤهلة لأن أكون باحثة دينية بالرغم من سنوات دراستي. ويقولون: إنني لن أكون مؤهلة كباحثة حتى أدرس مناهجهم ومدارسهم وأتبنى طريقة تفكيرهم... أنا لا أخشى العلماء. أنا لا أخشى أي شخص. كل ما أفعله هو نشر رسالة القرآن. وإذا كان هناك من يعترض على ذلك، فإن الجدل لن يكون معي، بل مع الله"(١٩٠).

وعلى عكس بعض الإصلاحيين المجددين من دون الأئمة، تؤكد هاشمي أن الباحثين الدينيين فقط (وهي هنا تستثني نفسها والباحثين العلمانيين والعلماء) هم الذين يجب أن يفسروا القانون الإسلامي، وأن القرآن يجب أن يرسم ملامح هذا الإصلاح. وترسم هاشمي خطًّا دقيقًا فاصلا بين الإصلاح والأصولية، وتبدو وكأنها محدثة إسلامية وهي تقول:

"أشعر أن هناك حاجة إلى إعادة تفسير كافة القضايا. ولكن يجب أن يقوم بهذا مجموعة من الأشخاص الذين يفهمون قضايا اليوم، ويفهمون الدين، فتفسير قضية منذ ١٠٠٠ عام- كان لها عصر تاريخي وبيئة مختلفة، ويجب إعادة التفسير في ضوء معلمات القرآن"(١٩١).

وتنتقد هاشمي العلماء المحافظين لضيق أفقهم الذي أعاق نمو الدين وصرف الكثيرين عنه:

"هناك الكثير من الجمود. وكل ما قاله باحث منذ ١٠٠٠ عام بمثابة الكلمة الأخيرة، وقد جرح هذا المسلمين ودمرهم؛ لأن هناك في الإسلام مساحة للنمو على مدى العصور المتغيرة. وقد صرف هذا المنظور الأجيال الجديدة عن الإسلام. فهم يرونه دينًا يرجع بهم إلى عصور الظلام بدلًا من حل مشاكلهم"(١٩٢).

ترى هاشمي أنه يجب على المسلمين أن يركزوا على استنباط القيم الإسلامية في النظرة التدريجية لتطبيق الشريعة:

"أنا لا أعتقد أن الشريعة يجب أن تفرض بالقوة فللأسف هذا هو ما كان يحدث في باكستان. فالرسول ﷺ قد كسب قلوب الناس بإعطاء قوانين للحياة عن طريق شرحه لها، وهو ما أخذ سنوات. ففي قضية الخمر: تمت مناقشتها بشكل سطحي في البداية، ثم أصبح النقاش أكثر عمقًا، أما في المرة الثالثة فقد تم تحريم شرب الخمر بشكل نهائي. كان السبب وراء ذلك هو النقاش التدريجي أو المنظم حتى إنه حينما تم الوصول إلى نتيجة التحريم، كان الناس على استعداد لقبول الأمر. لذلك، أرى أنه من المهم أن نشرح المبدأ للناس أولًا ونعطيهم الوقت لفهمه ومناقشته ثم قبوله. فلا يجب أن نفرض شيئًا بطريقة تعسفية "(١٩٣).

الحركات النسائية الإسلامية أم حركة طالبان النسائية ؟:

ينتقد بعض النقاد آراء هاشمي حول قضايا النساء، فبينما يرى العلماء أنها "تدافع عن قضايا النساء"، يرى العلمانيون من المسلمين أنها "وجه عاكس لنساء طالبان". فبينما اتهمها البعض بأن تعاليمها تهدف إلى "طلبنة" المجتمع وتؤدي إلى أن تفقد المرأة حقوقها في المجتمع، ترد هاشمي قائلة:

"عندما أقدمت على الدكتوراه وذهبت إلى أرض أجنبية للدراسة، كيف أقول للآخرين أن يفعلوا مثلي؟ إنني أرى أن مسئولية المرأة الأولى هي منزلها، وعندما تحقق ذلك يمكنها أن تشارك في أي مجال يناسبها. أنا ليس لدي أجندة لحصول المرأة على حقوقها، فمركز الهدى به فصول ليلية خاصة للمرأة العاملة. لكنني أرى أن السلام المنزلي يعتمد على المرأة وهو شيء لا يمكن تجاهله في سبيل العمل خارج البيت. يجب ألا تضحي المرأة بدورها في البيت من أجل طموح خارجي "(١٩٤).

لكن هاشمي لا تحدد نوع العمل المناسب للمرأة، إلا أنها عندما سئلت عن أنسب الوظائف "المناسبة لطبيعة المرأة" قالت:

"أنت لا يمكنك أن تضع قانونًا يفرض على الناس ما يفعلون وما لا يفعلون. فلكل شخص مهارات تختلف عن الآخر وميل لأشياء مختلفة. فمن وجهة نظري مثلا يجب على المرأة أن تتعرف على إمكانياتها وتقيم ظروفها، ولكن في نفس الوقت تفهم حدود وتقاليد الإسلام. فأي مجال يحترم الفرد والإسلام هو مجال مناسب للعمل "(١٩٥).

"وبالرغم من آراء هاشمي "المتطورة" عن تعليم النساء، وفرص العمل، والحق في أن تكون مرجعًا دينيًا، واختيار شكل الملبس والحجاب، ودعم الفصل بين الجنسين، إلا أنها تعرضت لنقد كبير. وقد حظر طارق فتاح- مدير العلاقات السابق بالكونجرس الكندي الإسلامي- قائلا: "إن مبدأها يشكل تهديدًا خطيرًا ليس فقط للقيم الكندية، بل للمسلمين الكنديين. فهي تشجع على انفصال المجتمع وتصعب على مسلمي جنوب آسيا الاندماج في المجتمع، كما تقوم بعمل غسيل مخ للنساء المتعلمات من الطبقة المتوسطة كي يجلسن في المنزل "(١٩٦).

وتصر هاشمي على أنها لا تصف لباسًا محددًا للمرأة كما أمر الله في القرآن:

"أنا لا أوصي بتصميم لباس معين للنساء، لكن الإسلام نص على أن تخفي المرأة جمالها بأية طريقة تختارها. لكن هناك ما يؤكد وجوب تغطية المرأة لشعرها والجزء العلوي من جسدها. ويمكن استخدام المرأة لطرحة أو شادور أو برقع في هذا الغرض "(١٩٧).

وقد اتهمت هاشمي بخرق قانون "تعدد الزوجات" في دول مثل كندا؛ حيث يمنع القانون مسألة تعدد الزوجات، فهي تقول: إن على الرجل أن يتزوج المرأة إذا كان على علاقة بها. وتضيف هاشمي "يحافظ الإسلام على حقوق المرأة حتى لا يستغلها الرجل. فإذا أقام الرجل علاقة مع امرأة بدون زواج، ينص القرآن على أنه يجب أن يتزوجها"(١٩٨). ويدافع أنصار هاشمي عنها قائلين: "قد تكون السيدة هاشمي قد تحدثت عن تعدد الزوجات ولكنها لا تشجع طلبتها على اتخاذ زوجة ثانية. فتحت وصايتها، أصبحت العديد من المسلمات من كافة نواحي الحياة أكثر دراية بالإسلام كي يصبحن مسلمات أفضل "(١٩٩).

وبالرغم من الانتقادات التي وجهت لها، ينكر البعض التأثير الدولي لفرحات هاشمي على حياة الآلاف من المسلمات المتعلمات والأقل تعليمًا.

علماء إصلاحيون للنساء:

بالرغم من تحفظ الكثير من العلماء، هناك بعض الشخصيات القيادية دينيًا مثل الشيخ يوسف القرضاوي- الذين يتبنون الإصلاح في مجال حقوق المرأة. ويقول القرضاوي، وهو نموذج للباحثين الذين يتمسكون بمساواة الجنسين في القرآن: "إن القرآن يفرض واجبات متساوية على الجنسين من أجل اتباع الفرد والجماعة للأصول

الأخلاقية". فبينما يؤكد العالم الجليل على حقوق المرأة كزوجة وأم وحاجتها إلى اللباس الشرعي، يدافع القرضاوي عن حق المرأة في المشاركة العامة، وتعليم والعمل، بل وفي التصويت. ويضيف: "إن كافة تلك الأدوار لا تتعارض مع الشريعة حيث لا يوجد نص صريح يمنع تلك الحقوق والأدوار في المجتمع حيث تستطيع النساء القيام بهذا الدور لخدمة مصالح المجتمع".

وينتقد القرضاوي معاملة حركة طالبان للنساء نتيجة للفهم الخاطئ للإسلام "وهو أمر مرفوض". كما يدين حقيقة "منع النساء من العمل وحبسهم في البيوت، حتى آلاف الأرامل اللاتي فقدن أزواجهن في الحروب وبحاجة للعمل من أجل القيام على أطفالهن"، ويضيف: "إن بعض هؤلاء السيدات من المفكرات وخريجات الجامعات"(٢٠٠).

وتنعكس تلك الآراء للقرضاوي على أهل بيته. فهو دائمًا يقول بفخر: "إن لديه أربع بنات، ثلاث منهن حاصلات على شهادة الدكتوراه من جامعات مختلفة في إنجلترا: في الفيزياء النووية من جامعة لندن، والكيمياء الضوئية من جامعة ريدنج وعلم الأحياء الجزيئية من جامعة نوتنجهام. أما الابنة الرابعة، فقد أكملت درجة الماجستير في علم الوراثة من جامعة تكساس بأوستن. هذا بالإضافة إلى أن إحدى بناته تشغل منصب عميد جامعة قطر.

ونتيجة لانتقاد القرضاوي لحركات الجهاد السلفية والدفاع عن حقوق المرأة، وصف السلفيون القرضاوي بأنه "مبتدع" يضل المسلمين، حتى إن بعض المواقع السلفية قد وصفته بـ"الإمام الضال" وهاجمته واصفة "دحض القرضاوي" و"إسكات الكلب المطارد". فهم يرونه كمفتٍ خبيث تعارض أحكامه وفتاواه الشريرة القرآن الكريم والسنة النبوية، بل وتشجع الناس على الجهل والبدع وهي أساليب الشيطان(٢٠١). ويتبنى الشيخ علي جمعة مفتي الديار المصرية موقف القرضاوي نفسه، مدافعًا عن حق المرأة في التعليم والعمل واختيار شريك الحياة (رافضًا فكرة سلطة الأب على اختيار الابنة). بل وصلت فتاوى القرضاوي إلى الإعلان أن من حق المرأة أن ترأس الأمة.

وتظهر فتوى الشيخ علي جمعة، والتي أصدرها في فبراير ٢٠٠٧ في تأكيد حق المرأة في قيادة الأمة، الفكر الأصولي الحديث الذي يتبناه جمعة إلى جانب ميله للإصلاح الحديث وهو ما يثير جدلًا. فبعدما نشرت جريدة الأهرام الشهيرة على لسانه تحريم ترشيح المرأة كرئيسة للبلاد، اتهم جمعة الجريدة بتشويه مكانته وموقفه. وقد فرق جمعة بين "الحاكم

التقليدي أو الخليفة، وبين الزعيم الأعلى للمسلمين" قائلا: "إن الأسباب التي أعطاها رواد المسلمون الأوائل لعدم أحقية المرأة في تولي منصب الخلافة توضح أن مكانة الخليفة تختلف عن مفهومنا الحالي للرئيس"[٢٠٢].

تحدث جمعة عن أمور أخرى خاصة بالنساء مثل ختان الإناث وتعدد الزوجات. قال جمعة: "إن ختان الإناث ليس واجبًا في الدين الإسلامي، لكن هذا الفعل قد تم ممارسته على يد الأفارقة الأوائل غير المسلمين ثم تبنته السلطات الدينية بعد ذلك في بعض البلدان الإسلامية". وفي يونيه ٢٠٠٧، بعدما ماتت طفلة عقب إجراء عملية ختان لها، أصدر جمعة فتوى صريحة وقاطعة قال فيها: "إن تلك العادة الضارة لختان الإناث التي تمارس في مصر في عصرنا هذا ممنوعة منعًا باتًّا"[٢٠٣]. كانت لتلك الفتوى ردود فعل بينة في المجتمع المصري؛ حيث أشار تقرير لليونيسيف عام ٢٠٠٥ عن ٩٧٪ من النساء المصريات ما بين سن الخامسة عشر والتاسعة والأربعين قد تعرضن للختان.

يعتمد جمعة في تأييده للإصلاحيين لتقييد تعدد الزوجات على الآية القرآنية التي أشارت إلى العدل بين الزوجات في الآية الثالثة من سورة النساء: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾[٢٠٤].

ويضيف جمعة أن الله لم يأمر الرجل بأن يتزوج أكثر من زوجة واحدة، لكن تعدد الزوجات له ظروف خاصة (لوفاة الكثير من الرجال في الحروب، ومن ثم الحاجة إلى رعاية العديد من الأرامل واليتامي) في وقت نزول القرآن.

وتتميز فتاوى جمعة المتعلقة بأمور الجنسين بحدة اللهجة، فهو دائمًا ما يقارن فتواه بوصف سلبي لموقف النساء في الغرب:

"تكمن المفارقة في أن هؤلاء الذين يهاجمون الإسلام لسماحه بتعدد الزوجات هم أنفسهم من يعانون من تفكك الأسر، وزنا المحارم، وتعدد العاشقات دون حدود مما يؤدي إلى ضياع حقوق العشيقة وخيانة الزوجة في الوقت ذاته. تفقد العشيقة العديد من حقوقها فلا يعترف بها أو بأبنائها. وهي وحدها التي تتحمل عبء الإجهاض أو العيش كأم وحيدة تربي طفلا غير شرعي"[٢٠٥].

ينظر إلى العديد من آراء جمعة على أنها متطورة بشكل كبير، إلا أنه يعكس منظورًا مختلفًا عند تفسير إحدى الآيات التي تتحدث عن حق الرجل في ضرب زوجته. فبالرغم

من آراء الفقهاء التي نصت على وجوب عدم ضرب الرجل لزوجته مستندين إلى حذو حذي الرسول في عدم ضرب زوجاته، إلا أن جمعة له رأي مختلف. وتنص فتوى جمعة على حق ضرب الرجل لزوجته ضربًا خفيفًا ليس مبرحًا إذا كانت ناشزًا، فقط بعد استنفاده للوسيلتين الأخريين وهما النصح والإرشاد، وإذا لزم الأمر الهجر في الفراش. ويدافع جمعة عن رأيه في أن ثقافة المرأة في بعض المجتمعات تتوقع من الرجل أن يضرب زوجته ضربًا خفيفًا كرمز للرجولة. ويدافع جمعة أنه بالرغم من أن المجتمعات الغربية لا تعرف تلك الممارسات، فإن القرآن جاء كدين لكل العصور والمجتمعات.

أما عن فرحات هاشمي، فلها رأي آخر فيما يتعلق بالتعدي البدني من الرجل على زوجته بسبب الطاعة:

"لم يذكر القرآن في أي موضع ما يتعلق بحق الزوج في عقاب زوجته إذا لم تطعه ويمنح له هذا الحق فقط إذا كانت غير مخلصة لزوجها. وقد قيل: إن لي منظورًا نسائيًّا، إلا أنني شرحت الآيات بالتفصيل. فكلمة (نشوز) التي ذكرت في القرآن لا تعني الطاعة، لكنها تعني تشتيت حياة الأسرة وفعل ما يعكر صفو وسلام الأسرة، وأنا أفسر ذلك فيما يعني عدم الولاء للزوج "(٢٠٦).

الدعاة المسلمون:

منذ قديم الزمن وحتى وقت قريب، كانت "الأخبار الجيدة" تستلزم نقل المبشرين للأخبار عن طريق السفر لمسافات طويلة. وقد تغير كل هذا على يد الإعلام الحديث، والاتصالات العالمية وميلاد الدعاة. فالتكنولوجيا الجديدة (التليفزيون، وشبكات الكابل الدينية، والإنترنت، والأجهزة المسموعة، والفيديو، والسي دي والدي في دي) قد حولت الدعاة ورجال الدين المسيحي إلى نجوم إعلام (مثل الأم أنجيليكا، وبات روبرتسون، وريك وارين وجويل أوستين). فبدون أن يتركوا الكنيسة أو الأستديو، يستطيعون الوصول إلى إذاعة محلية منفردة وجمهور عالمي، أكبر من أتباع المسيح، والرسل وسان بول في حياتهم.

إن عولمة الاتصالات قد أصدرت نجوم إعلام من المسلمين، سواء من العلماء مثل يوسف القرضاوي وطارق رمضان، أو من الدعاة مثل عمرو خالد وعبد الله جيمنستيار. فهولاء العلماء يصلون للملايين، بل أحيانًا مئات الملايين الذين يملئون قاعات ضخمة

ومدرجات كبيرة أو يبعثون برسالاتهم على أقراص DVD، وأشرطة فيديو، وشرائط كاسيت عبر التليفزيون والإذاعة بالأقمار الصناعية وعبر الإنترنت. فالموقع الإلكتروني لعمرو خالد يستقبل زوارًا أكبر عددًا من زوار موقع أوبرا وينفري.

أما هؤلاء الدعاة ومنظماتهم فتقدم بديلا دينيًا لرجال الدين التقليديين والمساجد، والمفتين والفتاوى. وقد ينادي العلماء بمركزية أوسع للسلطة الدينية، لكن هذه البدائل الرائجة تسمح للدعاة المسلمين، كما فعلت مع المسيحيين، بالانتقال للاتجاه المعاكس نحو اللامركزية في السلطة الدينية. فالغالبية توجه رسالة مباشرة وصريحة بترك المشكلات اليومية، وتشجيع روح إسلامية صلبة للتمكين والنجاح في تلك الحياة والحياة الأخري. ولا ينجذب الجمهور لهذه الشخصيات بسبب شهاداتهم الدينية أو البحثية، بل بسبب شخصياتهم، وطرق الدعوة والرسائل المتميزة.

عمرو خالد: "أول داعية إسلامي تلفزيوني في العالم العربي":

وصف عمرو خالد بأنه "أول داعية إسلامي تلفزيوني في العالم العربي، في العصر الرقمي الذي افتخر فيه بيلي جراهام بمناهضته لابن لادن... ليترك خلفه جيلا من شباب المسلمين التائهين".

وقد تميز عمرو خالد بمظهر مختلف؛ حيث ظهر بلا لحية ويرتدي ملابس غربية أنيقة، تحدث للشباب باللغة العربية العامية إلى الملايين من شباب المسلمين من عمر الخامسة عشر وحتى الخامسة والثلاثين. وقد وجه خطابه إلى الطبقة فوق المتوسطة من المسلمين في العالم العربي والمهاجرين الذين يعيشون في الغرب؛ لأنه رأى أنهم الأقدر على تغيير العالم الإسلامي للأفضل. وقد جذب خالد العديد من التابعين من الشابات المسلمات اللاتي جذبهن صدقه وأسلوبه الودود العاطفي وروح الفكاهة والرسائل العملية التي تركز على حياتنا اليومية. ومثل العلماء المسيحيين من البروتستانت، يمزج خالد بين الفكر الديني المحافظ وكاريزما الشخصية وطريقة الكلام، بالإضافة إلى مساعدة الذات الغربية، لغة تدريب الإدارة والجمهور العاطفي السعيد بسماع قصص مليئة بالضحك والدموع. وهو لا يتكلم في السياسة، مفضلا التأكيد على حب الله وقضايا التقوى الدينية الشخصية، والصلوات اليومية، والعلاقات الأسرية، والحجاب، والغرام ومسئولية المجتمع. فالمسلمون الشباب خاصة ينجذبون للرسائل الدينية والروحية البسيطة المتواضعة، والتأكيد على القيم والموقف الاستباقي تجاه الحياة. فخالد

يستبدل الموقف السلبي تجاه الإسلام "لا، لا إسلام" لكثير من الدعاة المسلمين بإيجابية "نعم لإسلام الحياة".

إن قدرة خالد على ربط الإسلام بالحياة اليومية قد جعله مشهورًا ومؤثرًا بشكل كبير. فهو يشجع الشباب لا على التركيز على أشياء لا يمكن تغييرها، بل على ما يمكن تغييره مثل سلوكهم وتصرفاتهم وشخصياتهم. وتؤكد رسالته على إجراء تغييرات بسيطة على الحياة اليومية، كيف نصلي، وأفعال الخير البسيطة التي نستطيع أن نقوم بها وتؤدي إلى تقدم ملموس. أما برنامجه "صناع الحياة"، فهو يتحدى شباب المسلمين إلى تحسين أوضاع بلادهم عن طريق الارتقاء بأحوال بلادهم وأحوالهم المعيشية. وكانت الفكرة على مدار ٤٦ حلقة تتنوع بين "لا للمخدرات" و"لا للخمر والقات" إلى "الحفاظ على مصادرنا"، و"تحديد أهدافنا في الحياة" و"الاستفادة من عقولنا"[٢٠٧]. وفي الحلقة الأولى من سلسلة البرامج، شرح خالد فلسفته في الحياة وهدفه من البرنامج قائلا: "لن نتغير حتى نستيقظ من هذه الغيبوبة التي نعيش فيها. لقد وصلنا إلى الحضيض في كل نواحي الحياة، ولا يمكنني أن أتخيل أننا من الممكن أن نصل إلى ما هو أسوأ من الآن لأننا بالفعل في الحضيض"[٢٠٨].

ويعد هدف عمرو خالد هو النهضة أو تجديد المجتمع الإسلامي. وعلى عكس من يغنون للأمجاد القديمة ويتصارعون على قضايا الفقه والقانون الإسلامي، فإن منظور خالد- بسيط وواضح ومباشر. فهو يعيد إلقاء حكايات التاريخ الإسلامي ولكن بروح جديدة تؤكد الحاجة إلى غرس واتباع الروح والقيم الإسلامية اليوم. وتجمع رسالته الإصلاحية بين الإسلام التقليدي (فهو يرى أن ارتداء المرأة الحجاب أمرًا ملزمًا) والرسالة الاجتماعية القوية للشباب من الرجال والفتيات.

ومثل كثير من الدعاة المسلمين، تأتي شهرة خالد في الأوساط الشبابية التي يتوجه إليها بالحديث مباشرة في ندواته بل وفي المجلات النسائية. وهو يمزج ما بين دور المرأة المحوري في التاريخ الإسلامي (مثل السيدة خديجة أول امرأة في الإسلام وأول مجاهدة في الإسلام) ونقد ظروف قهر المرأة الآن. أما بالنسبة لحقوق المرأة، فيظهر رأيه من خلال إدانته لممارسات غير إسلامية مثل "القتل دفاعًا عن الشرف" والزواج القسري.

يرى خالد أن هناك العديد من "الطفيليات" في العالم العربي التي تشده إلى الوراء. لذلك، فرسالة خالد هي رسالة أمل، لا يأس. ويشير خالد إلى الاحصائيات في العالم

العربي التي تتناول الفقر، والبطالة ، والأمية ومتوسط دخل الأسرة وعدد الكتب المنشورة، ويقول: "مشكلتنا هي أننا تعودنا على الأخذ لا العطاء. بمعنى آخر، نحن نعيش كطفيليات تتغذى على بقية العالم"(٢٠٩). يجب على الشباب أن يكون استباقيًا، ويكسر القيود الأربعة التي تشده إلى الوراء وهي: (١) السلبية، (٢) عدم وجود هدف في الحياة، (٣) عدم الجدية، (٤) الجهل. ويشبه خالد هذا الموقف برجل مكبل في بيته في حين أن العالم من حوله مليء بالنور.

لكن ماذا يستطيع أن يفعل الأفراد لكي يغيروا أنفسهم ومجتمعاتهم؟ فرسالة خالد بسيطة ومباشرة تصف الأفعال اليومية التي تمكن الناس وتساهم في مجتمع أفضل:

- تخلص بنفسك من المخلفات في الشوارع.
- املأ بنفسك قصاري الزرع أمام منزلك.
- غير الزجاج المكسور في منزلك.
- تعلم كيف تصلح الحنفية التي تسرب المياة في منزلك أو ائت بشخص يصلحها لك.
- أعط دروسًا لأقاربك من الأطفال، وعلمهم اللغات والكمبيوتر.
- في كليتك، إذا كان هناك بعض الأدوات التي تنقص في المعمل، اجمع النقود من زملائك واشتر بعض الأدوات.
- نظف المسجد ولا تخجل من فعل ذلك، فسلوكك الاستباقي سوف يشجعك.
- علم إنسانًا أميًا حتى تساعد في تخفيض نسبة الأمية.
- وبالنسبة لربات البيوت، عليهن أن يبدأن مشروعًا يساعدن النساء والأرامل، بأن يعلموهن حرفة يعملن بها بدلًا من انتظار الدعم من الآخرين(٢١٠).

يستخدم خالد موقعه على شبكة الإنترنت بشكل مؤثر وتعليمي. فالعدد الكبير وحماسة أتباعه تظهر بوضوح في الاستجابة الكبيرة لطلباته واقتراحاته. وقد تم حصر ٦٠٠٠ رد بالفاكس، و١٤,٠٠٠ بالتليفون و٢١٠,٠٠٠ عن طريق الإنترنت من ٣٥ دولة من العالم العربي، آسيا، أفريقيا، أوروبا والولايات المتحدة. أما مبادرته لكساء الفقراء، فقد جذبت الآلاف من ٢٦ دولة حتى إنهم جمعوا مليونًا ونصفًا من شنط الملابس وزعت على المحتاجين.

الإسلام والغرب:

في عام ٢٠٠٤، انتقل عمرو خالد إلى مدينة برمنجهام بإنجلترا ووسع رسالته كي تصل أوروبا وأمريكا. كان جمهوره الابتدائي هنا هو الجيل الثاني من المسلمين الأوروبيين، وكان هدفه هو ملء الفجوة بين الشرق والغرب: "إن اهتمامي في هذه القضية (الحوار مع الغرب) وهدفي في الحياة- هو أن أكون محفزًا للنهضة التي لا تأتي في وجود صراعات. وأعتقد أنني في اتجاهي نحو الهدف من خلال برنامجي (صناع الحياة)"[٢١١].

كان هدف خالد هو تحول المجتمع في محاولة للتمكين من خلال التأكيد على الإيمان والهوية، والكرامة والسلوك الإيجابي ذي الطابع الشرقي نحو الحياة:

"نريد أن نغير حقيقتنا المؤلمة من المهانة للكرامة، من الانحدار الاقتصادي للرخاء، من البطالة للعمل والإنتاج، ومن فقد الهوية إلى الفخر بكوننا مسلمين. نريد أن نبدأ عهدًا جديدًا من النجاح في الجامعات والأنظمة التعليمية، والمنظمات غير الربحية، والمنظمات الاجتماعية، وفي مجال الترجمة. نريد أن نغير ثقافتنا من كونها رخيصة وبلا طعم إلى ثقافة رائدة ونقية"[٢١٢].

عندما حدثت أزمة رسومات الكارتون الدنماركية، أقام خالد مؤتمرًا في كوبنهاجن في مارس عام ٢٠٠٦ تحت عنوان (اعرف الرسول) كان الحوار بين ٢٥ شابًا مسلمًا ومثلهم من الدنماركيين، وقد توصلوا إلى نتيجة مفادها الحاجة إلى إنشاء مركز ثقافي في الدنمارك يزود الكتب الدنماركية ببعض المعلومات عن الإسلام، وترقية الحوار على أصعدة مختلفة. لكن بالرغم من ذلك، تعرض خالد لانتقادات بسبب محادثته مع الدنماركيين في ذلك الوقت، يقول يوسف القرضاوي: "إن الوقت لم يكن مناسبًا لكي يذهب المسلمون إلى الدنمارك بدون اعتذار الحكومة عما صدر". ويرد خالد:

"لقد وجدنا أن أزمة الكارتون بمثابة فرصة ذهبية قد لا تتكرر من أجل تقديم صورة حقيقية عن نبينا للغرب؛ حيث كان هناك ما يقرب من خمسة آلاف دنماركي كانوا متعطشين أن يسمعوا لأول مرة عن الإسلام. لقد أردنا أن نتخلص من المفاهيم الخاطئة والصورة النمطية عن الإسلام، وإحباط محاولات أعداء الإسلام في جذب غير المسلمين من المحايدين إلى جانبهم لمعاداة المسلمين. كما أردنا أيضًا أن نعرف الدنماركيين، وكيف ينظرون للرسومات المسيئة"[٢١٣].

وبدون أن يهاجم النقاد من أمثال القرضاوي، يتمسك خالد برأيه قائلا:

"هناك مدرستان فكريتان: أحدهما تواجه الهجمات والأخرى تركز على بناء المستقبل. وتعتبر المدرستان محترمتين، غير أنه من حقي أن أركز على بناء المستقبل. يجب أن نسأل أنفسنا ماذا نريد: الوجودية أم الصراع؟ ما الذي في صالح المسلمين؟ هل يمكن أن يكون لدينا نهضة في وجود صراعات مستمرة لا تنتهي؟ الوجودية لا تعني ألا نواجه الهجوم. لكن الخطر يكمن في حقيقة أن صحوة الأمة الإسلامية لا تحدث إلا في نموذج الصراع. ففي عصر النبي محمد ﷺ، كان الذين دخلوا الإسلام في أوقات السلم أكثر عددًا من الذين دخلوه في أوقات الحروب والصراعات. هذا يعد دليلا على أن الإسلام يزدهر في أوقات السلم"(٢١٤).

عبد الله جيمنستار:

مثل نظرائهم من المسيحيين، يأتي الدعاة المسلمون من كل الأحجام والأشكال والشخصيات. فبالنسبة للمسرح والدراما، هناك القليلون الذين يستطيعون منافسة عبد الله جيمنستار. وقد وصفته مجلة التايم على النحو التالي:

"كالعادة تحت الأضواء الكاشفة، وهو يمسك بميكروفون لاسلكي في يده، ودخان الجليد الجاف يحوم حول المنصة، وأداة الدعم الرباعية على أهبة الاستعداد كي تقفز في جديلة/ طابور واحد. فصوته الجهور المحبب يجمع الجمهور للحظة وهو يقتبس بضعة سطور من أغنية عاطفية، يخفض صوته هامسًا في نبرة حميمية ثم يرفعه عاليًا فجأة وكله مشاعر قوية. كل هذا وهو في نفس الوقت يلوح بيديه ويومئ ويشير ثم يضرب بيده على صدره في سعادة بالغة أما مع عبد الله جيمنستار (الأخ الأكبر)، فبعد أن ينهي ساعة من المحاضرة وسط صيحات النساء وبكاء الرجال وعاصفة التصفيق التي تستمر لبرهة بعد أن تنطفئ كاميرات التليفزيون"(٢١٥).

ويعد عبد الله جيمنستار أكبر الدعاة في إندونيسيا. وتفوق شهرة جيمنستار نجوم الأفلام بإندونيسيا وتصل إلى الطبقات الاجتماعية المختلفة: أغنياء وفقراء، متعلمين وأميين، ورجال ونساء، ومسلمين ومسيحيين، وهو ما اتضح بتأكيده على التعددية الدينية والإيمان بأن كافة الأديان تبعث بنفس الرسالة(٢١٦).

ويبعث جيمنستار برسالته من خلال برنامج تلفزيوني أسبوعي وبرنامج إذاعي يصل

عدد مستمعيه إلى ستين مليون شخص، بالإضافة إلى كتب وأشرطة فيديو وكاسيت ومؤتمرات تدريب وأقوال مأثورة تطبع على علب الكوكاكولا التي يسوق لها[٢١٧].

ومثل عمرو خالد، يجمع جيمنستار ذو السبعة والأربعين ربيعًا بين التعاليم الدينية والنصيحة العملية. وقد ربطت رسالته بتأكيد الحركات التبشيرية الأمريكية البروتستانتية على قدرة الناس على التحكم في حياتهم وثرواتهم. وتتلخص رسالة جيمنستار التفاؤلية أنك يمكن أن تنجح "هنا والآن" إذا اتبعت القيم الدينية وقمت بالعمل جيدًا، ويمكن أن تلاحظ تلك الرسالة متجسدة في حياته الشخصية نفسها.

يشبه جيمنستار عمرو خالد في أن مصداقيته وحضوره تأتي من تأكيده على ارتباط الإسلام بالحياة اليومية للمسلمين، ومثال ذلك هو ممارسته لما يعظ به هو شخصيًا. أما صلاح الدين وحيد، مستشار رئيس مجلس إدارة أكبر المنظمات الإسلامية بإندونيسيا والتي تتكون من ٤٠ مليون عضو من نهضة العلماء، فهو يعلق أنه "يكمن صدق جيمنستار في قوته. فبناؤه للمجتمع يقوم على أقواله وأفعاله"[٢١٨].

ويمزج جيمنستار بين الدين والمبادئ والآليات الغربية التحفيزية، وروح المبادرة، والتسويق والإعلام الحديث لإنتاج نموذج يصل المبادئ الحديثة لمنظمة الأعمال مع تعاليم الإسلام والثقافة الإندونيسية. ويطلق جيمنستار على ذلك "الإدارة بالضمير"[٢١٩]. تتكلف إدارة مؤتمر يقام لمدة ثلاثة أيام للقائمين بالأعمال والمدراء المتوسطين من مائتين إلى ثلاثمائة دولار للفرد. لذلك، ترسل كبرى الشركات بإندونيسيا المديرين الكبار لمراكز التدريب الإسلامية كي يتدربوا ويصبحوا أكثر حرفية من خلال برنامج يتضمن دراسات قرآنية وأخلاقية. ويؤكد البرنامج على ثلاثة مفاتيح أساسية للنجاح؛ وهي: الصدق (كسب ثقة الناس)، والحرفية والابتكار، والارتقاء بالمعتقدات الأساسية؛ "نظام ذو إدارة جيدة، بغض النظر عن قلة أهدافه، ستصل إلى نتائج مبهرة"[٢٢٠]. ويبدو جيمنستار كرجل أعمال وهو يصف السبع وصايا من أجل النجاح: "كن هادئًا، خطط جيدًا، كن ذا مهارات، كن مرتبًا، كن مجتهدًا، كن قويًا، وكن متواضعًا". أما الوصايا الخمس من أجل منتج جيد فهي: "أن يكون رخيصًا، ذا جودة عالية، سهل الاستخدام، متطورًا، ومفيدًا للعالم".

تركز رسالة جيمنستار دائمًا على القضايا العملية للحياة اليومية، وهو يربط ذلك بالصورة الأكبر لمستقبل إندونيسيا. وتعد الأخلاق الذاتية هي المفتاح للنجاح وتقدم

إندونيسيا: "سوف نتقدم فقط إذا اتبعنا ضميرنا، فلن تستفيد إندونيسيا من حزب أو جماعة قدر استفادتها منا ومن ضميرنا". ويرجع جيمنستار فشل الزعماء الإندونيسيين إلى النفاق قائلا: "يسقط الزعماء الإندونيسيين بسبب ارتدائهم الأقنعة التي تخفي نقاط الضعف في شخصياتهم". لذلك، فإن هدف جيمنستار هو "بناء شخصياتهم وإعداد جيل من المسلمين المحترفين"(٢٢١).

وعلى عكس رجال الدين المتشددين في إندونيسيا، نادرًا ما يتكلم جيمنستار عن السياسة العالمية في مؤتمراته أو حلقاته الدراسية، لكن شهرته تأتي من أن كل المرشحين الرئاسيين في إندونيسيا وزعماء العالم دائمًا ما يحرصون على مقابلته. وكالعديد من الإندونيسيين، ينجذب جيمنستار إلى الولايات المتحدة ويدافع عن العلاقة بين الدولتين قائلا: أتمنى أن تتحد أمريكا وإندونيسيا لبناء حضارة للقلب". لكنه أيضًا يعكس مشاعر العديد من الإندونيسيين الذين يتشككون في نوايا أمريكا وسياستها. وبينما تقابل جيمنستار مع كولن باول، وزير الخارجية الأمريكي السابق خلال زيارته لإندونيسيا عام ٢٠٠٣، رفض دعوة لمقابلة الرئيس الأمريكي جورج بوش وثلاثة زعماء مسلمين آخرين. وقد علق جيمنستار قائلا: "يحتاج الأمريكيون رئيسًا ذا قلب طيب حتى تحظى أمريكا بحب العالم، وهذا يجعلها آمنة". إذا لم تعامل أمريكا العالم بشكل عادل، فسيكره الناس أمريكا، وهذا يجعلها غير آمنة". وقد عارض جيمنستار سياسات أمريكا في العراق وأجزاء من العالم الإسلامي. وقبل الغزو الأمريكي للعراق بأيام قليلة، قاد جيمنستار مسيرة مناهضة للحرب من خمسة آلاف إندونيسي أمام السفارة الأمريكية في جاكرتا. وقد حمل على ذراعه خلال تلك المسيرة طفله الصغير الذي ألبسه ملابس ملطخة بالدماء. فهو يدين استخدام العنف ضد الولايات المتحدة أو أية دولة أخرى.

ومثل الزعماء الإندونيسيين الآخرين، ينتقد جيمنستار العنف والتطرف الديني. لكن ما يجعله أكثر تأثيرًا من بقية الدعاة هو أن تعاليمه ليست فقط ترفض التطرف بل تبعث برسالة إيجابية ومحفزة(٢٢٢).

وبالرغم من تجنبه للخلاف والمواجهات، لم يسلم جيمنستار من النقد. فقد انتقدته الصحافة الإندونيسية عندما ذهب للسجن لزيارة أبو بكر البشير، الزعيم الروحي للجماعة الإسلامية المسئولة عن التفجيرات الانتحارية في بالي. وقد اتهم البشير بدعم القاعدة، وهي التهمة التي أنكرها. وقد اعتقلت السلطات الإندونيسية البشير في عام ٢٠٠٢ تحت ضغط الولايات المتحدة، ثم وجهت له الاتهامات عام ٢٠٠٥. لكن بالرغم

من كل ذلك، يظل للبشير شعبية كبيرة في إندونيسيا (وقد أطلق سراحه عام ٢٠٠٦)، حتى إن الكثيرين ومنهم جيمنستار يتشككون في كونه مذنبًا. ونتيجة لتلك الشكوك، أنكر جيمنستار التهم الموجهة للبشير بأن الجماعة الإسلامية كانت وراء تفجير اثنين من الملاهي الليلية ببالي عام ٢٠٠٢، وعن فندق جي دبليو ماريوت في جاكرتا عام ٢٠٠٣، تلك التفجيرات التي خلفت ٢٢٤ قتيلا: "لقد قالت أمريكا الكثير عن هذا، لكنها لا تستطيع أن تثبته؛ فأمريكا تتكلم كثيرًا، ولكنها لا تستطيع أن تثبت ما حدث في العراق أيضًا؛ فقد كذبت أمريكا عندما هاجمت العراق"(٢٢٣).

وفي عام ٢٠٠٦، حدث ما لم يخطر على بال، وهز مكانة جيمنستار، حتى إنه فقد الكثير من أتباعه. فبالرغم من أنه يعد إمامًا محدثًا، قام جيمنستار بخطوة مفاجأة واتخذ زوجة ثانية. وأصيب العديد من أتباعه وبخاصة النساء بصدمة شديدة. ونتيجة للصدمة، انسحبت الكثير من النساء من دروسه الأسبوعية وبعض البرامج الأخرى في باندونج. كما اتهمه المستمعون خلال برامج التوك شو قائلين: "لقد بعت دينك"(٢٢٤).

وهناك قانون ١٩٧٤ في إندونيسيا الخاص بالزواج والذي لا يسمح بأن يتخذ أي رجل زوجة ثانية بدون موافقة زوجته الأولى أو المحكمة. لكن يتوقف الزواج الثاني على إمكانية إثبات الزوج أن زوجته لا تحمل أو عقيمة، أو أنها لا تقوم بواجباتها كزوجة. لكن الزوجة الأولى لجيمنستار نيني موثمانيناه- التي دائمًا ما تصاحبه في مقابلاته أو حواراته التليفزيونية- هي أم لسبعة أبناء، وقد صرحت أنها ظلت تفكر في هذا الموضوع لمدة خمس سنوات حتى وافقت أن يتخذ زوجها زوجة ثانية. أما زوجة جيمنستار الثانية ألفاريني إريداني، والتي تبلغ من العمر سبعًا وثلاثين عامًا، فهي أم لثلاثة أبناء وعارضة أزياء سابقة تعمل بشركاته في باندونج(٢٢٥).

وبالرغم من اعتذاره على الملأ، قام جيمنستار بالدفاع عن موقفه قائلا: إن الإسلام يسمح بتعدد الزوجات؛ لأن طبيعة الرجل أكثر ميلا لذلك: " إن المرأة تستطيع العيش مع زوج واحد لأنها (مبرمجة) على ذلك... لكن الرجال كما تعرفون... لهم برمجة مختلفة". ويضيف جيمنستار أن تعدد الزوجات أفضل من ممارسة الجنس بدون زواج قائلاً: "ما أفعله لا يبرر أن يفعل بقية الرجال مثلي؛ فأنا لا أوصي بذلك"(٢٢٥).

هل هناك بصيص ضوء في نهاية النفق؟

يُتهم الإسلام بأنه لا يتماشي مع الحداثة والتطوير بسبب سياسات الحكومات الإسلامية مثل حكومة طالبان في أفغانستان، والمذاهب الأصولية الجامدة، ومسلك القرون الوسطى لزعماء الدين المحافظين والحركة البطيئة للتطور في بعض المجتمعات الإسلامية. وفي الحقيقة، إنه منذ القرن التاسع عشر، والمسلمون يجاهدون من أجل الإصلاح الإسلامي. واليوم، ينتقد العلماء والمفكرون والناشطون والدعاة الإسلاميون- مدعومين بالتكنولوجيا الحديثة ووسائل الاتصال العالمية- حول العالم الإسلامي- قضايا الإصلاح في تناولها لحقائق القرن الحادي والعشرين.

ومثل كافة التقاليد الدينية، يمثل الإسلام نماذج أخذت أشكالًا عديدة خلال القرون. وبينما تعد حياة محمد ﷺ والدولة المدنية نموذجًا، إلا أنه تاريخيًا لم يتفق على نموذج محدد للدولة الإسلامية. فقد تنوعت الإمبراطوريات الإسلامية ما بين سلطنات ودول حديثة. لكن يبقي القانون الإسلامي مخطط المجتمع النموذجي، مشروطًا بالسياق التاريخي والاجتماعي، والتفسيرات الإنسانية للحكام والباحثين الدينيين.

وقد تجد أحيانًا من يميلون عاطفيًا أو قانونيًا إلى الماضي، وهناك البعض الآخر الذين يسعون إلى إعادة تفسير الكتب المقدسة من أجل إعادة اكتشاف التقاليد القديمة، بل وإعادة بناء القانون والفكر الديني الإسلامي، حتى يكون أكثر تأثيرًا لحاضر ومستقبل الإسلام. وكما رأينا، فالجدال القوي يتراوح ما بين سؤال من يكون مؤهلا لتفسير الإسلام، وكيف تُفسر النصوص المقدسة من وجهة نظر التقاليد الإسلامية في مقابل تقديس التقاليد. أما القضايا الجوهرية فتتضمن حالة ودور المرأة في المجتمع الإسلامي، وطبيعة الجهاد، وأسباب التطرف الديني، وشرعية العنف والتفجيرات الانتحارية والعلاقة بين الدين والهوية والثقافة في الغرب خاصة.

هناك رغبة واسعة في الإصلاح لها دلائل واضحة عميقة الجذور. وقد وجدت منظمة جالوب العالمية للاستفتاء أن العالم يريد أن يرى إصلاحات توظف من خلال الحوار والسياق الإسلامي. فهي تكشف قواعد الفكر الإسلامي العريضة في أهمية الدين نفسه بالنسبة للهوية وتطور المستقبل، والرغبة في أن تكون حكوماتهم ومجتمعاتهم

محكومة بالمبادئ والقيم الدينية لا العلمانية، والحرص على اكتساب احترام أكبر من الغرب لدينهم وأنفسهم وبلادهم. وبينما يتمنى البعض أن يكون هناك دور للشريعة والمبادئ والقيم الدينية، إلا أنهم لا يريدون مجتمعًا دينيًّا ولا أن يروا علماء يحددون قوانين للدولة.

على عكس ما وجهه البعض من اتهام، فإن معظم المسلمين- مثلهم مثل الغرب- يهتمون كثيرًا بمخاطر التطرف الديني والإرهاب. فقد كان المسلمون هم الضحايا الرئيسيين للتطرف الديني والإرهاب، حتى إن الغالبية أدانت العنف والإرهاب بما في ذلك هجمات الحادي عشر من سبتمبر، قائلين: إنها غير إسلامية وتهدد سلامة وأمن الدولة ومواطنيها. ومع ذلك، تشعل السياسات الأمريكية والإسرائيلية الغضب والاستياء، ليس في فلسطين وحدها، بل في العالم كله. ونتيجة لذلك، اكتسبت المقاومة ضد الاحتلال والقمع الرئيسي دعمًا حتى للذين يقومون بالتفجيرات الانتحارية. وبينما يرفض غالبية المسلمين تلك العمليات الانتحارية في فلسطين، هناك بعض الباحثين والزعماء الدينيين- مثل القرضاوي- الذين دخلوا في خلاف مع المملكة العربية السعودية ومصر حول هذا الموضوع.

إن الجهاد من أجل إصلاح الإسلام، كما في المسيحية وبقية الأديان، قد اكتسب حرارة وضوءًا وجدلًا وهجومًا لاذعًا وتعايشًا وصراعًا. وكانت النتيجة هي حزمة من التفسيرات الدينية من الأغلبية المطلقة للأقلية المتطرفة المحاربة، ومن الأصوليين إلى المحدثين في المجتمعات الغربية العلمانية. لكن ماذا سيكون شكل العلاقة بين العالم الإسلامي والغرب في الفترة القادمة؟

وفي ضوء السلوك الغربي تجاه الإسلام والمسلمين والظروف في المجتمعات الإسلامية العالمية، ما هي المشكلات الأساسية والقضايا التي تظهر في علاقة العالم الإسلامي والغرب. ففي عالم يقف ضد أمريكا وفي وجود واستمرار تهديد الإرهاب، فإن الأشرار من الجانب الغربي والإسلامي- سوف يحاولون اختلاق تصادم حتمي، فهل هناك إذًا ضوء في نهاية النفق؟

اليوم، ينحصر الإسلام والمسلمين بين قوى تسعى إلى التغيير وقوى ترفضه. فالأغلبية من المسلمين المعتدلين لديهم الرغبة في تغيير ديني وسياسي واجتماعي. كما أن

العديد من مسلمي الغرب يتمتعون بحرية دينية وفكرية وسياسية كانت مصدرًا للتطور ونشر نماذج الإصلاح، ابتداءً من التفسيرات الدينية الجديدة للقرآن والتقاليد الإسلامية إلى تطبيقها على قضايا الديمقراطية ، والمساواة بين الجنسين، وحقوق الإنسان والتعددية الدينية. هذا الهدف يأتي متلازمًا مع فصاحة وأفعال الإرهابيين ونمو ظاهرة الإسلاموفوبيا ومعاداة السامية الجديدة. أما المجتمعات الغربية التي تسيء لسمعة الإسلام وتشجع على التفرقة ضد الإسلام والمسلمين بدلًا من أن تتعرف على المصادر الغنية للأغلبية المعتدلة، فهي تقلل من -بل وتهدد- تطور المجتمعات متعددة الأديان في الغرب، وتعوق الصراع ضد الإرهاب العالمي الذي يهددنا جميعًا.

* * *

الفصل الرابع

أمريكا والعالم الإسلامي: بناء طريق جديد للمستقبل

"إلى العالم الإسلامي، نحن نسعى إلى طريق جديد للأمام مبني على أساس المصالح المتبادلة والاحترام المتبادل".

الرئيس باراك أوباما من خطبة التنصيب.

بعد ثماني سنوات من إدارة بوش، رحب المسلمون كغيرهم في جميع أنحاء العالم برئاسة أوباما بكثير من التوقعات بتغير في الاتجاه، وقد أشارت خطبة تنصيب أوباما إلى بداية جديدة تنأى به عن سياسات بوش الفاشلة وعن التضحية بالمبادئ والقيم من أجل الحرب والإرهاب. وأعرب أوباما عن رغبته في أن تصبح أمريكا مرة أخرى الزعيم الأول للعالم.

"بالنسبة لدفاعنا المشترك، نرفض الاختيار بين سلامتنا ومثلنا العليا فآباؤنا المؤسسون، واجهوا مخاطر لا يمكننا تخيلها؛ لعمل ميثاق يضمن سيادة القانون وحقوق الإنسان، ميثاق ممتد بدم أجيال، وتلك المثل لازالت تضيء العالم، ونحن لن نتنازل عنها من أجل أي منفعة، ولذلك إلى كل الشعوب والحكومات التي تشاهدنا من أكبر العواصم إلى القرية الصغيرة حيثما ولد أبي، فليعلم الجميع أن أمريكا صديقة لكل أمة وكل رجل وامرأة وطفل يبحثون عن مستقبل من السلام والكرامة، ونحن على استعداد للقيادة مرة أخرى"(٢٢٦).

و شدد أوباما على ضرورة استخدام القوة الأمريكية بحكمة وخلق: "قوتنا وحدها لا تستطيع أن تحمينا ولا تعطينا الحق في التصرف كما يحلو لنا، الأمن ينبع من عدالة قضيتنا، وقوة مثلنا، والتواضع وضبط النفس"، وأخيرًا دعا أوباما إلى إعادة التراث الامريكي: "نحن حماة هذا التراث، واسترشادًا بهذه المبادئ مرة أخرى، نستطيع أن نواجه تلك التهديدات الجديدة التي تتطلب منا جهدًا أكبر من ذلك، والمزيد من التعاون والتفاهم بين الأمم".

الحلقة المفقودة:

ويميل واضعو السياسات إلى الاعتماد على آراء الخبراء، وكذلك حلفائهم والحكام المسلمين والنخبة المحصنة. ومع ذلك، فإن السؤال الحاسم في صياغة السياسة يجب أن

يكون: "بماذا يفكر المسلمون على الصعيد العالمي، وخاصة الغالبية العظمى من التيار الرئيسي؟". لرسم طريق جديد إلى الأمام، نحن لسنا بحاجة لمعرفة ما يقوله الآخرون حول معتقدات المسلمين ومظالمهم وآمالهم ومخاوفهم ورغباتهم، وإنما ماذا تقول الغالبية الصامتة.

والسؤال الذي يطرح مرارًا وتكرارًا على مر السنين هو: "لماذا يكرهوننا؟". وكان الجواب الشائع: "إنهم يكرهون أسلوب حياتنا، لدينا حرية وديمقراطية ونجاح، في حين لا يزال العديد يعتقدون أن العداء لأمريكا يرتبط باختلافات دينية وثقافية لا يمكن التغلب عليها، وتنتقص الحقائق من هذا الرد البسيط والمرضي للنفس.

ربما يكره الإرهابيون أمريكا (وبعض الدول الأوروبية)، ولكن بقية العالم لا يكرهنا ولا نستطيع التمييز بين كراهية المتطرفين والقاعدة العريضة من مناهضي الولايات المتحدة من بين الذين يعجبون بإنجازاتنا ومبادئنا وقيمنا، ولكن يستنكرون ما يرون من غطرسة الولايات المتحدة، ومكائدها. يريد الإرهابيون قتلنا ولكن معظم المسلمين يريدون منا أن نتوقف عن جعل العالم مكانًا أكثر خطورة. استطلاعات الرأي حول المعتقدات والمواقف من شريحة من المسلمين في أنحاء العالم يعطينا مقياسًا جيدًا لإعجابهم وكذلك استيائهم، والتي بسبب عدم الاهتمام بها، لديها القدرة على زيادة التطرف. إن مستقبل الإسلام يعتمد على تجاوز ما لدينا من نماذج سهلة وفاشلة مثل: "إنهم يكرهون أسلوب حياتنا" التي تختصر العلاقة بين العالم والغرب إلى "صدام" حتمي بين الحضارات، والقيم، أو المصالح.

وقد أظهرت استطلاعات جالوب العالمية من ٢٠٠١ حتى ٢٠٠٩ أن طريقتنا الغربية في الحياة ليست مصدرًا للكراهية في العالم الإسلامي. كل أوروبي وأمريكي يعرف أن الغرب ليس قالبًا واحدًا، وكذلك العالم الإسلامي ليس عبارة عن نموذج واحد، فيميز المسلمون بين أمريكا وأوروبا وبين دول أوروبية بعينها اعتمادًا على سياساتها، وليس ثقافتها أو ديانتها. خلال السنوات المحورية في تدهور العلاقات بين الولايات المتحدة والمسلمين، فرق المسلمون في العالم بشكل واضح بين أمريكا وبريطانيا، في ظل إدارات كل من بوش وبلير، وبلدان أوروبية أخرى، كانت النظرة إلى الولايات المتحدة وإنجلترا سلبية، في حين أن النظرة إلى فرنسا وألمانيا كانت محايدة إلى الإيجابية. فمثلا، ٧٤ ٪ من المصريين كانت لديهم وجهات نظر سلبية عن الولايات المتحدة ، و٦٩ ٪ قالوا الشيء

نفسه عن بريطانيا، و ٢١٪ فقط لهم آراء سلبية ضد فرنسا و ٢٩٪ ضد ألمانيا. وفي جميع البلدان الإسلامية الذين شملهم الاستطلاع، بمتوسط ٧٥٪ من المشاركين اقترنت كلمة "لا ترحم" مع الولايات المتحدة و ١٣٪ فقط بالنسبة لفرنسا و ١٣٪ بالنسبة لألمانيا(٢٢٧).

وتظهر أهمية السياسة الخارجية بشكل صارخ عندما نقارن وجهات نظر المسلمين تجاه الولايات المتحدة مع وجهات نظر المسلمين تجاه كندا (أمريكا دون سياستها الخارجية). ٦٦٪ من الكويتيين لديهم آراء سلبية عن الولايات المتحدة، ولكن فقط ٣٪ ينظرون إلى كندا بشكل سلبي. وكذلك ٦٤٪ من الماليزيين يقولون: إن الولايات المتحدة "عدوانية"، بينما هناك واحد فقط من أصل عشرة يقرنون هذة الصفة بفرنسا وألمانيا(٢٢٨).

و تؤكد ردود الأفعال على الغزو الامريكي البريطاني للعراق على تأثير السياسة في مواقف المسلمين تجاه الغرب. فعندما سئل الناس في العشر دول الإسلامية الأولى من حيث التأثير: كيف ينظرون إلى عدد من الدول، كانت الصفات التي تنسب إلى الولايات المتحدة هي: متقدمة من الناحية العلمية والتكنولوجية (٦٨٪)، عدوانية(٦٦٪)، مغرورة (٦٥٪)، فيها انحلال أخلاقي ٦٤٪(٢٢٩). أماالأغلبية في معظم البلدان الذين سئلوا عن غزو العراق، المسلمون من الرجال والنساء على حد سواء، فيعتقدون أن الغزو قد تسبب في ضرر كبير أكثر من المنفعة. فالمسلمون لم يروا الصراع كما هو مع الغرب أو مع الحضارة الغربية ككل، بل مع السياسات الخارجية للقوى الغربية(٢٣٠).

بينما يظهر الإعجاب بالمبادئ الديمقراطية الأمريكية وقيمها، لا ترى تلك القيم مطبقة في التعامل مع المسلمين. هذه الفجوة بين سياسة الولايات المتحدة الأمريكية ومبادئها أدت إلى اتهام الولايات المتحدة بأنها تنتهج سياسة الكيل بمكيالين في الترويج للديمقراطية وحقوق الإنسان. وتعتقد نسب واضحة من المسلمين أن الولايات المتحدة ليست جادة بشأن الديمقراطية في المنطقة. ومن المفارقات أن هذا الرأي واضح بصورة خاصة في البلدان التي ينظر إليها باعتبارها من الدول الحليفة لأمريكا، وحيث يكون تعزيز الديمقراطية الأعلى صوتا، مثل مصر؛ حيث شك ٦٣٪ في الوعود الأمريكية لدعم الديمقراطية، وفي باكستان ٥٥٪ لديهم الرأي نفسه(٢٣١).

هل هناك مستقبل للديمقراطية في العالم الإسلامي؟:

لا يتطلب الأمر قدرًا كبيرًا من المعرفة بالتاريخ السياسي للعرب أو للمسلمين لنعلم أن العديد من البلدان الإسلامية اليوم ليست ديمقراطية. تعتمد الأنظمة الاستبدادية على قواتها العسكرية والأمنية بدلًا من صناديق الاقتراع لضمان استمرار حكمها، مما يحد من حرية التعبير، والصحافة، والإعلام، والتجمع. ويتبنى الكثيرون ثقافة وقيمًا سلطوية. وتتطلب الأحزاب السياسية والنقابات والجمعيات المهنية موافقة الحكومة، وربما تحكمها القوانين وتكبتها أو تغلقها ببساطة. وتسيطر الحكومات على التعليم والمؤسسات الدينية، من مناهج دراسية وفرص للعمل إلى الخطب والمواعظ، وقد تؤدي المعارضة إلى السجن والاعتقال والتعذيب.

هل هذا النقص في تقاسم السلطة الحقيقية يعني أن الديمقراطية غير موجودة في العالم الإسلامي، أو تتعارض مع الإسلام؟ في الواقع، لقد ذاق المسلمون في جميع أنحاء العالم- الديمقراطيات المختلفة في أشكال مختلفة، وغالبا ما تكون محدودة. كانت تقام الانتخابات في السنوات الأخيرة بحذر، وأحيانًا على مضض من قبل بعض الحكومات، بينما يشير عامة المسلمين بوضوح إلى رغبتهم في المزيد من المشاركة السياسية والمساءلة الحكومية. لقد انتخبت تركيا والعراق وبنغلاديش والسنغال وماليزيا وباكستان حكوماتها بشكل ديمقراطي، بينما لدى بلدان أخرى ناخبون أكثر تحديدًا أو "موجهون" من قبل الحكومة. إيران لديها انتخابات على المستوى المحلي والقومي على الرغم من أن كبار الزعماء الدينيين لديهم التأثير ويمكن منع المرشحين. وفي السنوات الأخيرة، أدخلت الانتخابات في دول أخرى مثل الأردن والبحرين، والكويت وقطر والمملكة العربية السعودية، على الرغم من أن الدليل العملي أثبت أن الحكام لا يزالون يستأثرون بالجزء الأكبر من السلطة.

وطغت ثورة هادئة على صراخ وتهديدات المتطرفين وتحذيرات من الأنظمة الاستبدادية حدثت بعض تقسيمات السلطة. وكما ناقشنا في الفصل الثاني، نجد اليوم أمثلة على وجود العديد من المرشحين لهم توجه إسلامي والأحزاب المشاركة في الانتخابات والذين يعملون في الحكومة على المستويات المحلية والإقليمية والوطنية يخدمون في البرلمانات والوزارات ومنصب رئيس الوزراء، ومثل غيرهم من السياسيين، تعلموا من تجاربهم عن واقع الحكم. وعلى الرغم من أن العديد من مؤسسيها الرئيسين كانوا أعضاء

سابقين في حزب (الرفاه) الإسلامي، على سبيل المثال فإن حزب العدالة والتنمية في تركيا مفتوح الآن ومتنوع ومتعدد، وشامل، فهو ملتزم بمزيج من القومية التركية، والثقافة، والعلمانية.

ماذا يريد المسلمون؟ أعداد كبيرة من المسلمين في جميع أنحاء العالم غير راضين عن الوضع الراهن ويريدون بشدة مزيدًا من الديمقراطية. عندما سئلوا عما يعجبهم في الغرب، كان من بين ردود الفعل الأعلى سواء للتيار الغالب (الذين اعتقدوا أن هجمات ١١ / ٩ لم تكن مبررة) ، أو المتطرفين السياسيين (أولئك الذين قد لا تكون طبيعتهم عنيفة لكنهم يعتقدون أن هجمات ١١/٩ كانت مبررة) كان حكم الغرب للقانون، والنظم السياسية العادلة والديمقراطية واحترام حقوق الإنسان وحرية التعبير، والمساواة بين الجنسين. وقالت الأغلبية من المسلمين، وأكثر من ٩٠ في المئة من مصر وإيران: إنه إذا وضع دستور لدولة جديدة سيشمل "حرية التعبير" كضمان أساسي. وأشير أيضا لحرية التجمع والدين لأهميتها(٢٣٢).

والإعجاب بالقيم الديمقراطية الغربية لا يترجم بأي حال من الأحوال إلى دعم نموذج الحكومة العلماني الغربي. فمعظم المسلمين يعتقدون أن دينهم وقيمهم ضرورية لتقدمهم، في حين أن بعض الإصلاحيين استبعدوا العلاقة بين الدين والدولة، ويدافعون عن الدولة العلمانية، وأعربت غالبية المسلمين عن رغبة في تطبيق الشريعة، كأساس للقيم الدينية، باعتبارها مصدرًا للقانون. وعلى الرغم من التصورات لما تمثله الشريعة والدرجة التي كان من الممكن أن تصل لها في تنفيذ أحكامها في المجتمع تختلف اختلافًا كبيرًا، فالغالبية تريد أن تتعايش المبادئ الديمقراطية والقيم الدينية في حكومتهم جنبًا إلى جنب، وبذلك نرى دورًا للمبادئ الدينية في صياغة تشريعات الدولة.

لكن الغالبية لا تريد الشريعة كمصدر للقانون، ولا يريدون دولة ثيوقراطية (دولة يحكمها رجال الدين). ويقول أغلبية كبيرة في العديد من البلدان: إن الزعماء الدينيين لا يجب أن يلعبوا أي دور مباشر في صياغة دستور البلاد، وكتابة التشريعات الوطنية، وصياغة قوانين جديدة، وتحديد السياسة الخارجية والعلاقات الدولية، أو تحديد كيف يمكن للمرأة أن تلبس في الأماكن العامة، أو ما ينبغي أن يعرض في التلفزيون أو ينشر في الصحف(٢٣٣). لذا فإن كثيرًا من المسلمين لا يبغون بلدًا غربية علمانية ولا دولة دينية

واحدة، ولكن بدلا من ذلك دولة تجمع بين القيم الدينية بمشاركة سياسية أوسع نطاقًا، وحريات أكثر، وسيادة أعلى للقانون.

هل رفض الدولة العلمانية على النمط الغربي ينطوي على ازدواجية تجاه العلاقات مع الغرب؟ إن من بين مشاعر المسلمين عمومًا التي أعربوا عنها في مجتمعاتهم أنها "حريصة على إقامة علاقات أفضل مع الغرب".

والرغبة في تحسين العلاقات يتضمن رغبة قوية في تكنولوجيا غربية، وخاصة أمريكية وكذلك مساعدات اقتصادية. ومثل معظم الناس في جميع أنحاء العالم، طلب من المسلمين أن يصفوا أحلامهم بالنسبة للمستقبل، فكانت وظائف أفضل، وزيادة الازدهار الاقتصادي والرخاء، ومستقبلا لأطفالهم. وفي الوقت نفسه، الديمقراطية هي من بين العوامل التي تكررت باعتبارها ضرورة من أجل مجتمع أكثر عدالة.

الأحزاب الإسلامية هي جزء لا يتجزأ من المجتمع ولن ينتهي أبدًا. ينبغي أن يشمل تعزيز الديمقراطية مبادرات للأحزاب الإسلامية المعتدلة التي تبنت مبادئ الديمقراطية والمشاركة في الانتخابات.

فهم بمثابة حصن منيع ضد المتطرفين كما تساهم في إرساء قواعد الديمقراطية في المنطقة. إن المشاركة تقوي التيارات الأكثر اعتدالًا خلال تلك الحركات. وبينما أصبحت الرغبة في إرساء الديمقراطية في بلدان إسلامية كثيرة قوية المطلب الشعبي لتوسيع نطاق السلطة، لا يزال يشكل تحديًا بالنسبة للأطراف من كل جانب. كذلك فإن الإسلام والديمقراطية يمكن وصفهما بأنهما تحت الحصار في المستقبل القريب لعدد من الأسباب:
١- الميليشيات وكذلك بعض المسلمين المحافظين يرفضون الديمقراطية؛ لأنها تتنافى مع الإسلام وتقاليده. فهم يعتبرون الديمقراطية مؤسسة غربية تسعى إلى تقسيم المجتمع الإسلامي، والتي تتعارض قيمها (السيادة الشعبية والحقوق الفردية والحريات) مع القيم الإسلامية، وتشكل تهديدًا للمجتمع.

في ضوء الأمثلة من إيران والسودان، وحركة طالبان، وجداول أعمال الجماعات المتطرفة والحركات الإسلامية التي شاركت أو ترغب في المشاركة في السياسات الانتخابية- ستظل في تحدٍّ لإثبات أنه عندما يتم انتخابها، سوف تحترم حقوق الأقليات والجماعات المعارضة التي يطالبون بها لأنفسهم. ويجب أن نعترف بأن التسلط الديني مرفوض وشديد الخطورة مثله مثل النماذج العلمانية للتسلط.

٢- الأنظمة الإسلامية الآن تستخدم شبح الإرهاب العالمي، كما فعلوا مع خطر الشيوعية خلال الحرب الباردة، وتسعى إلى الحصول على دعم من الغرب والتماس العذر للأسلوب السلطوي أو الفاتر للتحرر السياسي. وكانت مصداقية الإصلاحات الانتخابية المصرية والتي قوضت بدرجة كبيرة لنزوع حكومة مبارك في الانتخابات الوطنية لاعتقال وحبس منتقديها، العلمانيين والمتدينين. وانهار الاستفتاء على الانتخابات متعددة الأحزاب عندما استخدمت المحاكم العسكرية للتحايل على القرارات في مصر، وسمح للغوغاء الموالية للحكومة بمهاجمة المتظاهرين بعنف في شوارع القاهرة. كما ذكرت منظمة (هيومان رايتس ووتش)، وضرب رجال الأمن المرتَدِين ملابس مدنية المتظاهرين، كما سمحت شرطة مكافحة الشغب، وشجعت في بعض الأحيان حشودًا من أنصار الرئيس مبارك- الضرب والاعتداء الجنسي على المتظاهرين والصحفيين[٢٣٤]" وبالمثل، فقد أفسدت الإصلاحات المحتملة في المملكة العربية السعودية وأثرها والانتخابات المحدودة- من خلال سلسلة من القمع والسجن ومضايقة الشيعيين وكذلك العاملين في المسيحية.

٣- الحكومات الغربية، مدفوعة بالمصلحة الذاتية (الحصول على النفط والمواقع الإستراتيجية) تزيد من تفاقم المشكلة من خلال الاستمرار في دعم وإدامة الأنظمة السلطوية الودية. يجب تحفيز الحكومات في العالم الإسلامي، ولا سيما المستبدين منهم، لإثبات التزامهم بالتحرر السياسي، والمجتمع المدني، وحقوق الإنسان من خلال تنمية تلك المؤسسات المدنية والقيم التي تدعم الديمقراطية، فالسياسات يجب أن تميز بين المنظمات العلمانية أو الإسلامية، والحرية والاستقرار للمجتمع والذين على استعداد للمشاركة في عملية التغيير التدريجي من داخل النظام.

تحتاج الحكومة الغربية التي تدافع عن حق تقرير المصير والديمقراطية إلى شرح سياساتها، فضلا عن التصريحات التي كانت تحترم حق الحركات والأحزاب السياسية والدينية والعلمانية، للمشاركة في العملية السياسية وتعزيز الديمقراطية من خلال إجراءات ليس مجرد كلمات، ويمكن التغلب على "الاستثناء الديمقراطي" الذي أوضحه ريتشارد هاس. ويتجلى النفاق الغربي في عدم الاستجابة لتخريب العملية الانتخابية في الجزائر وتونس وانتخابات مشرف في باكستان، وفي محاولة "لإدارة" عملية التحول

الديمقراطي في العراق ما بعد صدام، ورفض الاعتراف بحكومة حماس المنتخبة ديمقراطيًا في فلسطين، ويجب تجنب إذا كان الغرب وأمريكا على وجه الخصوص، يتجنبن تهمة العمل على معايير مزدوجة بشكل واضح. والاحترام والتأييد للعملية الديمقراطية وحقوق الإنسان يجب أن ينظر إليهما على أنهما عالميان حقًا.

غالبًا ما يتم تشويه وجهات النظر وسياسات الخبراء وصانعي السياسات من قبل الأصولية العلمانية، وهي وجهة نظر لمبادئ عالمية تعتبر قواعدها واضحة بذاتها أو مسلمات. إن المفاهيم الحديثة للدين باعتبارها نظامًا للاعتقاد في حياة الفرد والفصل الصارم بين الكنيسة والدولة أصبح مقبولًا جدا، وأنها أصبحت حقيقة مطلقة جديدة، بل ودعامة ضرورية للديمقراطية، والتي تتطلب أيضًا بعض الفصل بين الدين والسياسة. أولئك الذين يعتبون أنهم غير طبيعيين (خارجين عن القاعدة)، غير عقلانيين وخطرين والمتطرفون وأحيانًا يلقبون بالمتعصبين الدينيين. وما فقد في المناقشة هو حقيقة أن علاقة الدين بالدولة تختلف في الديمقراطيات العلمانية الغربية.

لم يتم العثور على ما يسمى بالجدار الفاصل بين الكنيسة والدولة في العديد من البلدان الأوروبية. فالمملكة المتحدة، وكذلك النرويج والسويد والدنمارك- لديهم أديان للدولة. في البلدان مثل بريطانيا وألمانيا والنرويج، وغيرها- تمول الدولة مجموعة متنوعة من الأنشطة الدينية، بما في ذلك المدارس ورواتب الوزراء والكهنة.

عندما يسمع العديد من المسئولين الحكوميين، والعلمانيين والمحللين والصحافيين الغربيين أن المسلمين يتحدثون عن دور الدين في السياسة والمجتمع فيسمون هؤلاء المسلمين بأنهم أصوليون، وينطوي ذلك على جمودهم ووقوفهم ضد الحداثة، وتعصبهم ضد الذين يريدون فقط إقامة دولة إسلامية. ويستخدم هذا الموقف ويعزز من قبل بعض الحكومات والنخبة السلطوية العلمانية في العالم الإسلامي، وليس فقط بسبب قلقهم على الأمن والاستقرار، ولكن أيضًا بسبب الانتخابات المفتوحة والبدائل السياسية، بما فيها الأحزاب الإسلامية، والتي تهدد سلطتهم والامتياز الذي يتمتعون به. وقد أثرت هذه المخاوف على بعض المفكرين العقلانيين والليبراليين؛ لأنها لا تميز بين الحركة الإسلامية المتطرفة والتيار السائد من المسلمين الذين يؤمنون بأن الديمقراطية متوافقة مع المبادئ الدينية والقيم.

وفي الوقت ذاته، يظل من المهم أن نتذكر أن المشاركة السياسية الواسعة في

الانتخابات والدور الأكبر للأحزاب السياسية في حد ذاتها يضمن تنمية الثقافة والقيم لتقاسم السلطة. الديمقراطيون المسلمون في العديد من البلدان في حاجة إلى إثبات أنهم عندما يكونون في السلطة سيقومون بتزكية التعددية، فطموحهم ليس الوصول إلى السلطة بشكل ديمقراطي من أجل حكومتهم المستنيرة الجديدة. وسيكون الاختبار الحقيقي لإدخال مبادئ وقيم الديمقراطية قياسًا لمدى ما تعكسه سياساتها وإجراءاتها من قبول للحريات الأساسية والتنوع في الرأي الذي يظهر في منظمات مستقلة للمجتمع السياسي والمدني. وهل بإمكانهم إظهار التقدير لمفهوم "المعارضة الموالية"، أو أنها سوف ترى فقط أصوات ورؤى سياسية باعتبارها تهديدًا للنظام السياسي؟

ننسى أن الديمقراطية عملية شاردة ومحتملة الخطر، فالتجربة الغربية كانت عملية مبنية على أساس التجربة والخطأ، مصحوبة بحروب أهلية وصراعات ثقافية ودينية. أما الديمقراطية الأمريكية فكانت نتاجًا لثورة مسلحة وحرب أهلية أكثر دموية، ومضى قرنان من الزمان حتى تحققت المساواة في الحقوق للنساء والمواطنين الأمريكيين من الأصل الأفريقي. ولذلك، في الشرق الأوسط، المجتمعات التي تحاول إعادة تقييم وتعريف طبيعة الحكومة والمشاركة السياسية وكذلك دور الهوية والقيم الدينية - ستخضع في أغلب الأحوال إلى عملية المحاولة والخطأ، والذي سيكون فيها الثمن هو المخاطرة على المدى القريب من أجل الأرباح الممكنة على المدى البعيد. ومن الممكن أن تتمكن الحكومات الاستبدادية من إخراج عملية التغيير عن مسارها أو إخمادها، ولكنهم على أي حال يؤجلون ما هو محقق.

ماذا عن حقوق المرأة في الإسلام؟:

تتواصل بعض القضايا بشكل أكبر من المناقشة والنزاع حول وضع المرأة ودورها في المجتمع المسلم. في مشهد من الفيلم الأمريكي بيبي بوم، عن امرأة قوية وأم معيلة، تجري البطلة مقابلات مع المربيات لطفلتها الصغيرة. واحدة من المربيات ترتدي حجابًا أسود طويلا، وتتحدث بلهجة عربية غليظة.

تعزز مؤهلاتها الخاصة من خلال التشديد على: "أنا سوف أربي ابنتك على احترام صحيح للرجل، وأنا أتكلم فقط عندما يتحدث إلى أحد، ولست بحاجة لسرير؛... أنا أفضل النوم على الأرض". ومما يعزز هذه الصورة النمطية في الأخبار وما تصوره غالبًا

للنساء المسلمات من الصمت والخضوع، والارتباط بالمنزل في حين أن الرجال يحتكرون الأدوار الفعالة في المجتمع[٢٣٤]. ويشير مسح لجميع الصور الفوتوغرافية للمسلمين في الصحافة الأمريكية إلى أن حوالي ثلاثة أرباع (٧٣ ٪) من النساء مقابل حوالي خمس (١٥ ٪) من الرجال يظهرون في أدوار سلبية. وفي الصور الفوتوغرافية الأمريكية في الشرق الأوسط، كانت تظهر النساء خمس مرات (٤٢ ٪) في صورة ضحايا أكثر من الرجال (٧٪)[٢٣٥].

هذا النوع من التغطية الإعلامية، بالإضافة إلى غيرها من الصور المتناقضة- لها تأثير قوي على المواقف الغربية. إذا كان كثير من المسلمين يحاولون مواجهة الصور السلبية من خلال التأكيد على أن الإسلام في الواقع يحرر المرأة، والبعض الآخر في البلدان المسلمة، فضلا عن الغرب، شجب قمع المرأة باسم الإسلام. لذلك ليس من المستغرب أن النساء الأمريكيات عندما يتم طرح السؤال المفتوح: "ما أقل شيء يعجبك في المسلم أو العالم الإسلامي؟" كان من بين الردود: "عدم المساواة بين الجنسين"، المرتبطة بالحجاب، وفصل الإناث، والأمية، وقلة الحيلة[٢٣٦].

واقع المرأة في العالمين العربي والإسلامي يقدم صورة أكثر تعقيدًا للأفراد في مختلف الأوضاع والسياقات الاجتماعية المختلفة. ويخضع العديد ظلمًا لقوات قوية من النظام الأبوي والديني، ولكن العديد من الآخرين يتمتعون بكثير من القوة والاحترام في ثقافتهم بغض النظر عن القوالب النمطية التي قد تؤدي بنا إلى الاعتقاد في ذلك. واليوم، وضع ودور المرأة يختلف اختلافًا كبيرًا، ويؤثر إلى حد كبير على محو الأمية، والتعليم، والتنمية الاقتصادية، مثله مثل الدين.

يرتدي بعض النساء زيًا إسلاميًا أنيقًا، وبعضهم محجبات، وغيرهم يرتدون الأزياء الغربية، بينما في بعض البلدان التي يقوم فيها الفصل بين الجنسين تكون المرأة المسلمة المتعلمة غير مرئية في مكان العمل، وفي بلدان أخرى الكثير من النساء يعملن مهندسات وأطباء ومعلمات ومحاميات إلى جانب زملائهن الرجال. لقد أصبح الحجاب رمزًا يحمل معنى خاصًا، وحتى ارتداء الحجاب يحمل معاني مختلفة لمرتديها والمراقبين لهن. فالمسلم العصري ليس بالضرورة من يرتدي الملابس الغربية، وليست المرأة المحجبة مقهورة بالضرورة.

ويتضح تعقيد وضع المرأة في العديد من التناقضات الخاصة بكل بلد؛ فقد تمكنت المرأة في مصر اليوم من الوصول إلى أفضل تعليم وشغل مناصب مهنية مسئولة في كل

القطاعات تقريبًا. وحتى الآن، مثل المرأة في المجتمعات المسلمة الأخرى، فإنها تحتاج إلى إذن أحد أفراد الأسرة من الذكور للسفر. في حين أن النساء لا يستطيعين التصويت في المملكة العربية السعودية وأفغانستان، ولكن تقريبًا في أي بلد مسلم آخر ، فإنها تستطيع التصويت والترشح للمناصب السياسية، والعمل في البرلمانات ورئاسة الدولة أو نائب للرئيس في إيران وباكستان وتركيا وبنغلاديش. المرأة السعودية تملك ٧٠ ٪من المدخرات في البنوك السعودية وتملك ٦١ ٪من الشركات الخاصة في المملكة، وتملك الكثير من العقارات في الرياض وجدَّة، ويمكن أن تملك وتدير مشاريعها الخاصة، لكنها معزولة عن الرجال ويقتصر عملها على المهن "المناسبة"، ويحظر عليها قيادة السيارة. وحتى في العصر الحديث كان لا يمكن للمرأة في مصر العمل بالقضاء حتى مؤخرًا، ولكن القضاة في المغرب أكثر من ٢٠ ٪ من النساء. في أفغانستان وبعض مناطق باكستان وطالبان - وذلك باسم الإسلام - أجبرت المرأة العاملة على التخلي عن وظيفتها، ومنعت الفتيات من الذهاب إلى المدرسة. أما في إيران حيث تغطي النساء شعورهن وترتدي ملابس طويلة الأكمام وتصل إلى الكاحل في الخارج، فيشغلن مناصب مهنية ويعملن في البرلمان. لقد أصبحت المرأة نائب رئيس في هذه الجمهورية الإسلامية.

في بعض أجزاء العالم، يعكس التعليم الأساسي ومحو الأمية للمرأة تفاوتًا خطيرًا: ففي اليمن، نسبة المرأة المتعلمة ليست سوى ٢٨ ٪ مقابل ٧٠ ٪ بالنسبة للرجال، وفي باكستان ، ٢٨ ٪ مقابل ٥٣ ٪ للرجال. والنسب المئوية للنساء في التعليم الجامعي منخفضة حيث تصل إلى ٨ ٪ و١٣ ٪ في المغرب، وباكستان، على التوالي (مقارنة بـ ٣،٧٪ في البرازيل، أو ١١ ٪في الجمهورية التشيكية)[٢٣٧].

لكن هذه الأرقام لا تمثل العالم الإسلامي كله، ومعدلات معرفة القراءة والكتابة للمرأة هي ٧٠ ٪ في إيران والمملكة العربية السعودية، وتصل إلى ٨٥ ٪ في الأردن وماليزيا. ونسب التعليم الجامعي كبيرة من النساء في إيران (٥٢ ٪) ومصر (٣٤ ٪) ، والمملكة العربية السعودية (٣٢ ٪) ولبنان (٣٧ ٪). وفي دولة الإمارات العربية المتحدة ، كما في إيران ، فإن الغالبية من الطلاب الجامعيين هم من النساء.

لكن لا ينبغي لأي من هذه الأمثلة أن تجعل أي شخص راضيًا عن حالة العديد من النساء في المجتمعات الإسلامية (أو الغربية). إن النظام الأبوي الموروث الذي استمد شرعيته من الدين، لا يزال حيًّا على الرغم من تزايد تحديه أيضا باسم الدين.

واليوم، تتزعم المرأة المسلمة بشكل متزايد معركتها من أجل المساواة في مجتمعها، كما لاحظت مؤسسة منظمة (أخوات في الإسلام) بماليزيا، زينة أنور:

"لفترة طويلة جدًّا، كان يقال للنساء المسلمات اللاتي طالبن بالإصلاح للقوانين والممارسات التمييزية: "هذه هي شريعة الله" وليست مفتوحة للتفاوض والتغيير، ومن الواضح أن المشكلة ليست مع الإسلام، وإنما مع الموقف الذي يتخذه الرجال في السلطة من أجل الحفاظ على امتيازهم. وبطبيعة الحال، فإن الطريقة الأسهل والأكثر فعالية لحماية هذا الموقف هو إضفاء قدسية إلهية من إرادة الله، فالجمع بين القوانين والممارسات السلطوية مع الإسلام- ليس أكثر من لعبة سلطوية تكتيكية"(٢٣٨).

كانت زينة أنور منظمة لحركة عالمية جديدة من أجل "المساواة والعدالة في الأسرة المسلمة" التي أطلقت في فبراير ٢٠٠٩. تجمع مائتين وخمسين من الناشطين والعلماء من سبعة وأربعين بلدًا في كوالالمبور لخلق "المساواة"، مهمتها: "كسر القبضة الخانقة الأبوية التي تمنع المرأة المسلمة من التمتع بحقوق متساوية، في وقت كانت فيه الديمقراطية وحقوق الإنسان وحقوق المرأة- تشكل النموذج الأخلاقي الحديث في عالم اليوم. إن حركة الإصلاح الغريبة نسبيًا للتقاليد الإسلامية- تكيفت فيها قوانين الأسرة مع المعايير الاجتماعية في ذلك الوقت، وهذه المرة، فإن الحملة الرائدة في مجال التغيير ستكون على يد المدافعات عن حقوق المراة من المسلمين، والعمل مع علماء الدين الإسلامي المتطورين"(٢٣٩).

ربما تباطأت التغييرات الاجتماعية والثقافية التي تحدث في كثير من هذه البلدان؛ لأن المسلمين فيها يرون أنفسهم مهمشين وغرباء ومتخلفين عن الغرب الذي يتمتع بالسلطة والتنمية. وخلال الماضي المجيد من التاريخ الإسلامي، كان المسلمون "مسئولين"، ويمكن أن يقترضوا بثقة من الثقافات الأخرى. والاستيعاب اليوم كثيرًا ما ينظر إليه على أنه تهديد للهويات والقيم الإسلامية مما يكثف خطر الاختراق الثقافي والديني الغربي، بل ويؤدي إلى الاعتماد أكثر على الغرب.

المرأة هي مركز للحروب الدينية والثقافية المستعرة في العديد من البلدان الإسلامية اليوم؛ حيث ينظر إليها على أنها "حاملة الثقافة" و"حافظة القيم والتقاليد العائلية"، و"آخر معقل" ضد الاختراق الثقافي الغربي والهيمنة، ارتداء الحجاب ليس فقط علامة

على التواضع ولكن أيضًا رمزًا للدفاع عن الإسلام. الزعماء الدينيون والنشطاء يَدَّعُون أن أخطر تهديد من الغرب ليس سياسيًّا أو عسكريًّا أو اقتصاديًّا، وإنما "التغريب" (نسبة إلى الغرب). وينظر إلى المرأة على أنها صاحبة الدور المحوري في الحفاظ على الأسرة، وبالتالي على الهوية الإسلامية للمجتمعات.

وقد اعتبر الحجاب رمزًا سلبيًّا قويًّا من قبل الحكومات العلمانية مثل تركيا وفرنسا التي حظرت الحجاب؛ بدعوى أنه ينتهك الدولة العلمانية. وقد استخدمت الأنظمة الإسلامية في إيران، وطالبان في أفغانستان، والسودان- الحجاب الإلزامي لإثبات وثائق تفويضها الإسلامي.

وسيظل الزي الإسلامي في القرن ٢١ يحتل دورًا ، ولكن كرمز جديد تمامًا. واستخدمه الشباب والنساء والمتعلمون من الطبقة الوسطى للإشارة إلى تمكين المرأة والتحرر من المؤسسة الدينية التي يهيمن عليها الذكور في المجتمع. ولباسهم الإسلامي الحديث والمعاصر على حد سواء واضح بأنماط وصيحات جديدة تختلف عن اللباس الغربي، وتمثل مصدرًا للاحتجاج، والتحرر. وللباس معانٍ متعددة؛ فهو يؤكد وجود الأخلاق العامة الجديدة ذات الجذور الإسلامية بدلًا من القيم الغربية، ويحظى باحترام من الرجال، ويشجعهم على عدم التركيز على الانجذاب الحسي والتعامل مع النساء بصفتهم أفرادًا ومهنيين بدلًا من كونهم كائنات جنسية، ونقل الفخر الوطني ضد الهيمنة الثقافية الغربية، وكذلك مقاومة الأنظمة الاستبدادية.

ما رأي الرجال والنساء المسلمين في حقوق المرأة؟:

الفجوة بين التصور الأمريكي والإسلامي فيما يتعلق بحقوق المرأة يتوازى كثيرًا مع سوء الفهم الموجود في العالم الغربي اليوم. وقد ظهر بوضوح سوء فهم من الجانب الغربي حول المواقف الإسلامية في استطلاع جالوب فاختلف الذين شملهم الاستطلاع بأغلبية كبيرة (٧٢ ٪) من الأمريكيين مع مقولة "غالبية أولئك الذين يعيشون في البلدان الإسلامية يعتقدون أن الرجال والنساء يجب أن يتمتعوا بحقوق متساوية".

في الواقع، على كل حال، فإن الأغلبية في بعض المجتمعات الإسلامية الأكثر تحفظًا تدعم بالفعل المساواة في الحقوق. في تناقض حاد مع صورتهم الشعبية المنقادة بصمت، والمرأة المشروطة اجتماعيًّا بقبولها أن تكون الدرجة الثانية، وعلاقات المرأة المسلمة في كل

بلد تقريبًا شملهم الاستطلاع، يقولون: إن النساء ينبغي أن يكون لهم الحقوق التي يتمتع بها الرجال في التصويت من دون تأثير من أفراد الأسرة، للعمل في أي وظيفة مؤهلين لها، وتخدم في أعلى مستويات الحكومة. في الواقع، الأغلبية من الرجال والنساء في عشرات البلدان في جميع أنحاء العالم يعتقدون أن العالم يجب أن يحظى بـ:

- الحقوق القانونية نفسها التي يتمتع بها الرجل (٦١ ٪ من السعوديين و٨٥ ٪ من الإيرانيين، و٩٠ ٪ في إندونيسيا وتركيا وبنغلاديش، ولبنان).
- الحق في العمل خارج المنزل في أي وظيفة تكون مؤهلة لها (٩٠ ٪ في ماليزيا، و٨٦ ٪ في تركيا، و٨٥ ٪ في مصر، و٦٩ ٪ في المملكة العربية السعودية).
- الحق في التصويت دون أي تدخل من أفراد الأسرة في (٨٠ ٪ في إندونيسيا، و٨٩٪ في إيران، و٦٧ ٪ في باكستان، و٩٠ ٪ في بنغلاديش، و٧٦ ٪ في الأردن، و٩٣ ٪ في تركيا، و٥٦ ٪ في المملكة العربية السعودية)[٢٤٠].

وكما هو متوقع، يختلف الرجل المسلم عن المرأة المسلمة، مع دعم أقل لحقوق المرأة أكثر من غيرها. فعلى سبيل المثال، في إندونيسيا وماليزيا ولبنان وتركيا- لم يكن هناك فجوات بين الرجال والنساء. في تركيا وافق ٩٢ ٪ من الرجال والنساء على أن المرأة ينبغي أن يكون لها الحقوق القانونية نفسها التي يتمتع بها الرجل. وفي المقابل في المغرب ٥٥ ٪ من الرجال و٨٧٪ من النساء على حد سواء قالوا: يجب أن يكون هناك الحقوق القانونية نفسها. وفي المملكة العربية السعودية، الدولة الوحيدة التي تم فيها استطلاع رأي والتي لا يسمح فيها للنساء بالتصويت، قال ٤١ ٪ من الرجال: إنه ينبغي السماح للنساء بقيادة السيارات، مقارنة مع ٦١ ٪ من النساء السعوديات[٢٤١].

إن المرأة في الغرب غالبا ما تربط بما هو معتقد بالوضع غير المتكافئ للنساء في الإسلام والشريعة الإسلامية، ولسبب وجيه، بينما عملت الشريعة الإسلامية باعتبارها خطة عمل مثالية وبوصلة أخلاقية للمجتمعات المحلية في وقت مبكر، فاليوم يتم استخدامها كأداة أبوية وقبلية للقمع بواسطة علماء الرجعية والأصولية، وكان آخرها في إيران والمملكة العربية السعودية والسودان وباكستان، وإيران، مما يواجه انتقادًا دوليًّا وإدانة واسعة. وعلى كل حال، فهذه هي قصة أحكام الشريعة الإسلامية.

المدهش كما قد يبدو أن الأغلبية من المسلمين، سواء النساء أو الرجال، الذين يعتقدون أن المرأة يجب أن تتمتع بحقوق متساوية، ويريدون أيضا أن تكون أحكام

الشريعة الإسلامية مصدرًا للقانون. والنساء المسلمات اللاتي يفضلن دور الإسلام في حياتهن يرون الفجوة بين هذه الفكرة المثالية وواقع العالم الإسلامي. وتكشف بيانات جالوب العالمية لاستطلاع الرأي عن وجود رغبة قوية في بلدان مسلمة كثيرة لنموذج جديد متأصل للحكومة، ذلك الذي تكون فيها الديمقراطية محتضنة للقيم الدينية أيضًا. وهكذا الشريعة باعتبارها "مصدرًا من مصادر القانون": ٩٦ ٪ من المصريين و٨٩ ٪ من الفلسطينيين يعتقدون أن الشريعة نظام قضائي عادل. وفي بضعة بلدان مثل: (الأردن ومصر، وأفغانستان، وبنغلاديش) الأغلبية يقولون: إنهم يريدون الشريعة كمصدر للقانون الأساسي، في الأردن، وكانت النسب المئوية ٥٤ ٪ من الرجال و٥٥ ٪ من النساء، في مصر، ٧٠٪ من الرجال، و٦٢ ٪من النساء. في تركيا وكازاخستان قال الأغلبية: إن الشريعة ينبغي أن يكون لها دور في المجتمع. ولكن ، فإن القلق بشأن المرأة جزء لا يتجزأ من اهتمامات أوسع بحقوقها السياسية وظروف مجتمعاتها.

تشير النساء المسلمات إلى أن الحاجة إلى تحسين وضع المرأة على الصعيد العالمي لا يمكن فصله عن الاحتياجات الأساسية مثل الاستقرار والتحسن الاقتصادي، والحقوق السياسية. وينبغي أن تكون الأولويات المعلنة دليلاً للمؤيدين الغربيين المعنيين بمصالح المرأة المسلمة.

عزيزة آل هبري، أستاذ القانون الأميركي في جامعة ريتشموند ومؤسسة منظمة الكرامة، وهي منظمة للمحاميات مكرسة للدفاع عن حقوق الإنسان للمرأة، تصف إحباط "المرأة في العالم الثالث في ما يعتبرونه" العالم الأول " رغبة المرأة في تكريس ما ينبغي أن تكون عليه أولوياتها، وفي سياق المؤتمرات الدولية المتعلقة بحقوق الإنسان، تقول آل هبري:

"في كوبنهاغن، قيل: إن نساء العالم الثالث أعلى أولوياتهن متعلقة بالحجاب و(ختان الإناث). وفي القاهرة، قيل لهن: إن أعلى أولوياتها لها صلة بوسائل منع الحمل والإجهاض. وفي كلتا الحالتين، نساء العالم الثالث توسلن إلى التغيير. فقد أعلنوا مرارًا وتكرارًا أن أعلى أولوياتهن السلام والتنمية. وأشاروا إلى أنهم لا يستطيعون الاهتمام بشكل جيد بالمسائل الأخرى عندما يعاني صغارهن من الموت جوعًا أوعطشًا أو في الحرب"(٢٤٢).

ولا يمكن التغلب على التحديات لمزيد من المساواة والمشاركة الكاملة في الحياة

السياسية للمرأة دون معالجة المشكلة الاقتصادية والسلطوية الأكثر تعقيدًا في كثير من أنحاء العالم الإسلامي. في حين أن سياسة الولايات المتحدة جعلت قضية المرأة من جل اهتماماتها في سياستها الخارجية، ومن المهم أيضًا تركيز الكثير من الجهد والاهتمام على تشجيع التعليم والتنمية الاقتصادية والبنية التحتية الديمقراطية. ولكن في الاقتصاد العالمي الحديث لا يمكن أن يكون حقيقيًا في البلاد التي لا تعترف وتشمل النساء باعتبارهن شريكًا كاملاً ومتساويًا في جميع مجالات الحياة.

بدون التحرر السياسي، سيستمر واقع معظم المجتمعات الإسلامية وتطلعات مواطنيها، على النحو الذي اقترحه أمثلة النضال من أجل الديمقراطية في أجزاء أخرى من العالم، في المساهمة في الظروف التي تغذي التطرف، وعدم الاستقرار السياسي، والإرهاب العالمي. وفي الوقت نفسه، للحد من نمو ظاهرة الإرهاب يجب علينا تحديد وفهم مخاوف المتطرفين المحتملين، الذين يمكن أن ينجذبوا إلى المتطرفين أو يعينوا من قبلهم.

استهداف المتطرفين المحتملين والإرهاب:

والخبر السار هو أن استطلاع جالوب حول المسلمين في جميع أنحاء العالم قرر أن الغالبية العظمى (٩٣ ٪) ينتمون إلى التيار الذي آمن أن هجمات ١١ /٩ لم تكن مبررة. ومع ذلك، فإن العديد من هذه المجموعات لا يحملون وجهات نظر تنتقد سياسة الولايات المتحدة، بينما يعتبر ٤٠ ٪ موالين للولايات المتحدة، و٦٠ ٪ لا تعجبهم سياسات الولايات المتحدة، والتيار الغالب ٩٣ ٪ الذين يمثلون الناقدين والداعمين، من شركائنا الممكنين في تحسين العلاقات ومحاربة التطرف.

إن السيطرة على نمو الإرهاب يتطلب أن نولي الاهتمام أيضًا بالـ٧ ٪الأخرى؛ فإن المتطرفين سياسيًا الذين يمثلون حوالي ٩١ مليون مسلم يعتقدون أن هناك ما يبرر تماما هجمات ٩/١١ وانتقاد الولايات المتحدة ويشعرون بالقلق من الغزو الأمريكي والتدخل والهيمنة بحيث يرون هجمات المدنيين مبررة (١٣ ٪ يقولون: إن الهجمات على المدنيين مبررة تمامًا مقابل ١ ٪ فقط من التيار الغالب)[٢٤٣]، وإذا ما ظلوا منعزلين ومهمشين، فإنهم قد يكونون هدفًا غدًا لتجنيد المتطرفين والإرهابيين.

والكثير من المعلومات الديموغرافية حول هذه المجموعة المتطرفة سياسيًا يتناقض مع "الحكمة التقليدية"، على الرغم من أنه من المتوقع أن يكون المتطرفون ذكورًا، فإن

٣٧٪ من الإناث. وكما نعلم، فهناك أقلية من الانتحاريين من النساء[٢٤٤]. وفي المتوسط، فإن المتطرفين سياسيًّا أكثر تعليمًا وثراء من غالبية التيار الرئيسي، وهم أيضًا أكثر وعيًا دوليًّا، ومن الغريب أنهم متفائلون بشأن مستقبلهم الشخصي ولكن، كما قد يتوقع المرء، فهم أكثر تشاؤمًا حول مستقبل بلادهم والمنطقة. وبالرغم من كثرة انتقادهم للغرب، فإنهم يعتقدون في أهمية إقامة علاقات أفضل مع الغرب وحتى أكثر من التيار السائد. (٥٨ ٪ مقابل ٤٤ ٪) ، والمتطرفون سياسيًّا يعتقدون أن الدول العربية الإسلامية تتوق لعلاقات أفضل مع الغرب. وعلى كل حال، فهي أكثر تشاؤمًا حول ما إذا كان تحسن العلاقات سوف يحدث مستقبلا[٢٤٥].

ومع وجهات النظر الأكثر راديكالية تلك، فهي ليست بالضرورة معادية للديمقراطية وهناك نسبة أعلى بشكل ملحوظ (٥٠ ٪ مقابل ٣٥ ٪من التيار الرئيسي) يقولون: إن التحرك نحو الديمقراطية يعزز التقدم في العالم الإسلامي. ومع ذلك، فهي أكثر تشككًا بكثير حول ما إذا كانت الديمقراطية ستحل بالمنطقة. وبينما حوالى نصف التيار المعارض (٥٠٪) لا يوافقون على أن الولايات المتحدة جادة بشأن تعزيز الديمقراطية ، فإن هذه النسبة تقفز إلى ٧٢ ٪ بين المتطرفين، الذين أعربوا عن قلقهم حول "الهيمنة" أو حتى "الاحتلال" من قبل الغرب. وفي سؤال مفتوح، يذكرون "احتلال/ سيطرة الولايات المتحدة"، من بين مخاوفهم الكبيرة[٢٤٦].

ما وراء الصدام الحضاري:

وقد تم الربط بين (الميل نحو التطرف والإرهاب) من خلال العديد من المعلقين و(الدين الإسلامي)على أنه " دين متشدد ، وعنيف". وخلافًا لهذه الفكرة الشائعة، في استطلاع معهد جالوب الدولي اختاروا الذين ينتمون إلى مجموعة متطرفة سياسيًّا ثبت أن تكون أكثر تدينًا من التيار الرئيسي- جاءت التقارير بأن أغلبية كبيرة من جميع الفئات يعتبرون الدين جزءًا مهمًّا من حياتهم اليومية، وليس هناك اختلاف كبير في الذهاب إلى المسجد.

العلاقة بين الدين من جانب والتطرف والإرهاب في الداخل والخارج من جانب آخر، سوف يبقى حاسمًا في القرن الحادي والعشرين، وسيكون من المهم أن ندرك أن الأسباب الرئيسية للإرهاب العالمي، والمظالم السياسية والاقتصادية في كثير من الأحيان يتم حجبها عن طريق استخدام المتطرفين للغة الدينية والرمزية. في العقود الأخيرة، ثبت أن الدين قوة فعالة، تستخدمها اليهودية والمسيحية والهندوسية والبوذية وكذلك

الإرهابيون المسلمون لإضفاء الشرعية وحشد الدعم الشعبي. ولذلك، فإن السياسة، وليست التقوى الدينية، ما يدفع الـ ٧ ٪ من المسلمين الذين يتغاضون عن الهجمات إلى عدم الثقة بالغرب وأمريكا بشكل خاص. ويبحث غالبية المستطلعين الذين سئلوا سؤالًا مفتوحًا لشرح وجهات نظرهم حول ٩/١١ والتي تدين الإرهاب، فكان ردهم أن أرجعوا ذلك للدين فضلا عن الأسباب الإنسانية. على سبيل المثال: ٢٠ ٪من الكويتيين الذين قالوا: إن الهجمات "غير مبررة مطلقًا" أوضحوا ذلك بقولهم: إن الإرهاب ضد تعاليم الإسلام.

وتوجه مدعى عليه في إندونيسيا إلى حد استخدام آية مباشرة من القرآن الكريم تحرم قتل الأبرياء. وعلى النقيض من ذلك، لم يوجد مدعى عليه واحد يتغاضى عن هجمات استخدم فيها القرآن أو الإسلام كمبرر. وبدلًا من ذلك، فإنهم يعتمدون على التسويغ السياسي، داعين الولايات المتحدة بأنها قوة إمبريالية أو متهمين إياها بالسعي للسيطرة على العالم[٢٤٧].

وما وراء "صدام الحضارات" نظرية يتم الترويج لها من قبل منظمات إرهابية في كثير من الأحيان، لنرى كلا من "الغرب" و" العالم الإسلامي" من خلال صراعات أو مواجهات بين بلدان محددة، وسياسات قادة محددين. وعندما سئلوا عن أهم شيء يمكن للولايات المتحدة القيام به لتحسين نوعية حياة أناس مثلهم، كانت الإجابة الأكثر شيوعًا هي: " التوقف عن التدخل في الشئون الداخلية للدول العربية"، "والتوقف عن فرض معتقداتكم وسياساتكم"، " واحترام حقوقنا السياسية والتوقف عن السيطرة علينا"، و"إعطاؤنا حريتنا "[٢٤٨]. والفشل في الاستجابة بفعالية لآمال ومخاوف التيار الرئيسي، والأهم بالنسبة للمتطرفين سياسيًّا، سيؤدي ذلك إلى عواقب خطيرة في المستقبل.

وينبغي ألا يتم تجاهل أصوات الأغلبية من السكان أو التغاضي عنها بسبب التهديد من الأقلية المتطرفة أو لأن الدول الغربية قد أنشأت علاقات مع الحكام المستبدين، على سبيل المثال، في تونس والجزائر ومصر والمملكة العربية السعودية. ودعم الأنظمة السلطوية المتزايدة لأننا حلفاء فيما يسمى بالحرب ضد الإرهاب، أو لأنهم يحذرون من أن الإسلاميين يمكن أن يصلوا إلى السلطة في انتخابات سيكون ذلك بالتأكيد رؤية قصيرة البعد.

يتطلب دعم تقرير المصير في العالم الإسلامي منا أن نميز بشكل حاسم في الفصل بين

المتطرفين العنيفين من ناشطي الحركات الإسلامية السائدة، وبين المنظمات والأحزاب السياسية ممن لديهم سجلات حافلة من المشاركة في السياسة الانتخابية والحكومة. وإدامة ثقافة وقيم القمع السلطوية تساهم فقط في زعزعة الاستقرار على المدى الطويل ومعاداة الولايات المتحدة التي تسعى إلى تمكين الإرهاب.

يمكننا مواجهة مخاوفنا حول الإسلاميين المعتدلين ووصولهم إلى السلطة بشكل أفضل من خلال دعم مجتمع مدني قوي، وليس من خلال تعزيز الأنظمة التي سحقت كل معارضة. التعددية الحزبية والمؤسسات المهنية ، وحرية الصحافة ووسائل الإعلام ، تقدم للأمة الإسلامية خيارات سياسية أوسع . إذا كان الإسلاميون هم "اللعبة الوحيدة في المدينة" ، كما رأينا دعمهم الانتخابي لن يأتي فقط من أتباعهم ولكن أيضًا من أولئك الذين يريدون الإدلاء بكل صوت ممكن ضد الحكومات الحالية ومن أجل التغييرات الأساسية اللازمة لتحسين مستقبلهم.

وماذا عن المسلمين في الغرب؟:

كما هو الحال في العالم الإسلامي، في كثير من المجتمعات الغربية، جيوب التطرف موجودة ولا تزال تشكل تهديدًا، ولا سيما في أوروبا لقربها من منطقة الشرق الأوسط وجنوب آسيا، والهجرة من بعض المتطرفين المنفيين سياسيًّا والوعاظ المتطرفين، والطبقات الاجتماعية المكتئبة والمنعزلة. تظل أضعف البلدان بريطانيا وفرنسا وألمانيا وهولندا وإسبانيا. وفي حين أن الجهود للقبض على الإرهابيين المحتملين واحتواء ومراقبة الهجرة على نحو أوثق- من الواضح أنها مهمة جدًّا، وقادة المسلمين والغالبية العظمى من المسلمين، إذا نظر إليهم وتم التعامل معهم على أنهم شركاء ضد التطرف بدلًا من مجتمعات مشتبه بها، سوف يكونون أفضل حلفاء في مواجهة والحد من نمو التطرف الديني والإرهاب.

فمن المهم تعلم "الاستماع" أكثر، وليس مجرد الكلام، واتخاذ المزيد من المظالم بجدية وفهم أفضل للاحتياجات، وبناء علاقات الثقة والتعاون مع المنظمات الإسلامية، والمدارس، والمساجد. وتلعب السلطات الدينية دورًا بالقدر نفسه من الأهمية والدعاة ذوو الشعبية وكذلك العلماء، والرياضيون ، ونجوم وسائل الاعلام الذين ينالون إعجاب الشباب في الجهود الوقائية والمحاربة للتطرف.

ويقـدم الـسلوك الحـالي في المجتمعـات الغربيـة تحـديات واضـحة في خلـق تلـك الشراكات، فالأغلبية لا ترى التعدد الديني والعرقي كقوة قد تغني المجتمعات، بينما ترى الأغلبيـة في الولايات المتحدة (٧٠٪) وكندا (٧٢٪) أنه يتحتم وجود تفاعل أكبر مع العالم الإسلامي، وعلى العكس، ترى الأغلبية في الدول الأوروبية أن التفاعل بين الغرب والعالم الإسلامي يمثل تهديدًا، وقد جاءت استطلاعات الرأي كما يلي: ٧٩٪ في الدنمارك، و٦٧٪ في إيطاليـا، و٦٧٪ في هولنـدا، و ٦٨٪ في إسـبانيا، و٦٥٪ في الـسويد و ٥٩٪ في بلجيكا. تأتي تلك الإجابات متوافقة مع الخوف المتزايد بين الأوروبيين من "التهديد الإسلامي" لهويتهم الثقافية، والذي يأتي من الهجرة من المناطق ذات الأغلبية المسلمة، المعدلات المرتفعة لمواليد المسلمين وتأثير الهجمات الإرهابية. ولعله ليس من الغريب أن تجد في إحدى استطلاعات الرأي الكبرى أن هناك ٢١٪ فقط هم من قاموا بتأييد انضمام تركيا لعضوية الاتحاد الأوروبي. فقد شملت حملة الانتخابات الرئاسية الناجحة لنيكولا ساركوزي في فرنسا معارضة قوية لعضوية تركيا. وفي إحدى استطلاعات الرأي عام ٢٠٠٦، وجد أن السبب الرئيسي في معارضة الألمان لعضوية تركيا هو "الخوف من ازدياد التأثير الإسلامي في أوروبا".

تتجه هذه المخاوف إلى التعتيم على مدى رؤية المسلمين الأوروبيين لأنفسهم على أنهم مواطنون أوفياء دائمًا معنيون بقضية الإرهاب مثلهم مثل المواطنين الأصليين، بل وربما أكثر منهم. وعندما طلب منهم تقييم خمس نقاط حول مدى القبول الأخلاقي لاستخدام العنف تحت مسمى الأهداف النبيلة، "بلغت نسبة المسلمين الذين اختاروا تقييمًا منخفضًا بلغ ما بين ١ و٢ حوالي ٨١٪ في لندن، مقارنة بـ ٧٢ ٪ من البريطانيين. أما في فرنسا، فقد جاءت الأرقام لتبلغ نسبة ٧٧٪ لمسلمي باريس في مقابل ٧٩٪ من الشعب الفرنسي. وفي ألمانيا، كانت النسبة لـ ٩٤٪ من المسلمين ببرلين في مقابل ٧٥٪ من الجمهور الألماني".

ومن بين التناقضات الصارخة الأخرى التي قد تراها، هي سلوك المسلمين الأوروبيين تجاه الأديان الأخرى. فالتكامل الإسلامي ينعكس في السلوك الإيجابي تجاه المسيحية (الذي يناقض بشدة السلوك في العديد من الدول الإسلامية) بنسبة ٩١٪ تقبل للمسيحية بين المسلمين الفرنسيين، و٨٢٪ في إسبانيا، و ٧١٪ في بريطانيا و٦٩٪ في

ألمانيا. أما بالنسبة لليهود، فهناك نسبة قبول بلغت ٧١٪ في المجتمع الإسلامي الفرنسي فقط. وعلى العكس، وهناك نسب ما بين الأوربيين والأمريكيين كانت تحمل سلوكًا أكثر سلبية تجاه الإسلام، أما بالنسبة للرؤى التي ربطت بين المسلمين والتعصب، ففي إسبانيا، بلغت النسبة ٨٣٪، وألمانيا ٧٨٪، وروسيا ٧٢٪، وفرنسا ٥٠٪، وبريطانيا ٤٨٪ والولايات المتحدة ٤٣٪.

ولعل الأغلبية تجمع على أن أوروبا وأمريكا سوف تصبحان أكثر تعددًا للثقافات، لذلك يجب أن تعطى الأولوية الآن للتركيز على شباب المسلمين المهمشين المعزولين خاصة في أوروبا، الذين هم أكثر عرضة للاستقطاب والتطرف، وتتضمن الإستراتيجيات الأساسية- الإصلاحات الاقتصادية والتعليمية، وفرصًا للتوظيف والإسكان، كما لا تقل أهمية عن ذلك التشريعات المناهضة للإرهاب التي لا تأتي على حساب الحريات المدنية للمواطنين المسلمين والسياسات الأجنبية المتوازنة في القضايا الدائمة مثل القضية الفلسطينية- الإسرائيلية، والعراق، وأفغانستان، وكشمير وغيرها.

عندما زرت بعض المناطق الإسلامية في برادفورد وليدز ببريطانيا منذ بضع سنوات، حدثني قادة المجتمع المحلي من شباب المسلمين عن خيبة آمالهم تجاه المسئولين الحكوميين الذين جاءوا من لندن للتحقيق في الظروف التي أدت إلى اندلاع العنف. فعندما ذكر المسلمون أنه ليست فقط قضايا الهوية وفقر التعليم، بل أيضًا السياسات الخارجية مثل دور بريطانيا في غزو واحتلال العراق- هي ما أدت إلى التأثير السلبي القوي، قال المحققون – الذين يدعمون بإخلاص رئيس وزرائهم توني بلير– : إن تلك التقارير غير صحيحة، ومن المفارقات أنه في الوقت نفسه، نشر الإعلام البريطاني تقريرًا برعاية حكومية شدد على التأثير السلبي لسياسة بريطانيا في العراق على المتطرفين.

إن المبادرات الفاعلة التي تسعى "لكسب القلوب والعقول"، والتي لم تتضمن ممثلين من المسلمين المؤهلين تأهيلا جيدًا، تعزز من إحساسهم بكونهم مواطنين من الدرجة الثانية، كما تفعل الشيء نفسه كلمتا "نحن" و"هم". كما أنه لا تقل أهمية حاجة الحكومات الأوروبية والأمريكية إلى تكامل أفضل من المسلمين المؤهلين في أماكن مسئولة بالوكالات الحكومية وكسفراء للبلدان الإسلامية، ومن الغريب أنه بالرغم من العدد الكبير للمسلمين الأمريكيين (والمسيحيين العرب) الذين تلقوا تعليمًا مميزًا، كانت تلك النماذج غائبة عن حكومات كلينتون وبوش خلال السنوات الماضية، بل وحتى عن

إدارة أوباما حاليًا. ويبدو هذا صحيحًا في المناطق الجدلية مثل العلاقات الإسرائيلية- الفلسطينية. وفي فترة ولاية كلينتون الثانية، كانت المناصب الرئيسية التي تتعامل مع تلك القضية في وزارة الخارجية ومجلس الأمن القومي يتولاها اليهود الأمريكيون، دون أي ممثل عربي أمريكي أو مسلم.

في الوقت نفسه، يجب على المجتمعات الإسلامية من خلال مدارسهم، ومساجدهم، ومراكزهم المجتمعية ومنظماتهم غير الحكومية أن تستمر في المزج بين الهوية الإسلامية والقيم، وبين الإحساس الصحي بالمواطنة والتكامل والمشاركة الفعالة في الميدانين السياسي والعام. فالمشاركة الإسلامية بالحكومات في تزايد، ففي بريطانيا يخدم المسلمون في مجلسي اللوردات والعموم البريطاني، حتى إنه في حكومة جوردون براون تم انتخاب البعض في مناصب بالمجالس المحلية. أما في مجلس النواب الأمريكي، فهناك نائبون أمريكيون مسلمون، إلى جانب عدد محدود يخدم في الدولة والحكومة المحلية. وقد لعب المسلمون أدوارًا بارزة كقوى سياسية واجتماعية متزايدة وفعالة خلال الانتخابات الرئاسية الأمريكية في عامي ٢٠٠٤ و٢٠٠٨ مثلما حدث في ولايتي فلوريدا وميتشجن. فسيطرة المسلمين (ثمانية لواحد) في دعم باراك أوباما والاستجابة الإيجابية حول العالم لانتخابه- قدمت فرصة فريدة لإعادة بناء جسور الثقة والتعاون.

الحريات المدنية للمسلمين:

إن جو الخوف من استمرار الهجمات الإرهابية الذي يجتاح أوروبا وأمريكا- قد أدى إلى انتشار سياسات مكافحة الإرهاب والتشريع في العقود الماضية. وقد استجابت بعض الدول الأوروبية لقوانين مكافحة الإرهاب والسياسات الأمريكية. وفي حين استجابت الدول الغربية للمخاوف الأمنية المشروعة، فإنها أيضًا تسببت في مشكلات جادة للحريات المدنية.

وقد حذر القادة المسلمون الأوروبيون من أن تلك السياسات لا تؤثر فقط على الإرهابيين، بل على المواطنين المسلمين السلميين أيضًا. وقد حددت منظمات الحقوق المدنية الكبيرة عددًا من الانتهاكات الجدية من بينها: التنميط العنصري، والاعتقالات غير القانونية، والمراقبة والتنصت على المسلمين، إلى جانب المراقبة العشوائية للمساجد وسرية تسلل قانون المنظمات المدنية الإسلامية والتطوعية. وقد أثر نمو الإسلاموفوبيا ومشاعر العداء تجاه المسلمين على الحياة اليومية، حتى زادت جرائم الكراهية والتمييز في أماكن العمل والسكن.

في العديد من البلدان، أدت السياسات الحكومية التي وضعت للتحكم في المجتمع الإسلامي و"لترويض" الإسلام إلى الضغط على المسلمين، ليس فقط لدمجهم في المجتمع متعدد الثقافات، لكن لاستيعاب عوامل الثقافة والفكر الإسلامي من أجل التمتع بحقوق مشاركة كاملة في بلداتهم الجديدة.

وقد تم النظر إلى قرار فرنسا بمنع الحجاب في المدارس على أنه نمو لسياسة الاستيعاب. فبعد هجمات السابع من يوليو في لندن، كانت هناك دعوة للدمج والتعددية الثقافية في العديد من الدول الأوروبية. وقد اتضح هذا المنظور في عبارة مثل "القيم البريطانية" (أو الفرنسية أو الألمانية أو الدنماركية أو الهولندية) التي تستدعي الفترة البيضاء ما قبل الهجرة في التاريخ الأوروبي والقيم العلمانية الغربية "المستنيرة" (وقد يضيف البعض المسيحية).

يلاحظ أن أغلبية المسلمين في ألمانيا، حوالي ٨٠٪ منهم، لا يتمتعون بحقوق المواطنة الألمانية، وبالتالي ليس لهم الحق في التصويت أو المشاركة في المناخ السياسي - الذي هو القاعدة للاندماج الحقيقي في المجتمع الألماني. وقد قدمت الحكومة أيضًا ما وصفه البعض بـ "اختبار الولاء"، الذي يطبق فقط على المسلمين الذين يرغبون في حقوق المواطنة الألمانية، من حيث موقفهم من ملابس النساء في الغرب، وما إذا كان الآباء يسمحون باشتراك أبنائهم في ممارسة الرياضة المدرسية، والشذوذ الجنسي أو إذا كان للرجل الحق في أن يضرب زوجته. فقد أعلنت وزارة الداخلية أن هذا الاختبار يسمح بالتصفية والكشف عن المسلمين الذين لا يصلحون للعيش في ألمانيا[٢٤٩].

وبالنظر إلى عدد وتعدد الدول الغربية التي تتمثل بها مشكلات مجتمعية مختلفة، فسوف نتناول التجربة الأمريكية بشكل أوضح كنموذج لتلك الدول.

كم عدد الخلايا النائمة هناك؟ الحريات المدنية والمجتمع الأمريكي الإسلامي:

كنت على متن طائرة خلال رحلة العودة من الغرب الأوسط إلى واشنطن. لاحظت السيدة التي تجلس بجانبي أنني أقرأ شيئًا ما عن الإسلام. وعندما علمت عن ماهيتي وعملي، اقتربت مني تلك السيدة المتعلمة من الأسر المتوسطة وسألتني: "كم عدد الخلايا النائمة في أمريكا؟".

لم يكن سؤالها مفاجئًا لي بالنظر إلى صدمة هجمات الحادي عشر من سبتمبر، وتأثير

السياسيين المتشددين من اليمين المتطرف من أمثال دانيال بايبس الذي حذر الأمريكيين قائلاً:

"إن تعداد المسلمين في الدولة ليس مثل أية جماعة أخرى، فهو يتضمن بداخله هيئة كبيرة من الناس - أكثر من عدد عملاء أسامة بن لادن- يتشاركون مع الخاطفين الانتحاريين مشاعر كراهية ضد الولايات المتحدة، والرغبة في تحويلها إلى دولة تعيش تحت قيود الإسلام المتشدد"(٢٥٠).

لكن تهديدات الأمن القومي الأمريكي ليست جديدة، ولا حتى استخدام عبارة "الأمن القومي" بطريقة مضللة لانتهاك الحريات المدنية. فاعتقال الأمريكيين لليابانيين خلال الحرب العالمية الثانية لهو أبلغ دليل ومثل. وقد أشعلت "الحرب" ضد الإرهاب العالمي شرارة حملة قانون "مكافحة الإرهاب" التي أدى تطبيقها إلى أحد أسوأ أزمات الحريات المدنية في التاريخ الأمريكي المعاصر.

وقد تحدث النائب العام جون أشكروفت عن النموذج الجديد لحجب الحريات المدنية الأساسية، والذي تقوم به الإدارة الأمريكية حسب وصف الخبير ديفيد كول:

فقد أخضعت ٨٠,٠٠٠ مهاجر عربي ومسلم لاختبارات الكشف عن البصمات والحالة الجنائية، واقتادت ٨٠٠٠ رجل عربي ومسلم لاستجوابات بمكتب التحقيقات الفيدرالي، كما اعتقلت أكثر من ٥٠٠٠ شخص من جنسيات أجنبية في إجراءات احترازية لمكافحة الإرهاب. وكجزء من هذا البرنامج، تبنت الحكومة سياسة مكافحة من اعتقال وملاحقة قضائية، بالقبض على أشخاص بتهم بسيطة توصف بـ انتهاكات قانون الهجرة، وتزوير بطاقات ائتمانية أو كشوف حساب مزورة، فإن لم توجد تهمة، تصبح الحجة أنه "شاهد"(٢٥١).

إن التلاعب بالقانون المحلي وسياسات مكافحة الإرهاب مثل قانون المواطنة، واستخدام "الأدلة السرية" من قبل بعض الوكالات والمدعي العام قد أدى إلى القيام بإجراءات خارج نطاق القضاء وتآكل الحريات المدنية. فقد تعرض المسلمون للتنصت، والاعتقال والحبس القهري دون تهمة، والحرمان من توكيل المحامين أو إطلاق سراحهم بكفالة، إلى جانب حجب أدلة إدانتهم عنهم وعن محاميهم. فإن التحايل على القانون الدولي وتسمية المساجين بـ "الأعداء المقاتلين" قد أدى إلى اعتقال غير محدد المدة واتصال محدود بالمحامين، بالإضافة إلى محاكمات عسكرية دون مراجعة قضائية(٢٥٢).

في كتابه Less Safe, Less free ، الذي يتناول دراسة عن سياسات إدارة بوش لمكافحة الإرهاب، استنتج المؤلفان كول وجولز لوبل قائلين:

"تحت دعوى مكافحة الإرهاب، حبست الإدارة الأمريكية آلاف الأشخاص دون محاكمة- داخل الولايات المتحدة وخارجها، أغلبهم لم يتم إدانته بأية تهمة تتعلق بالإرهاب من قبل. وقد استدعى الرئيس بوش إجراءات "وقائية" للدفاع عن النظام السري، موكلا وكالة الأمن القومي بالتجسس على الأمريكيين، دون سبب منطقي أو بدعوى قيامهم بأعمال غير صحيحة، بدون إذن قضائي وبالمخالفة للقوانين الجنائية"(٢٥٢).

وخلال الخمس سنوات التي أعقبت هجمات الحادي عشر من سبتمبر، قامت الإدارة الأمريكية باحتجاز أفراد، معظمهم خلال السنتين اللتين أعقبتا الهجمات، بدعوى برامج "الإرهاب" و "مكافحة الإرهاب". وتنعكس قضايا تسييس الإرهاب من خلال حقيقة أن من تم الادعاء عليهم بأنهم إرهابيون، لم يدانوا في الحقيقة سوى بتهم مثل خرق قانون التأمين، وعدم دفع الضرائب، أو تزوير كشوف حسابات بنكية. وبحلول عام ٢٠٠٦، أعلنت الحكومة أن اثنين من كل ثلاثة (أي: بنسبة ٦٤٪) من المدانين لا يستحقون المحاكمة، فهناك نسبة ٩٪ قد تم الإفراج عنهم أو لم تتم إدانتهم، بينما هناك واحد من كل خمسة أشخاص تمت إدانته بإحدى الجرائم بالفعل، لكن أقل من ١٪ تم الحكم عليهم بعقوبات كبيرة بالسجن. فأغلبهم لم يحكم عليهم بالسجن نهائيًا، بينما من حكم عليهم بالسجن لم تتعدَّ مدة السجن عامًا واحدًا بل أحيانًا أقل(٢٥٣).

عززت سياسات الإدارة الأمريكية من مشاعر الخوف وانتشار الادعاءات التي لا أساس لها من الصحة مثل: أن عددًا كبيرًا من المسلمين الموجودين بأمريكا من الإرهابيين، أو أن أكثر من ٨٠٪ من المساجد بأمريكا ترعى التطرف(٢٥٤). أما عن الخلايا المتخفية، فبحسب مذكرة داخلية لمكتب التحقيقات الفيدرالي تم تسريبها في فبراير ٢٠٠٥، فإن هناك خلية إرهابية نائمة بداخل الولايات المتحدة تتبع منظمة القاعدة(٢٥٥).

وقد تداعت بعض قضايا الإرهاب بوزارة العدل: مثل قضية جيمس يي، القس المسلم المعتقل في جوانتانامو بتهمة التجسس، ودكتور سامي العريان الأستاذ بعلوم

الحاسب والمتهم بالمؤامرة لقتل أمريكيين، وسامي الحسين الطالب السعودي المتهم بمساعدة الإرهابيين عن طريق نشر روابط على أحد المواقع الإلكترونية.

رغم كل هذا، ليس لدى معظم الأمريكيين أدنى فكرة عما يحدث. ففي كثير من حواراتي المتفرقة حول البلدة أسأل الحاضرين: كم عدد من يدركون أن هناك الآلاف من المسلمين قد تم القبض عليهم عقب أحداث الحادي عشر من سبتمبر؟ كم عدد من يعرفون أن هؤلاء الذين ألقي القبض عليهم قد تم توجيه الاتهام لهم بالقيام بأعمال إرهابية؟ ولم يستطع أحد الإجابة.

كانت الحماسة الزائدة للمسئولين الحكوميين واضحة في قضايا يوسف إسلام (المطرب البريطاني والنجم الشهير وعضو فريق كات ستيفنز)، وشهيد مالك (البريطاني المسلم، والوزير بحكومة جوردون براون). أما يوسف إسلام، الذي تم تكريمه دوليًا لإسهاماته الخيرية والتزامه بالسلام، فقد اعتاد على زيارة أمريكا عقب هجمات الحادي عشر من سبتمبر، لكن يوم ٢١ من سبتمبر ٢٠٠٤ كان في طريقه إلى واشنطن على متن الطائرة القادمة من لندن عندما انحرفت الطائرة عن مسارها وتم توجيهها إلى مطار مين بانجور الدولي حيث ظهر اسمه ضمن "قائمة المراقبة الوطنية". وبعد استجوابه من قبل مكتب التحقيقات الفيدرالي ومسئولي الهجرة والجمارك، رفض السماح له بدخول البلاد، واعتقل لأكثر من ٢٤ ساعة، ثم تم الإفراج عنه في اليوم التالي. أما بالنسبة لشهيد مالك، الذي دعته إدارة بوش مرتين من أجل التحدث عن الإرهاب في الولايات المتحدة، فعند مغادرته للبلاد تم اعتقاله واستجوابه وتعرض للتفتيش الصارم بالرغم من مكانته الدبلوماسية.

وفي ظل تعزيز مناخ تجد فيه مبررًا لتعذيب السجناء وإغراقهم بالمياه وتجريدهم من ملابسهم، فقد حددنا القيم والمبادئ التي أخفت هويتنا وأضعفت وضع أمريكا الأخلاقي وسلطتها على المجتمع الدولي. هذا بالإضافة إلى قمع الحريات المدنية للمسلمين على يد مسئولين حكوميين. فكافة تلك الانتهاكات للقانون الدولي قد عززت الشعور بأنه ينظر للمسلمين نظرة دونية على أنهم أقل، بل وضحايا للمعايير المزدوجة.

في عام ٢٠٠٩، تم تعليق كافة القضايا المتعلقة بالمراقبات غير القانونية للناشطين والجماعات السياسية، والسياسات التمييزية ضد العرب والمسلمين وشعوب جنوب

آسيا، والمرفوعة ضد مكتب التحقيقات الفيدرالي ووزارة العدل. كما انتقد عملاء مكتب التحقيقات الفيدرالي أنفسهم برنامج الرئيس بوش للتنصت قائلين: إنه تسبب في الادعاءات المزيفة وتضييع الوقت والموارد[٢٥٣].

وفي النهاية، لعله من المهم أن نستدعي تحذيرات بنيامين فرانكلين، أحد أبرز الآباء المؤسسين الأمريكيين الذي قال: "الذي يضحي بالحرية في سبيل الأمن، لا يجني الحرية ولا يجني الأمن".

دعاة الكراهية- المسيحيون والمسلمون:

من الصعب حصر تأثير المتشددين المسيحيين الصهيونيين- مثل جيري فالويل، بات روبرتسون، رود بارسلي وجون هاجي- على الإسلام والمسلمين. وتكمن أهمية حصر ذلك، ليس من أجل معرفة أعداد أتباعهم، لكن من أجل إدراك مدى قرب العلاقة بينهم وبين الرئيس جورج بوش وأعضاء إدارته والكونجرس. ففرانك جراهام، الذي بارك خطاب بوش الافتتاحي لدى توليه الرئاسة، كان قد أعلن قائلاً: "لقد هاجمنا الإسلام. ورب الإسلام ليس هو ربنا... فالإسلام دين في غاية الشر والدناءة". وقد زاد بات روبرتسون- زعيم التيار الديني- الأمر سوءًا بقوله: "هذا الرجل (محمد) كان متعصبًا تعصبًا أعمى لصًا قاطع طريق قاتلا"[٢٥٤].

وفي حوار مع برنامج ٦٠ دقيقة، قال جيري فالويل، مؤسس حركة مورال ماجورتي Moral Majority ورئيس جامعة ليبرتي Liberty University: "إن هناك خطوطًا واضحة مرسومة". جاء هذا في رده على بوب سايمون حين قال: "يشعر العديد من المسلمين الآن أن المسيحيين واليهود يتحدون ويكونون جماعات في مواجهتهم"، ورد فالويل على هذا قائلاً: "هذا حقيقي. أنا آسف، ولكنه حقيقي. أتمنى أن ينتهي هذا الأمر سريعًا، لكنني أعتقد أن هذا هو ما يحدث الآن"[٢٥٥]. ومما زاد الأمر استفزازًا للمسلمين عندما وصف فالويل الرسول محمد بـ "الإرهابي" على قناة برايم- تايم تي في. أما الإعلامي اللامع بيني هين، المعروف بانتمائه الإسرائيلي، فقد عبر عن رأيه في تلك القضية بعبارة تثير الفتنة، قائلاً: "هذه ليست حربًا بين العرب واليهود، بل حربًا بين الله وإبليس"[٢٥٦].

في عام ٢٠٠٨، أشار الساسة المعنيون بالانتخابات الرئاسية إلى أهمية الدين، وخاصة فيما يتعلق بتأثير اليمين المسيحي. فهناك الكثيرون في العالم الإسلامي (وفي أوروبا) على اقتناع بأن الدين، متمثلا في الأصولية المسيحية، كان عاملاً بارزًا في السياسة الأمريكية

الأجنبية. ومثل غالبية المسلمين، الذين يتم أحيانًا الخلط بينهم وبين القلة المتطرفة دينيًا، فإن الغالبية المسيحية البروتستانتية قد تأثرت بما يقوله المسيحيون الصهيونيون المتشددون المعادون للمسلمين.

فالمسيحيون دعاة الكراهية يحظون بظهور إعلامي غير متكافئ، وبالتالي يحجبون الكثيرين من الزعماء المسيحيين والكنائس والمنظمات التي ترفض المسيحية الصهيونية المتشددة وتطالب بالتعددية وبنظرة أكثر توازنًا.

وفي عام ٢٠٠٦، أصدرت كل من البطريركية اللاتينية في القدس (الكاثوليكية)، والبطريركية السريانية الأرثوذكسية في القدس، والكنيسة الأسقفية في القدس والشرق الأوسط، والكنيسة الإنجيلية اللوثرية في الأردن والأرض المقدسة- إعلان القدس بشأن المسيحية الصهيونية، فيما أسموه بـ "التعاليم الزائفة التي تفسد رسالة الكتاب المقدس من العدل والمحبة والمصالحة". فقد انتقدوا ترويج "وجهة نظر عالمية ترى الإنجيل يقوم على الفكر الامبراطوري والاستعماري والعسكري؛ فتلك الأحداث المروعة تؤدي إلى نهاية التاريخ بدلًا من التعايش اليوم في ظل حب المسيح والعدل ندعو المسيحيين في الكنائس في كل قارة إلى الصلاة من أجل الشعب الفلسطيني والإسرائيلي"(٢٥٧).

وكان من بين الكنائس التي استنكرت الصهيونية المسيحية المجلس الوطني للكنائس، وكنيسة الإصلاح في أمريكا، والكنيسة الميثودية المتحدة، وكنيسة مينونايت، الكنيسة المشيخية (الولايات المتحدة) وكنيسة المسيح المتحدة.

وفي اجتماعها عام ٢٠٠٤م أعلنت الكنيسة الإصلاحية Reformed church أن الصهيونية المسيحية تشوه رسالة الإنجيل وهي عائق أمام تحقيق سلام عادل في فلسطين وإسرائيل(٢٥٨).

وليس كل الإسرائيليين يؤيدون الصهيونية المسيحية المتشددة. فقد علق جريسهوم جورينبرج، مؤلف كتاب End of days الذي يتناول الصهيونية المسيحية من واقع قراءة الإنجيل، في برنامج ٦٠ دقيقة واصفًا "جنود الصهيونية المسيحية"، قائلا: "اليهود يموتون أو يتحولون. وكيهودي، أشعر أنني لا أرتاح لمشاعر شخص ينظر قدمًا لهذا السيناريو". ويضيف جورينبرج أن هؤلاء المسيحيين: "لا يحبون اليهود الحقيقيين. فهم يحبوننا كشخصيات في قصصهم ومسرحياتهم، فإذا استمعت للدراما التي يصفونها، خاصة إذا جاءت في مسرحية من خمسة فصول، يختفي اليهود في الفصل الرابع"(٢٥٩).

على صعيد الجبهة السياسية، يرى يوسي ألفير، المحلل السياسي الذي خدم الموساد ١٢ عامًا، أن دعم الصهيونية المسيحية يضر أكثر مما ينفع. ألفير، الذي أصبح فيما بعد مديرًا للجنة اليهودية الأمريكية في إسرائيل، أعلن في حديثه لبرنامج ٦٠ دقيقه، قائلاً: "لقد حفظنا الله من هؤلاء الناس فهم يشجعون إسرائيل والإدارة الأمريكية على تجاهل الفلسطينيين، بل على ما هو أسوأ، وهو طردهم وتوسيع المستوطنات أكبر مساحة ممكنة، وهم يقودوننا إلى سيناريو كارثي "(٢٦٠).

أما الصهيونية المسيحية المتشددة، فهي لا تصعب من مبادرات السلام الحقيقية بتشويه سمعة "الآخر" فقط، ولكنها أيضًا تقضي على الفهم الديني المتبادل. وهكذا، فهم يعكسون صورة نظرائهم من المسلمين المتشددين أو دعاة الكراهية من الإسلاميين.

يجب على كافة المؤمنين أن يتحدَّوْا التفسيرات المتطرفة للكتب المقدسة التي تولد عدم التسامح أو التعصب وتعرقل التعددية الدينية الصحيحة، إلى جانب مواجهة دعاة الكراهية، سواء من المسيحيين أو المسلمين، التي تبرر أيديولوجياتهم الدينية ممارساتهم الإرهابية.

دعاة الكراهية من المسلمين:

يعتمد تحدي دعاة الكراهية من المسلمين الآن على التفريق بين من يدعون إلى فكر شديد التحفظ والتعصب لكن دون عنف، وبين الذين يدعون إلى فكر متطرف وعمليات إرهابية منظمة. باختصار، يجب التفريق بين الأقلية الإرهابية والتيار الإسلامي كما نفصل بين الإرهابيين من المسيحيين واليهود والتيار الديني العام، أو حتى المتعصبين منهم. ومن الطبيعي أن تجد هؤلاء الأشخاص ذوي الفكر المتطرف منبوذين ومكروهين في مجتمعات التعددية الدينية، لكن كما نرى بين المحافظين والمتطرفين اليهود والمسيحيين، فإن هذا لا يكون مبررًا لممارسة العنف والإرهاب. ويمثل الوهابيون والسلفيون المسلمون الجانب الأرثوذكسي في الإسلام من حيث: الحرفية، الجمودية، التزمت، التشدد والتعصب؛ حيث يؤمنون أنهم على حق، وبالتالي فالآخرون (من المسلمين وغير المسلمين) على باطل ويستحقون العقاب. وهم كالمتطرفين المسيحيين والمسيحيين الصهيونيين يسعون بقوة إلى تغيير العالم، حتى إنهم لا يتسامحون مع المذاهب الأخرى مثل السنة والشيعة والصوفيين.

وبالرغم من أن العديد من الأشخاص المتعصبين دينيًا قد لا يمارسون العنف، إلا أن

أفكارهم ووجهة نظرهم قد يكون لها تبعات شديدة الخطورة. فالمتطرفون الدينيون قد عدلوا من فكرهم ورؤيتهم العالمية من أجل تهميش "الآخر" مثل "أعداء الله"، وتبرير الممارسات الإرهابية، ونذكر على سبيل المثال: المتطرفين المسيحيين الذين قاموا بمهاجمة العيادات التي تقوم بعمليات الإجهاض وقتلوا الأطباء، وقيام المتطرفين اليهود باغتيال رئيس الوزراء الإسرائيلي رابين، وأيضًا مذبحة المسلمين أثناء الصلاة في مسجد هيبرون وهجمات الإرهابيين المسلمين على برجي مركز التجارة العالمي والبنتاجون وتفجيرات مدريد.

والنظريات المتطرفة قد لا تشتمل على العنف في داخلها، لكنها تتحول بسهولة على يد الجماعات الإسلامية المقاتلة إلى نظريات عنف وكراهية. هذه الرسائل لا تنتشر في الغرب فقط، بل في الدول الإسلامية على حد سواء. وذكر البرنامج الوثائقي Undercover mosque أن صناع الأفلام الإنجليز قد عرضوا بعض الخطب التي تحض على التعصب والتطرف في بعض المساجد الموجودة بالبلاد. فقد تم تصوير بعض الدعاة الذين تلقوا تدريبهم في المملكة العربية السعودية وهم يدينون الديمقراطية البريطانية بإعتبارها غير إسلامية، ويمجدون حركة طالبان في قتلها للجنود البريطانيين. وبعد عرض البرنامج، أدان شهيد مالك، العضو البرلماني والعضو المسلم في حكومة جوردون براون، هؤلاء الدعاة، مناشدًا رئيس قوات أسكوتلاند يارد بخضوعهم أمام المحاكمة، قائلاً:

"نحن محظوظون لأننا نعيش في مجتمع حر، لكن هذا لا يعطي الناس الحق في التحريض على الكراهية العنصرية، وفي إشعال الخلاف والوقيعة. وكل من يفعل ذلك سوف يتم التعامل معه بسرعة وبحزم في ظل القانون، بغض النظر عما إذا كانوا يدعون لذلك باسم الإسلام أو حتى الماشيست البيض، فالأشخاص الكرماء عليهم واجب اقتلاع التطرف من مجتمعاتهم، كما يجب على لجان المساجد أن تبدأ في تولي مسئولية أكبر عمن يتكلمون في المساجد. نحن لا نتحمل أن نسمح لأصوات الشر التي تصدر من قلة أن تعطي صورة سلبية وتشعل نار الشقاق والوقيعة. إنني سعيد باحتجاجات النخبة المسلمة التي أصابها الرعب من دعاة الكراهية في البرامج، كما أدانت كافة المساجد سلوك دعاة الكراهية هؤلاء"(٢٦٠).

أما ما يهم مستقبل الإسلام والمسلمين في القرن الواحد والعشرين، فهو رفض

المسلمون للجماعات المتشددة الوهابية والسلفية، وإدانة استخدام العنف المفرط الذي لا يمارسه الإرهابيون فقط، ولكن المسلمون النشطون في حركات التحرير أو المقاومة المشروعة.

المسلمون في الغرب- أين هم المعتدلون؟

عقب هجمات الحادي عشر من سبتمبر، تلقيت مكالمة تليفونية من أحد أعضاء الكونجرس. كان هناك مجموعة من أعضاء الكونجرس يريدون مقابلة الزعماء المسلمين، شريطة أن يكونوا "من المسلمين المعتدلين". وقد سُئلت عما إذا كنت أستطيع أن أقوم بعمل قائمة تضم هؤلاء الزعماء ثم أعرضها عليهم لمناقشة (فحص) أسماء هؤلاء المرشحين. لكن هذا الطلب أثار العديد من التساؤلات بداخلي. فقد تساءلت عن سبب اختيار كلمة (معتدلين) بدلًا من (تيار المسلمين)؟ وأيضًا عندما يتحدثون عن الزعماء المسيحيين واليهود، هل يسألون عن (المعتدلين) منهم؟". ثم قلت لنفسي: "إن معاملة المسيحيين واليهود بمثل هذه الطريقة سوف تؤدي إلى موجة من الاحتجاج العام!". لكن الأهم، أنني تساءلت أن هؤلاء من يتحدثون عن "المسلمين المعتدلين"، ماذا يقولون عن فشل الحكومة على مدى سنوات في معرفة، والعمل مع، مجتمع أمريكي إسلامي كبير بزعمائه.

إن عدم التفاعل المباشر والشخصي مع أفراد حقيقيين من المسلمين قد يؤدي إلى استخدام مثل هذا التعبير "معتدلين" أو "متطرفين"، وتلك المصطلحات تقف في طريق فهم الإسلام. وكما أشار مارتن مارتي، مدير المشروع المذهبي، أن هناك الكثيرين الذين توسعوا في استخدام مصطلح "متعصب"، مستدلين به على "أية روابط تحفظية قوية مع القوى السياسية التي من شأنها أن تهدد سياسات التحرر أو الأنظمة السياسية الحاكمة"(٢٦١). فالحكومات والزعماء الدينيون أو الحركات التي تدافع عن دور الدين في المجتمع تحت اسم الله، وتعارض حق الشواذ في الزواج أو حق المرأة في الإمامة الدينية توصف بالـ "متعصبة".

دائمًا ما يتم التلاعب في المنطقة التي تفصل بين المسلمين "المعتدلين" في مواجهة "المتعصبين"، حيث يتم المساواة بين التعصب والتطرف الديني أو الإرهاب. وبشكل أكثر تشددًا، يشار إلى المسلم "المعتدل" على أنه شخص "مثلنا". لذلك، فبالنسبة للعديد من العلمانيين في الغرب، فإن المسلمين المعتدلين هم الذين يدافعون عن الليبرالية

والعلمانية. وينظر إلى المسلمين سواء أكانوا محافظين أو أصوليين على أنهم متعصبون ضيقو الأفق، مريبون أو متطرفون. لكن المسلمين العلمانيين أو أصحاب الرؤية الخاصة دائمًا ما يقعون في الفخ نفسه، مستبدلين كلمة "معتدل" بمصطلح "أصولي" كي ينحوا أو يسخروا من هؤلاء الذين يتخذون موقفًا أكثر تحفظًا. فمنذ عدة سنوات، نشرت مناظرة بين الفكر الإسلامي المعتدل والمتطرف، فاتضح أن هناك سوء تفاهم. وأوضح أحد المفكرين الأمريكيين ضرورة الحاجة إلى إصلاح إسلامي مثلته الباحثة الإسلامية أمينة ودود (التي هي مثله)، المسلمة المعتدلة. لكن ما هو معياره في القياس؟ إنها أمت المصلين من الجنسين في إحدى صلوات الجمعة. وبينما يعتقد الكثير منا سواء من المسلمين أو اليهود أو المسيحيين أنه من الممكن أن تصبح النساء كهنة أو حاخامات أو أئمة، إلا أن التيار العام لا يؤمن بذلك. وبهذا المعيار، هل يمكن أن ينجح الكهنة والكاثوليك المحافظون، والإنجليكانيون، والمعمدانيون، والبروتستانت، والأرثوذكسيون، واليهود- في اختبار "الاعتدال" بينما هم لا يؤمنون بأحقية المرأة في شغل مكانة دينية؟ هل سوف يعدون من "الأصوليين" أو "المتطرفين" الدينيين إذا عارضوا تكهين المرأة، وزواج الشواذ، والإجهاض أو القتل الرحيم؟

إذًا، ما هو المعيار لتقييم الأمريكي المعتدل أو الأوروبي المسلم؟ هل المعتدلون هم من يقبلون التكامل مع الحفاظ على جزء من هويتهم وقيمهم، أم هل يجب عليهم أن يستوعبوا كل شيء بالكامل؟ هل تعد المرأة المسلمة معتدلة إذا ما ارتدت الحجاب، وقامت بالفروض الخمسة، وتجنبت الخمر، ورفضت الرقص مع الرجال؟ فبالنسبة للبعض، يتطلب الاختبار ما إذا كان المسلم يقبل السياسة الأمريكية في الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، والعراق، وأفغانستان، وباكستان، وكشمير، والشيشان.

إن كاريكاتير الإسلام والمسلمين ومعادلة مصطلح "معتدل" مع الليبرالية الغربية تجعل الكثيرين يرون المسلمين بشكل أكثر تحفظًا والدين الإسلامي بأكمله كتهديد. وكما لاحظنا قبل ذلك، ذكر استطلاع رأي جالوب بجريدة USA Today عام ٢٠٠٦ أن ٤٤٪ من الأمريكيين قالوا: إن المسلمين في غاية التطرف في ممارسة دينهم. كما ذكر ٢٢٪ من الأمريكيين، أي: حوالي الربع، أنهم لا يرغبون في جار مسلم، فأقل من نصف الأمريكيين يؤمنون أن المسلمين مواطنون أوفياء في الولايات المتحدة، لذلك تم اتخاذ إجراءات أمنية لمنع الإرهاب الإسلامي[٢٦٢].

وكما رأينا من خلال هذا الكتاب، أثارت الحرب على الإرهاب أسئلة واختيارات صعبة للمسلمين الأمريكيين والأوروبيين على حد سواء. فتغيير البيئة السياسية والقانونية في الدول الغربية يهدد قبول الآخر للمسلم. فالعديد من المسلمين يواجهون تفرقة عرقية ودينية في العمل، ويخضعون لإجراءات أمنية. وقد أصبح هذا الموقف صعبًا على المؤسسات الدينية مثل: المساجد، والأعمال الخيرية الإسلامية والمنظمات غير الحكومية التي تواجه التحرش، والتفتيش غير المصرح به والاتهام دون حكم قضائي عاجل.

لكن ماذا يحدث إذا ازدادت الأمور سوءًا وحدثت هجمات إرهابية إسلامية في الغرب؟ هل ستسير الحكومات خلف ادعاءات المعلقين الإسلاميين فيما أسموه بالإسلاموفوبيا من حيث سؤال الوطنية في كافة المجتمعات الإسلامية في الغرب، ودعم إجراءات مكافحة الإسلام المهولة التي تنتهك القانون الدولي مستدلة على النموذج الأمريكي الياباني في الحرب العالمية الثانية؟

المسلمون الغربيون: مواطنون وشركاء:

بالرغم من انتهاك الحريات الليبرالية عقب أحداث ٩/١١، تكشف بعض استطلاعات الرأي مثل جالوب وبيو وأخرى أن المجتمع الإسلامي جزء لا يتجزأ من المجتمع الأمريكي. فقد وجد استطلاع رأي بيو بجريدة USA Today أن المسلمين الأمريكيين لديهم وجهات نظر سياسية معتدلة عن المسلمين في باقي أنحاء العالم. فالطبقة الوسطى قد اعتادت الحياة في أمريكا. ويقول لويس لوجو، مدير منتدى بيو للدين والحياة العامة إن: "المسلمين الأمريكيين مثلهم مثل بقية الناس في باقي البلاد لا يرون تعارضًا في أن يكونوا مسلمين ورعين يعيشون في مجتمع عصري"(٢٦٣).

سوف يتأثر المستقبل كثيرًا بجيل المسلمين الشباب من الرجال والنساء الذين ولدوا وترعرعوا في الولايات المتحدة، وقد درس الكثيرون منهم في جامعات القمة في كليات الطب والقانون والتجارة والأعمال. وقد جعلت تربيتهم وخبرتهم الإسلامية الأمريكية جزءًا من هوية المجتمع الإسلامي الأمريكي، ويمتلكون مهارات المنافسة ليس فقط في العمل، ولكن في الميدان العام. ويقول كيث إليسون عضو الكونجرس وأول مسلم منتخب بمجلس النواب الأمريكي:

"حان الوقت كي نأخذ مكاننا على الطاولة ولكننا محدودون بديننا رغم أننا متساوون في الجنسية، فكلنا أمريكيون. فنحن كأمريكيين، نتشارك في كبرياء ومحن كافة الأمريكيين.

فقد أصابنا الحزن مع الشعب في ٩/١١، وفرحنا مع كثير من الأمريكيين مع انتخاب باراك أوباما كرئيس.

يجب أن نكون مواطنين مشاركين في التجربة الأمريكية. إنني أريد أن أرى مجتمعنا يعود لبلدنا- لا أن نغلط غلطة المجتمعات المتعصبة المهاجرة نفسها. إنني أريد أن أرى مسلمين أكثر يخدمون في الكونجرس الأمريكي- بدلًا من الاثنين الموجودين حاليًا. إنني أريد أن أرى مئات الآلاف من المدرسين "المفترض" أنهم مسلمون. يجب أن يكون هناك (سناتورز) ومحافظون، ومشرعون وأعضاء مجالس "مفترض" أن يكونوا من المسلمين. ويجب أن يلبس كل منكم حجابًا أو جلبابًا إذا أراد أن يصلي حينما يريد- معلنًا أن تلك الأشياء رمز لدينه لا تهديد للدولة. أريد أن أرى أمريكيًّا يحتضن عقيدته على أنها شيء خاص به فقط إذا خرجنا من الظل(٢٦٤).

في الوقت نفسه، وفيما يخص الدين والسياسة الخارجية، كانت نصيحة شيرمان جاكسون، أستاذ الدراسات العربية والإسلامية بجامعة ميتشيجان والزعيم الإسلامي البارز، ما يلي:

"يجب أن يكتسب الإسلام في أمريكا استقلالًا تعليميًّا وفكريًّا ضروريًّا للتباحث حول قدرة المسلمين الأمريكيين على الثقة بالنفس. لا يمكن أن نظل معتمدين على فهم العالم الإسلامي لأمريكا كقاعدة لما يتم قبوله كإسلام حقيقي في أمريكا. ولا يمكن أن نعيد غلطة أتباع العالم الإسلامي في اتجاه الحكم على أمريكا على أساس سياستها الخارجية (رغم أننا نتحدث ثانية عن الحقيقة والقوة). كما أننا لا نحتمل أن نبدد عاصمتنا الأخلاقية في تحليل مرتبك لبعض الأحداث المؤسفة التي حدثت في العالم الإسلامي"(٢٦٥).

إن التحديات والأولويات القريبة للعالم الإسلامي سوف تستمر لتتضمن مخاطبة المشكلات الاجتماعية والدينية الداخلية من جانب، وحقيقة أن عقيدتهم ومجتمعاتهم دائمًا ما تكون في موضع الشك، كما أن حقوقهم كمواطنين مهددة بتآكل الحريات المدنية. يجب أن يستمر الزعماء الدينيون الإسلاميون والمجتمعيون في إدانة الأحداث الإرهابية في التجمعات واللقاءات العامة لمكافحة الفكر المتطرف للقلة المتطرفة. يمكن لكافة المسلمين أن يلعبوا أدوارًا مهمة في مخاطبة البيانات المحلية والأجنبية المتطرفة التي تغذي المخاوف من الإسلام وتصور الأغلبية بتلك الأوصاف، كما تعزز ذخيرة الهجمات من اليمين المسيحي والسياسين المناهضين للمهاجرين.

الإصلاح الإسلامي الغربي: الطريق السريع الدولي:

كان بنشوء الإسلام كعقيدة رئيسية في أمريكا وأوروبا أثر في تحول العلاقات ببطء بين المسلمين في الغرب والمسلمين في الدول الإسلامية. فمنذ عدة قرون، كان مصدر السيادة الدينية في العالم الإسلامي هو المراكز الإسلامية، أو كتابات وتفاسير العلماء والمفكرين والنشطين. كان انتقال وتبادل المعرفة والآراء يتم في اتجاه واحد. واليوم، وبينما أصبح المجتمع الإسلامي عالمي جغرافيًا، تدفقت المعلومات والأفكار والمصادر المالية لتؤثر وتتدفق في كلا الطريقين في الحارات المرورية المتعددة في الطريق السريع. فهي حركة تعج يالأفكار والأيدلوجيات والمؤسسات ووسائل المحادثة. كما تتضمن هذه العملية الأفراد (باحثين، ودعاة، وناشطين) والحركات (التيار الأساسي والمتطرفين) والدول المتعددة. هذا الحوار المتبادل بين المعقل والمحيط يحدث من خلال السفر والنشر والمناظرات وشبكة الاتصالات العالمية من التليفزيون والإذاعة وشرائط الكاسيت والدي في دي وما زاد عليها من الإنترنت.

وأدى المناخ الديني والسياسي والفكري الأكثر انفتاحًا في الغرب إلى إنتاج مجال واسع من الباحثين الدينيين والعلمانيين والنشطاء والزعماء الذين تلقوا تعليمهم بأمريكا وأوروبا، والذين أصبحت كتاباتهم ذات أهمية وتأثير في الغرب والعالم.

قام الكثيرون بتعقب الأفكار الإصلاحية في انتقاد القرآن والحديث (وسنة الرسول) والإصلاح القانوني. وأنتجت خبرات المسلمين في الغرب انعكاسًا جادًا حول الحاجة إلى إعادة التفسير والإصلاح. تحدث المصلحون حول قضايا إيمانية وممارسات والزعامة والسلطة الدينية، إلى جانب التعددية الدينية والسياسية وحقوق الأقليات (مسلمين وغير مسلمين) والتسامح وحقوق المرأة والعلاقات بين الجنسين، والمشاركة في حوار الأديان محليًا وعالميًا.

كان المسلمون في البداية متخوفين من حوار الأديان بسبب أن من بادر به كان المسيحيون، مثل حوار الكاثوليك مع البروتستانت. كانت ذكريات المستعمرين والمبشرين الأوروبيين إلى جانب الهيمنة السياسية والاقتصادية المستمرة من العالم الغربي - قد أدت إلى حيرة البعض حول ما إذا كان الحوار عن التعددية الدينية وحوار الأديان هو عبارة عن إمبريالية ثقافية متخفية. ولم يمض وقت طويل حتى أصبح المسلمون جزءًا

من الحوار محليًا وعالميًا، مع الفاتيكان ومجلس الكنائس العالمي والمجلس القومي للكنائس ومؤتمر الولايات المتحدة للأساقفة الكاثوليك، بالإضافة إلى المشاركين في الدورات الدينية المحلية في العديد من المدن حول العالم. فحوار الأديان وقضايا التعددية الدينية والسياسية وحقوق الإنسان- قد أصبحت جزءًا مهمًا من الحوار الإسلامي المعاصر.

لعل أهم تأثير للتشتت الإسلامي قد ينتج عن شبكات الباحثين والناشطين المدربين في أوروبا وأمريكا، والذين درسوا على يد علماء مسلمين وغير مسلمين أو في مراكز دراسات إسلامية بكلية سان أنتوني أو مركز أكسفورد للدراسات الإسلامية بجامعة أكسفورد، أو كلية SOAS بجامعة لندن أو كلية لندن للاقتصاد في إدنبره، أو جامعة بريمنجهام، أو السوربون، أو أمستردام، أو ليدن، أو جامعة تمبل أوجورج تاون، أو جامعة هارفارد أو شيكاجو. ويتحدث البعض عن "مافيا التمبل" في جنوب شرق آسيا، مشيرين إلى الطلاب السابقين بجامعة تمبل، الذين تلقوا تعليمهم على يد الأساتذة إسماعيل الفاروقي، وسيد حسين نصر ومحمود أيوب.

ويمكن التعرف على تأثير الأفكار والتعليم الإسلامي الأمريكي أو الأوروبي من مصر والسودان إلى ماليزيا وإندونيسيا من خلال أساتذة ورؤساء جامعات مميزين، وباحثين دينيين ومسئولي حكومات (أعضاء برلمان وأعضاء مجلس وزراء)، وزعماء منظمات إسلامية مثل الثلاثين مليون محمدية في إندونيسيا. وقد أثرت تجربة المسلمين الغربيين كأقلية على الفكر الإسلامي المعاصر والسلوك العام. فبينما انعزل البعض أكثر، تبنى البعض نظرة أكثر تعددية.

التعددية الدينية في القرن الواحد والعشرين: من سيذهب إلى جهنم؟

منذ بضع سنوات، دعاني إلى الغذاء أحد الطلبة المسيحيين. قضينا وقتًا ممتعًا نتحدث عن دراسته، ووالديه، وأصدقائنا من المسيحيين وذكرياته منذ ميلاده. سألته بعد العشاء إذا كان يجب أن نمد جلستنا، فأجاب "نعم" واضعًا ذراعه على كتفي، فأجبته "حتي وإن كنت سوف أذهب إلى جهنم مثل والديك؟". فاحمر وجهه خجلا واستطرد قائلا: "نعم".

بعدها بسنوات حضرت مؤتمرًا عن الإسلام والمجتمع المدني في جنوب أفريقيا. وبعد أن أنهيت كلمتي، جاءني طالب مسلم جنوب أفريقي تلقى تعليمه في جنوب أفريقيا وباكستان والغرب، فأثنى علي وشكرني على كلمتي. لكن جاء تعليقه مطولًا ومبالغًا فيه

حتى أحرجني. فقد نظر إلى الحضور وعلق قائلاً: "هكذا أستاذ إسبوزيتو، نحن نشيد بدورك الممتاز كعالم إسلامي، ونقدر فهمك للإسلام والعمل على تعميق فهم الإسلام في الغرب، لكن هذا بالطبع لا يغير حقيقة أن كونك غير مسلم، سوف تذهب إلى جهنم". ابتسم نصف الحضور مدركين النقطة التي يشير إليها، بينما شعر النصف الآخر بالإحراج لأنه نطق بهذا في وجهي.

لعل واحدة من أكبر تناقضات الدين أنه على مدار عصور بينما يؤمن العديد من المسلمين والمسيحيين برحمة الله ومغفرته وحكمه العادل وأنهم آدميون غير كاملين، مازالت كل جبهة تعطي نفسها الحق في الحكم على الآخر: "إن ديني هو الدين الحق، أما دينك فباطل وسوف تذهب إلى جهنم". فهم يقولون: إنه حتى لو كنت شخصًا طيبًا، فسوف تدخل جهنم ما لم تكن "مسيحيًّا" أو "تعتنق الإسلام". لذلك، يصر الكثيرون أنه إن لم تكن كاثوليكيًا أو بروتستانتيًّا أو مسلمًا ولا تؤمن بإحدى هذه العقائد والأحكام، فإنك حتمًا سوف تذهب إلى جهنم.

نحن ننظر إلى أنفسنا سواء أكنا مسيحيين أو يهود أو حتى كفار على أننا عصريون ومتعددون. نتجنب ونهمش المتعصبين الدينيين في مجتمعاتنا؛ حيث نعتبرهم أقلية غير ممثلة. غير أن الكبرياء الأمريكي في التفريق بين الكنيسة ومعتقدات الدولة يوضح أنه في القرن الواحد والعشرين هناك ٥٠٪ من تعداد السكان يؤمنون أن تشريعنا يجب أن يقوم على الكتاب المقدس، وأن أعضاء اليمين المسيحي (من البروتستانت والكاثوليك) قد أتوا بعقيدتهم لتحمل حكم المحكمة العليا بشأن الانتخابات الرئاسية.

ماذا عن التعصب الإسلامي؟

أي شخص يقرأ الجرائد أو يتابع حقوق الإنسان وتقارير الحريات الدينية يكون على دراية بمشكلات التعددية الدينية والتعصب في العالم الإسلامي. وفي يوم السبت، الموافق الأول من أغسطس ٢٠٠٩، وبعد بضعة أيام من الشغب والعنف حول الادعاءات بأن المسيحيين قد قاموا بتدنيس القرآن، اقتحم قرابة الألف شخص، الحي المسيحي في جوجرا بباكستان. أسفرت المواجهات عن مقتل ثمانية أشخاص، منهم ست سيدات، ونهب وحرق عشرات المنازل. لم تكن تلك الحادثة الوحيدة في باكستان التي تم فيها تكفير الرسول وتدنيس القرآن.

تخشى الأقليات الدينية في العالم الإسلامي، والتي تدعو دائمًا إلى المساواة في حقوق

المواطنة والحرية الدينية، تآكل تلك الحقوق. وتفجرت الصراعات والتوترات الدينية والمجتمعية الداخلية ليس فقط في باكستان، بل في مصر والسودان ونيجيريا وإيران والعراق وأفغانستان وبنجلاديش وماليزيا وإندونيسيا. وتنوعت الانتهاكات ما بين التفرقة والعنف وتدمير القرى والكنائس والمساجد وقتل من فيها. كانت النتيجة أن حدثت مجازر في نيجيريا: مسلمون يذبحون مسيحيين، ومسيحيون يذبحون مسلمين. أما في باكستان والعراق، تفجر التعصب والعنف بين الجماعات المتطرفة والميليشيات المسلحة من السنة والشيعة.

حدثت مشكلات كبيرة. لكن هل قامت الحكومات الإسلامية والزعماء الدينيون بعمل ما يكفي لحل تلك المشكلات؟ لم يفعل الكثيرون أي شيء. وبالفعل، تجاهلت بعض الحكومات الصراعات الدينية الداخلية أو زادت منها كي تشتت الانتباه عن فشلها. ففي بعض الدول الإسلامية (العراق، باكستان والمملكة العربية السعودية) وبعض المجتمعات المسلمة في الغرب، ظهر التوتر في العلاقات الإسلامية الداخلية بين السنة والشيعة، مثلما حدث مع الأحمدية أتباع ميرزا غلام أحمد (١٨٣٥ - ١٩٠٨)، الذي ادعى أنه رسول "غير مشرع" جاء لولاية إلهية من أجل تجديد وإصلاح الإسلام. لذلك، دائمًا ما أدان المسلمون السنة أحمدي نجاد متهمين إياه بأنه غير مسلم يرفض الاعتراف بمحمد كآخر الأنبياء. لكن رغم ذلك، مازالت هناك رياح للتغيير.

يتصارع المسلمون اليوم على قضايا التعددية الدينية على ثلاثة محاور: وضع وحقوق غير المسلمين في الدول الإسلامية، والمسلمون في الغرب وعلاقات السنة والشيعة. وفي الدول الإسلامية، تعد أحد القضايا الأساسية هي وضع وحقوق غير المسلمين في العبادة. أما في الغرب، فإن القضية هي تزايد أعداد اللاجئين والمهاجرين المسلمين في أوروبا وأمريكا وكندا واستراليا التي أوجدت حقوق وواجبات للأقلية المسلمة في الغرب وجعلتها أولوية. وبينما ازدادت الانقسامات بين السنة والشيعة في العراق والخليج وباكستان، كانت هناك أيضًا نماذج من التعاون والتزاوج. ويشعر بعض المسلمين الأمريكيين بالكبرياء في تسمية أنفسهم "سوشي مسلم" "Sushi Moslems"، نتاج الزواج بين كلمتي سنة وشيعة.

يواجه المصلحون المسلمون مقاومة من الفصائل المتحفظة والمتعصبة وهم يتحدون التقاليد القديمة الجامدة. وكما رأينا في الفصل الثالث، فإن تعدد المصلحين المسلمين يخلق

أرضًا للاستجابة البناءة لتحديات الحياة المعاصرة. فالأمريكيون الكاثوليك، باعتبارهم أقلية دينية، أصدروا العديد من الإطارات لفكر الفاتيكان عن التعددية الدينية. فبالاعتماد على خبراتهم، قدم المسلمون الأمريكيون والأوروبيون بعض أهم النظريات عن التعددية الدينية وحقوق الأقلية.

يبني البعض على أسس التعددية الدينية الموجودة بالفعل في التراث الإسلامي. وتلك الأسئلة عن التعددية والمواطنة والحقوق السياسية ليست مهمة فقط من أجل الدول الحديثة التي من الطبيعي أن تقبل فيها المساواة في حقوق المواطنة، بل أيضًا من أجل الدول والجمهوريات الإسلامية ذات الطابع الخاص مثل المملكة العربية السعودية والسودان وإيران وأفغانستان (حركة طالبان) التي دائمًا ما عززت من التعصب ضد العقائد الأخرى والتفسيرات المتعددة للإسلام.

بينما كان المسلمون في الماضي يلجئون إلى العلماء ورجال الإفتاء في الدول الإسلامية من أجل الإجابة عن تساؤلاتهم، فإن قضايا العلاقات الدينية والسياسية والثقافية اليوم ووضع وحقوق الأقليات، والتعددية والتسامح كلها يتم حسمها من قبل المفكرين الإسلاميين والعلماء الدينيين.

تطور الإسلام، واستجاب المسلمون لعالم التعددية الدينية والعرقية. وقد وصف القرآن اليهود والمسيحيين بـ "أهل الكتاب"؛ لأن رسالة الله جاءت على يد رسله: إبراهيم، وموسى وعيسى الذين اتبعتهم أقوامهم. وقد ضمن القانون الإسلامي القديم "الحماية" لليهود والمسيحيين بالحياة وممارسة شعائرهم بشرط دفع فدية "جزية". ولكن اليوم وفي العالم المعاصر، يعني تطبيق نظام الجزية وضع غير المسلمين كمواطنين من الدرجة الثانية.

يبني الإصلاحيون الذين يقومون بنشر فكر التعددية الدينية إعادة تفسير القرآن، مستندين إلى تأكيده على تساوي كافة البشر أمام الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ [الحجرات: ١٣]. لم يكن مراد الله من اختلاف الناس هو حدوث صراع وشقاق، لكنها كانت آية من الله أنه يجب على الناس أن يفهم بعضهم بعضًا ويتبعوا مشيئة الله. لكن كيف يصوغ المصلحون الحجج للجذور الإسلامية من التفاهم والاحترام والقبول المتبادل؟

ولد محمود أيوب، الأستاذ بجامعة تمبل، في لبنان، وتلقى تعليمه في جامعتي

بنسلفانيا وهارفارد. يقول أيوب: إن هناك آيتين في القرآن توضحان أن التطرف الديني ليس له علاقة بتعاليم القرآن ونظرته العالمية: ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ﴾ [الحج:٦٧] أو قوله: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾﴾ [البقرة].

يقول عبد العزيز ساشيدينا الأستاذ بجامعة فيرجينيا: إنه خلال القرون الأولى للتوسع الإمبراطوري، أجاز العلماء أفعال الحكام الذين يحكمون بالقرآن، والذين أبطلوا رسالة التعددية الدينية مطالبين المسلمين بمحاربة الكفار. ساشيدينا، الزعيم والعالم الديني الذي ولد في أفريقيا وتلقى تعليمه في الهند وإيران ثم جامعة تورونتو- يذكر قُرَّاءه أن التطرف الديني قد أصبح ظاهرة شائعة في أديان العالم كافة، خاصة عندما يسعى كل فرد لأن يصبح صاحب الوحي الإلهي. فالكل يحاول أن يسعى إلى التفوق عندما يقابل وجهات نظر دينية أخرى. ذلك النقص في التعددية الدينية وإصرار كل فرد على أن دينه هو وحده الدين الحق هو أكبر عقبة لحوار الأديان؛ لأن كل جهة تفترض أن دين الآخر هو دين باطل.

يشير محمود أيوب إلى أن التعددية الدينية تعكس تعددية الثقافات والبيئات الإنسانية. فهو يرى أن تركيب اللهجة بين الوحدة والتعدد هو ما أكده القرآن الكريم: "الكتاب الذي هو الأصل لكل ما نزل من عند الله، وهو النموذج للكتب المقدسة الأخرى. وبهذا، يقضي القرآن على الفجوة بين إيمان الفرد بعقيدته وتقبله لعقائد الآخرين. ويفرق أيوب بين تعاليم القرآن الصريحة والإيمان الفردي؛ فإن وحدة الإيمان بالله التي تؤدي إلى هوية دينية حقيقية تقبل بالتعددية الدينية" (٢٦٦).

يرى ساشيندا أن "التوحيد" في الإسلام هو الإيمان بوحدانية الله، وهو يوحد المجتمع الإسلامي مع البشرية جمعاء، فالله هو خالق كافة المخلوقات. ويعلمنا القرآن أنه يوم القيامة سوف يحاسب الله الناس على خلقهم كجزء من المجتمع العالمي، بغض النظر عن انتماءاتهم الدينية. فالإيمان بأن "الناس هم مجتمع واحد" هو الأساس لتعددية دينية تفترض المساواة الدينية في حقوق وواجبات كافة البشر "(٢٦٧).

وبالرغم من اعتراف القرآن بالمسيحية واليهودية، يعتبر المجتمع الإسلامي هو "النموذج" أو "الأفضل". فالإسلام والمسلمون في مواجهة المستقبل، مثل المسيحية

والمسيحيين، يخضعون لتحدي توازن الشعور بالتفرد أو الشريعة الخاصة مع الاحترام الحقيقي لعقائد الآخرين. وبالنسبة لساشيندا فإن "اختبار التعددية هو ما إذا كان الدين يرغب في التعرف على أتباع الأديان الأخرى باعتبارهم مواطنون محتملون في العالم القادم". لكن السؤال هو: هل تمنح المواطنة بالرغم من، أو بسبب، اتباع الشخص لعقيدة أخرى؟(٢٦٨) إن وسيلة النجاة لا تعتمد على انتماء الفرد لعقيدة معينة بقدر ما تعتمد على السلوك الأخلاقي والمعنوي.

وبينما يقدم علماء الإصلاح منطقًا دينيًا وينشغلون في الجدل مع نظرائهم من المحافظين، يعكس الرأي العام الإسلامي في أمريكا مواقف متغيرة. ويظهر استطلاع رأي Pew، الذي جرى في فبراير ٢٠٠٨ حول السؤال عن الإسلام والتعددية الدينية- المسار التعددي للمجتمع. فبينما أجمع ٣٣٪ على أن "أرى عقيدتي هي العقيدة الحق التي تصل بنا إلى الحياة الأبدية"، يؤمن ٥٦٪ أن "هناك الكثير من العقائد التي تصل بأتباعها إلى الحياة الأبدية".

تُعرف إنجريد ماتسون وسارة جوزيف، العالمتان المسلمتان، بأفكارهم الإصلاحية المعاصرة عن التعددية الدينية. في عام ٢٠٠٨، أصدر جيرت ويلدرز الفيديو الذي أثار الجدل تحت اسم "فتنة"، ذلك الفيديو الذي استغرقت مدته ربع ساعة، حيث تم اختيار بعض الآيات القرآنية وفي خلفيتها مقتطفات من مشاهد عنف تظهر الإسلام في صورة مشجع للأعمال الإرهابية، ومعاداة السامية واستخدام العنف ضد النساء. ويقارن ويلدرز، وهو برلماني ألماني وزعيم حزب الحرية، القرآن بكتاب هيتلر Mein Kampf المعروف باسم "كفاحي"، قائلا: إنه يجب أن يصادر، ومطالبًا المسلمين باقتلاع آيات "الكراهية" من القرآن. هذا بالإضافة إلى معارضته هجرة المسلمين إلى هولندا.

في أعقاب الجدل الذي أثاره مقطع فيديو "فتنة"، تساءلت إنجريد ماتسون: "ماذا الآن؟". وقد أكدت ماتسون على الحاجة إلى الاحترام المتبادل والتسامح من جانب المسلمين ومن قد يشترك في أية هجمات عرقية، قائلة:

"إن حجتي تتلخص في أننا أيضًا بحاجة إلى أن ننظر لتلك القضية من منظور أوسع؛ حتى نستطيع إيجاد طرق أفضل للعيش سويًا في عالم يضم دائمًا أشخاصًا تختلف آراؤهم ومعتقداتهم، حتى قد تبدو بعضها غريبة أو بغيضة. يجب ألا نبرر أو نعطي عذرًا لأي نوع من أنواع الإرهاب، سواء جاء في صورة هجمات عرقية على المجتمع أو اقتصاص عنيف

من بعض المسلمين ضد من يصرحون بتلك التصريحات، لكن أهم شيء يجب وضعه في الاعتبار هو أننا لا نستطيع أن نحيا سويًا في سلام مع كل تلك الاختلافات إلا إذا كانت لدينا الرغبة في احترام اختيارات الآخرين المختلفة. ليس علينا أن نتفق أو يحب بعضنا بعضًا، بل علينا أن يحترم بعضنا بعضًا. هذا يعني ألا يهين بعضنا بعضًا. كما أن تشويه أو تدمير رموز الآخرين ينتهك أساس مبدأ الاحترام" (٢٦٩).

تقدم سارة جوزيف رئيس التحرير التنفيذي لمجلة (إيميل)، وهي مجلة ذات ترخيص من المملكة المتحدة وتوزع في أكثر من ٣٠ دولة- منظور تعدد آخر تحت عنوان "من المسلم الذي يقف في وجه المسلم؟". وفي رسالة الدكتوراه الخاصة بها، اصطدمت جوزيف بسؤال: كيف يتحول "المسلم" إلى "مسلم"؟. تشرح جوزيف الفرق القرآني بين "المسلم" الذي هو أي شخص يسلم بالله، والمسلم كهوية دينية مؤسسية كالتالي:

يرجع أصل كلمة "إسلام" إلى الفعل العربي (أَسَلَمَ)، والذي يعني التسليم بشيء أو بشخص ما. أما في السياق الديني، فهي تعني تسليم حياة الفرد لله. وفي اللغة العربية، حينما تضع حرف الميم المضموم "مُ" قبل كلمةٍ ما، فهي تشير إلى "الشخص الذي قام بالفعل". هكذا، فإن حرف الميم المضموم "مُ"+ (سْلَمَ) تشير إلى الشخص الذي يسلم نفسه لله.

نحن اليوم في موقف ينظر فيه إلى الإسلام والمسلمين على أنهم كيان مؤسسي. وتصف الكتب الدينية الأخرى الإسلام كدين مؤسسي مستندة إلى المحرمات الموجودة في الدين الإسلامي، وأركان الإسلام الخمسة، وزي وأفعال المسلم، بالإضافة إلى الأوامر والنواهي. فنحن نعرف الإسلام في صورة "اسم" لا "فعل".

كما يوضح محمد ﷺ أنه لم يأت بشيء جديد، وأن القرآن جاء ليؤكد ويذكر بما أرسل من قبله. لذلك، نرى القرآن يشير إلى إبراهيم بأنه مسلم، بمعنى شخص أسلم نفسه لله، لا كواحدٍ من أتباع الدين المؤسسي عقب القرن السابع.

ويقول الله في القرآن: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[آل عمران:١٩]. تلك هي رسالة جميع الأنبياء، بداية من آدم وكل من جاء بعده (٢٧٠).

ويرى فتحي عثمان، المفكر المصري الأمريكي الذي تلقى تعليمه في جامعتي الأزهر وبرينستون أن مسألة التعددية في الإسلام تظهر بوضوح، ليس فقط في عبارة "نسل إبراهيم" التي تجمع اليهود والمسيحيين والمسلمين، بل تظهر أيضًا في نص القرآن صراحة.

لذلك، فإن حوار الأديان الإسلامي يجب أن يشمل الهندوس والبوذيين والطاوية وأتباع العقائد الأخرى بناء على تعاليم القرآن الكريم الذي يقول: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء]. ويؤكد عثمان أنه يجب على المسلمين، ليس فقط احترام بعضهم البعض، لكن عليهم واجب ضمان حرية العقيدة والرأي (ونرى ذلك في سورة البقرة الآية ٢٥٦) والتعبير لكافة الخلق (سورة البقرة الآية ٢٨٢). فالاعتراف بكافة الناس أبناء آدم وتقبلهم يكون الأساس لتطور العلاقات الكونية والأخلاق العالمية[٢٧١].

يواجه المسلمون في القرن الواحد والعشرين تحديًا يكمن في مزج التعددية الداخلية من حيث إعطاء مساحة رحبة للحوار الديني والتصرف نحو الآراء البديلة والأصوات المتنافسة بداخل الإسلام. وللأسف، هناك قلة من المسلمين، مثل الميسيحيين الذين يتمسكون بعقيدتهم بشدة، يفتقدون وجهة النظر التعددية في سلوكهم تجاه الأديان الأخرى ومتبعيها. لذلك، فكل من ينادون بتعميم الإسلام وتطبيقه يشتركون في سياسة "التكفير"، ليس فقط لأتباع العقائد الأخرى، بل حتى للمسلمين الذين يختلفون معهم، واصفين إياهم بالكفار والملحدين. وهناك البعض الذين يمارسون التفرد الديني وعدم التسامح، لكن في الوقت نفسه لا يمارسون أية أعمال عنف، بينما هناك آخرون من المتطرفين المسلحين الذين يهددون ويقومون بأعمال عنف وإرهاب.

تحدي التعددية في الديمقراطيات الغربية العلمانية:

إن حقائق العولمة والهجرة وتدفق الجنسيات والأعراق الجديدة والجماعات الدينية إلى أمريكا وأوروبا- يهدد المفاهيم المتقبلة للتعددية الثقافية في الدول الغربية التي تنظر لنفسها على أنها مجتمعات يهودية- مسيحية أو علمانية. لكن هل يمكن أن يتسع إدراكنا للتعددية كي يتقبل "الآخر" الجديد بتشابهه ومصالحه المشتركة وباحترام اختلافاته؟ فبينما يواجه المهاجرون تحديًا من حيث تقبل مسئولية شق طريقهم، يصبح هناك تحدٍّ مساوٍ من جانب أصحاب الأرض من حيث توفير الهياكل المؤسسية وفرص التعليم والتوظيف التي يحتاجها المهاجرون كي يصبحوا جزءًا من الثقافة الغالبة. ومثل المهاجرين الذين سبقوهم، يتطلع المسلمون في الغرب إلى دور مؤثر، ولأن يكون لهم الحقوق والواجبات نفسها، وأن يتم الحكم عليهم كما يتم الحكم على المواطنين الأصليين. وتظهر استطلاعات

الرأي حول سلوك الأمريكيين تجاه الإسلام الحد الذي يظل فيه الإسلام خارج نطاق نموذج التعددية. وبسؤالهم عن سبب تحيزهم ضد الجماعات الدينية، يقول ٧٢٪ من الأمريكيين: إنهم لا يتحيزون ضد اليهود، في حين قال ٣٤٪ الشيء نفسه عن المسلمين. وفي عام ٢٠٠٧، قال ١٩٪ من الأمريكيين: إنهم يتحيزون "بقدر كبير" ضد المسلمين، ثم انخفضت النسبة إلى ١٥٪ في عام ٢٠٠٩. لكن الأمريكيين يرون الإسلام بصورة أكثر سلبية، أشار إليها ٥٩٪ من الأمريكيين الذين أعلنوا عن وجهة نظر غير محببة تجاه العقيدة نفسها. أما النسبة التي ذكرت أنها تعتقد أن "التيار العام للإسلام يشجع العنف"، فقد تضاعفت عقب أربعة أشهر من أحداث الحادي عشر من سبتمبر لتصبح ٣٤٪ في عام ٢٠٠٦(٢٧٢) بعد أن كانت ١٤٪. أما نسبة الأمريكيين الذين يعتقدون أن "الإسلام لا يعلم قيم احترام عقائد غير المسلمين"، فقد قفزت من ٢٢٪ في عام ٢٠٠٢ إلى ٤٣٪ في عام ٢٠٠٣.

ليس من المفاجئ أن تلاحظ اختلافات جوهرية في السلوكيات استنادًا إلى ما إذا كان أحد الذين تم أخذ رأيهم قد تعرف على مسلم من قبل. فهناك ١٠٪ فقط ممن خضعوا لاستطلاع رأي جالوب عام ٢٠٠٦ كانوا قد تعرفوا على مسلمين من قبل، في مقابل ٣١٪ لم يتعرفوا، بل وقالوا: إنهم لا يرغبون في جار مسلم. وقد تجد اختلافات مشابهة فيما يخص الإجراءات الأمنية التي تتخذ ضد المسلمين خوفًا من ركوب طائرة فيها رجل مسلم(٢٧٣). ففي وقت ما عندما كانت معرفة الإسلام والمسلمين أمرًا مهمًا حدث تغير بسيط ما بين عامي ٢٠٠٢ و٢٠٠٧ في نسبة الأمريكيين الذين قالوا: إنهم لا يعرفون شيئًا على الإطلاق (٢٤٪) أو يعرفون القليل (٤١٪) عن الإسلام. وما بين عامي ٢٠٠٧ إلى ٢٠٠٩، تحسنت الصورة بشكل بسيط؛ حيث إن النسبة التي أعلنت عن جهلها انخفضت قليلا من ٦٥٪ إلى ٥٩٪، وهو رقم لايزال مقلقًا. أما بالنسبة للأمريكيين الذين أعلنوا عن وجهة نظر غير محببة تجاه الإسلام، فقد انخفضت من ٥٩٪ عام ٢٠٠٧ إلى ٥٤٪ في عام ٢٠٠٩(٢٧٤).

بناء ثقافة تعددية عالمية:

من مصر إلى السودان ومرورًا بماليزيا وإندونيسيا، تتميز معظم الدول الإسلامية بمجتمعاتها متعددة الأديان، في حين ينتشر المسلمون حول العالم كمجتمعات أقلية دينية.

لذلك، نجد المسلمين اليوم- مثل اليهود والمسيحيين وأتباع الديانات الأخرى- يواجهون عالمًا، حيث أصبحت التعددية الدينية القوية ضرورة ومسألة عقيدة ومواطنة.

نجد حول العالم المبادرات المحلية والعالمية حول حوار الأديان والحضارات تنتج أفكارًا وأفعالًا جديدة. فالمنظمات المسيحية والإسلامية في الدول التي يوجد بها الكنائس القديمة (في مصر ولبنان وباكستان وماليزيا وإندونيسيا) تتجه للحوار وتتبادل برامج تعزز التفاهم والاحترام المتبادل، حتى الجامعات في مصر وقطر ولبنان وإندونيسيا قد وضعت برامج عن الأديان المتنافسة. أما الخليج: الإمارات، وقطر، والبحرين، والكويت، فقد أصبح اليوم بيتًا للكنائس المسيحية. وقد انضمت لتلك القائمة دولًا مثل الأردن في استضافة حوارات الأديان السنوية مع اليهود والمسيحيين. لكن، هناك دولٌ مثل السعودية مازالت تلقى نقدًا من منظمات الحريات الدينية وحقوق الإنسان بسبب حظر بناء الكنائس وحرية المسيحيين في ممارسة شعائرهم الدينية.

وفي الولايات المتحدة، تشارك المنظمات القديمة- مثل مركز الوليد بن طلال للحوار الإسلامي- المسيحي التابع لجامعة جورج تاون، ومركز دنكن بلاك ماكدونالد لدراسة العلاقات المسيحية- الإسلامية التابع لمعهد هارت فورد- مع عدد لا نهائي من المراكز الجديدة والمبادرات الدولية التي تهدف إلى تعزيز التفاهم بين الأديان.

جذب الرئيس الإيراني محمد خاتمي اهتمام المجتمع الدولي. فعقب حوار لشبكة CNN مع كريستيان أمانبور في عام ١٩٩٨، قام الرئيس الإيراني- المنتخب وقتها- بإثارة دهشة الكثيرين بدعوته إلى "حوار الحضارات" ردًا على نظرية صامويل هانتينجتون عن "صدام الحضارات". وقد تبنت الأمم المتحدة بالتالي قرارًا في عام ٢٠٠١ بأن يكون هذا العام هو عام "الحوار بين الحضارات".

يعد تتبع المبادرات الدولية لحوار الأديان والحضارات عقب أحداث الحادي عشر من سبتمبر أمرًا شاقًا. فأحيانًا، كما قال الراحل جيمي دورانت، تشعر وكأن "الجميع يحاولون المشاركة في هذا الفعل". وبالرغم من احتمالية إثارة ندوات وخطاب رجال الدين البارزين والزعماء العالميين، إلا أن الاختبار يكون في مدى تأثرها. هل هي خطابات تنعش الأذن أم هي تقارير تحفظ في الأدراج، أم أنها تأتي بمبادرات للتغيير الحقيقي في السلوك والأفعال؟ هل يقوم الزعماء الدينيون بالتوقيع على المبادرات فقط، أم أنهم يقومون بتطبيق هذا التغيير تعاليم مجتمعاتهم الدينية، وفي الدورات التدريبية

والمدارس والجامعات؟ هل يستثمر زعماء العالم ويطبقون مشروعات تخاطب الحاجات التعليمية والاقتصادية لشباب المسلمين وتدعم مشروعات الثقافة العامة (الإعلام والفنون والإنترنت) التي ترتقي بالمعرفة الثقافية والتفاهم والاحترام؟ أم هل سيخاطرون بعنصرية أكبر ثم يعتمدون على الحل العسكري وحده؟

من بين كافة المبادرات الدينية والثقافية التي أعقبت أحداث الحادي عشر من سبتمبر، كان هناك مجلس منتدى الاقتصاد العالمي لـ ١٠٠ زعيم (س - ١٠٠)، وتحالف حضارات الأمم المتحدة، ومشروع مطرانية كانتربري للتواصل، وحوار الأزهر والفاتيكان، وبرلمان الأديان العالمية، ومنظمة المؤتمر الإسلامي (OIC).

في يناير ٢٠٠٤، أطلق المنتدى الاقتصادي العالمي (WEF) حوارًا إسلاميًّا غربيًّا عالميًّا من أجل تحريك مجتمع التجارة الدولية، والارتقاء بالوعي والتعاون بين الدول الغربية والمسلمين. عقدت المبادرة بحضور مجلس مكون من مائة زعيم سياسي وديني وإعلامي، بالإضافة إلى المفكرين ورجال الأعمال. وقد رأس الاجتماع أسقف كليفتون، والأسقف كاري، ومطران كانتربري سابقًا والأمير تركي الفيصل آل سعود الذي شغل منصب رئيس جهاز المخابرات السعودي، وسفير بريطانيا والولايات المتحدة، ورئيس مركز الملك فيصل للأبحاث والدراسات الإسلامية- كان الهدف من هذا الاجتماع هو:

"تعزيز ثقافة الاحترام والتعاون والفهم المتبادل بين العادات المختلفة، والتغلب على الخلافات وسوء الظن الذي هو سمة العصر. فأفضل تأثير للحوار في التعليم والإعلام والدين والتجارة يأتي من المبادرة، وسوف يقوم مجلس (س- ١٠٠) بتبني حوار ثقافي يتغلب على الفجوات عن طريق الالتزام بالقيم والأهداف المشتركة، مع وضع برنامج تفاعلي مشترك يأتي بنتائج عملية وتغيير وتعاون ملحوظ"[٢٧٥].

في عام ٢٠٠٧، تمكن استطلاع رأي جالوب عن توقعات نسب السكان والسلوكيات من ملاحظة الانقسام العميق بين المجتمعات الغربية والإسلامية. فقد كشف الاستطلاع نسبًا متدنية من التفاؤل تجاه حوار "الإسلام والغرب". وقد بلغ المعدل في الواحد والعشرون دولة التي جرى فيها الاستطلاع- حوالي ٣٧٪ (حيث إن ١٠٠ هو العدد الأقصى للتفاؤل). أما في كافة الدول فيما عدا بنجلاديش وباكستان)، آمنت

الأغلبية بأن التفاعل بين المجتمعات الإسلامية والغربية يزداد سوءًا. وأشار الاستطلاع إلى أنه بينما يقول ٦٥٪ من الأشخاص الذين خضعوا لاستطلاع الرأي في الدول التي يوجد بها أغلبية مسلمة أن المسلمين يحترمون الغرب، يشعر ٦٠٪ أن الغرب لا يحترم المسلمين. وبشكل عام، فقد أجمع على ذلك ٦٠٪ من الأمريكيين والأوروبيين.

يقدم التقرير السنوي: "الإسلام والغرب، حالة حوار"، والذي هو نتاج تعاون مشترك بين صندوق الاقتصاد العالمي وجامعة جورج تاون، قائمة بالدول التي تقوم على توقعات المواطنين بالنسبة للعلاقات بين العالمين الغربي والإسلامي كما تصورها الجرائد والتليفزيون من خلال أربع وعشرون دولة. ومن بين الرموز الدينية الشهيرة في التليفزيون، كان الإسلام والمسلمون هم الأكثر تميزًا؛ حيث إن ٥٦٪ من الأفراد والمجموعات كانوا على دراية بالدين. ثم جاءت المسيحية، بنسبة أتباع بلغت ٢٨٪، كما احتلت اليهودية نسبة ٤٪. هكذا، لم تحقق أية عقيدة أخرى أكثر من نسبة ١٪ واضحة.

وعلى عكس التغطية الإعلامية للأديان، تتشكك معظم التقارير التي تتحدث عن المسلمين في انضمامهم لأنشطة سياسية وعسكرية وتطرفية. وبينما كان المسيحيون واليهود وأتباع العقائد الأخرى يصورون على أن بعضهم يشتركون في أنشطة دينية (في نسبة ٧٥٪ من البيانات في المتوسط)، يصور المسلمين على أنهم لا يشتركون سوى في أنشطة دينية (في نسبة ١٣٪ من البيانات). وقد ركزت ٦٨٪ من التغطيات الصحفية على الأنشطة السياسية والعسكرية. كما ارتبط اسم المسلمين بالأنشطة الأصولية والمتطرفة بأكثر من ستة أضعاف أتباع العقائد الأخري[٢٧٦].

قال التقرير: إن نتيجة الحوار جاءت ذات تأثير محبط. فالعديد من المبادرات قد تختلط وتتشابك، وبالتالي تضيع فرص التعاون؛ حيث تكون بمثابة مونولوج وليس بمثابة "ديالوج" أو حوار. فيستمر تركيز الإعلام والرأي العام على العنف والإرهاب من أجل تعزيز الاستقطاب والنماذج النمطية. لذلك، ليس من الغريب أن يؤكد التقرير أن الحوار ليس بديلاً عن الزعامة السياسية أو إحراز تقدم في الصراعات الحالية مثل: تحقيق السلام الفلسطيني- الإسرائيلي الذي يجمع بين الأمن مع حق تقرير المصير، إلى جانب تحقيق استقرار أكبر ورخاء وديموقراطية، وفرص متساوية للمسلمين وغير المسلمين. هذا بالإضافة إلى نمو اقتصادي، وتنقل تصاعدي، والوصول إلى التعليم والرعاية الصحية[٢٧٧].

بالرغم من تحقيق بعض النجاحات في مؤتمر (س- ١٠٠)، إلا أنه فشل في جذب اهتمام كبير أو في توليد برامج ديناميكية في المؤتمر الاقتصادي العالمي، حتى إنه ذاب في إعادة هيكلة المنتدى الاقتصادي العالمي في عام ٢٠٠٨.

افتتح كوفي عنان، أمين عام الأمم المتحدة، اتحاد الحضارات المعروف باسم AOC في عام ٢٠٠٥ تحت رعاية رؤساء وزراء إسبانيا وتركيا. وفي التقرير النهائي، أعلنت الهيئة العليا للاتحاد HLG في بيان صدر عن عشرين زعيمًا من مختلف أنحاء العالم، أن التاريخ والاختلافات الدينية لا تقع عليهما أدنى مسئولية فيما يخص الصراعات والتوترات بين المسلمين والغرب. وتعد الجذور الأساسية للمشكلة هي جذور سياسية مثل القضية الفلسطينية- الإسرائيلية التي تعد أحد أركان الصراع بين الغرب والمجتمعات الإسلامية. أما أحد أخطر التهديدات لاستقرار المجتمع الدولي، فهي تتمثل في العمليات العسكرية الغربية ضد الدول الإسلامية، وارتفاع حصيلة القتلى في العراق وأفغانستان، إلى جانب سياسة الكيل بمكيالين في تطبيق القانون الدولي وحماية الحقوق الإنسانية.

يلقي التقرير الضوء على أهم وأخطر الاتجاهات في المجتمع الإسلامي، والتي تؤدي إلى الانقسامات والعنف والتطرف مثل: الجدل الداخلي بين قوى التطور وقوى الرجعية فيما يخص القضايا السياسية والاجتماعية، والرموز الدينية التي تدافع عن التفسيرات السطحية والمشوهة لتعاليم الإسلام والتي "تسيء إلى صورة الموروثات الثقافية كالقتل في سبيل الدفاع عن الشرف، والعقاب البدني، وقمع النساء" كمتطلبات دينية، هذا بالإضافة إلى مقاومة الإصلاح والقمع السياسي في العديد من الدول الإسلامية. وبالنظر إلى الأسباب السياسية لا الأسباب الدينية أو الثقافية التي تتسبب في الصراعات الحالية، نجدها أسبابًا يمكن حلها فقط إذا جاءت من خلال الإرادة السياسية اللازمة.

كانت من أهم توصيات التقرير:

(١) عقد مؤتمر دولي من أجل إعادة إحياء عملية السلام في الشرق الأوسط، مع الوضع في الاعتبار أن غياب الحل للصراع الفلسطيني الإسرائيلي سوف يجعل كل الجهود من أجل سد الفجوة بين المسلمين والمجتمعات الغربية- تقابل بنجاح محدود.

(٢) إعطاء مساحة لمشاركة كاملة من الجماعات السياسية الداعمة للسلام، سواء أكانت دينية أو علمانية، حيث إن قمع العلاقات السياسية السلمية هو أهم عامل لتحولها إلى جماعات متطرفة.

أما التوصيات الأخرى، فقد تضمنت إعادة نظر الحكومات والزعماء الدينيين في دقة وتوازن المواد التعليمية عند مناقشة العقائد الدينية، والتدريب الإعلامي للصحفيين على فهم الثقافات المختلفة من أجل تشجيع التغطية الصحيحة والمتوازنة، والقيام بحملات إعلانية تتصدى للتفرقة وتبرز إسهامات المهاجرين الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، والفائدة من التنوع الثقافي، وخلق برامج لتبادل الشباب تعزز من إدراك الثقافات المختلفة وتطوير المواقع الإلكترونية الخاصة بالشباب لتربطهم بالزعماء الدينيين الذين يتناولون التحديات التي تواجه الشباب اليوم[٢٧٨].

ويستمر مؤتمر AOC في العمل من أجل تحقيق الكثير من تلك الأهداف وتطوير المشروعات الهادية. ومن بين تلك المشروعات: مشروع سيلاتك Silatech، الصندوق الإعلامي AOC Media Fund، والمبادرات الدبلوماسية تحت اسم Track II. أما سيلاتك، فهي مبادرة من أجل مخاطبة الشباب، تبحث حاجة الشباب المتزايدة في البحث عن عمل وفرص اقتصادية بدعم ١٠٠ مليون دولار من الشيخة موزة بنت ناصر المسند أميرة قطر وعضو مؤتمر HLG. يعد خمس من سكان العالم الإسلامي دون سن الخامسة عشر، والثلثان دون سن الثلاثين. هذا يعني أن لدينا حوالي ١٠٠ مليون عامل جديد يستعدون لاقتحام سوق العمل خلال العشرين عامًا القادمة. وتقدم مبادرة سيلاتك عددًا كبيرًا من الوظائف، والشراكات والوصول برءوس الأموال والأسواق إلى الشباب في العالم العربي.

أطلق صندوق AOC الإعلامي، الذي أنشئ بالتعاون مع شركات الإعلام الخيرية الخاصة والعالمية، حملة تأييدية إعلامية دولية. كان الهدف من تلك الحملة هو رفع مستوى الوعي لدى الشعوب حول تداعيات الصورة النمطية في جميع أنحاء العالم والعمل على التصدي للمفاهيم الخاطئة. وقد قام الصندوق بعمل صندوق للفيلم Film Fund يهدف إلى دعم ابتكار الأعمال الإعلامية الترفيهية التي تصور الأقليات العرقية والدينية بصورة أكثر توازنًا. يقول موقع الصندوق:

"يعد الإعلام الترفيهي هو المسئول الأول عن العديد من التصورات والمفاهيم الخاطئة، التي تزيد من الصراع بين الغرب والمجتمعات الإسلامية. فتصوير العدوان الغربي ضد الشعوب المسلمة هو عامل أساسي يساهم في التطرف الإسلامي حول العالم طبقًا لما كشفه استطلاع رأي جالوب ردًا على سؤال: "من يتحدث عن الإسلام؟" في عام

٢٠٠٨. ويربط البحث بين الصور الإعلامية العنيفة والمهينة للأقليات العرقية والإسلامية وزيادة الصراع. لذلك، فطريقة الإعلام في صياغة القصص حول الأقلية من الجماعات الدينية والعرقية قد أصبحت في غاية الأهمية" (٢٧٩).

أما مبادرة Track II للمشاريع الدبلوماسية، فبالرغم من عدم وضوحها إلا أنها في غاية الأهمية؛ حيث تتناول قضايا مثل الصراع الفلسطيني - الإسرائيلي والعلاقات الأمريكية-الأوروبية مع الحركات الإسلامية. لم ترغب الكثير من الحكومات في إشراك زعماء الحركات الإسلامية بشكل رسمي في المبادرة، خاصة جماعتي حزب الله وحماس اللتين تورطتا في صراعات مسلحة. لكن مبادرة Track II، التي تعد مبادرة دبلوماسية غير رسمية، تستطيع أن تأتي بمسئولين حكوميين سابقين ومسئولين عسكريين، صناع قرار، وشخصيات عامة، وعلماء، وزعماء مجتمع مدني، وناشطين دينيين ومستشاري سياسة خارجية من أجل الاشتراك في نقاشات وحوارات غير رسمية تعزز التفاهم، وبناء الثقة وحل الصراع.

المبادرات الإسلامية متعددة الأديان:

تعد مبادرتي "رسالة عمان" Amman Message برعاية الأردن (٢٠٠٤-٥) ومبادرة "كلمة سواء بيننا وبينك" A Common Word Between Us and You (٢٠٠٧) هما أهم مبادرتين إسلاميتين دوليًا. فكلتا المبادرتين مثال للرد الإسلامي على اتهامات التطرف الديني والإرهاب العالمي، وعلى الجهد المبذول لتحريك الزعماء الدينيين وغيرهم لبناء جسور التواصل. لكن التغطية الإعلامية المحدودة للمبادرتين تعكس التيار العام لدى الإعلام من حيث عدم الاهتمام بـ "الأخبار الجيدة".

رسالة عمان:

نتيجة لتهديدات منظمة القاعدة والعديد من الإرهابيين الآخرين، والدعوة إلى التطرف الديني والحروب الطائفية في العراق، وعدم وجود سلطة دينية مركزية للإسلام، يتساءل الكثيرون "من يتحدث عن الإسلام؟". في عام ٢٠٠٤، حاول الملك عبد الله ملك الأردن أن يخاطب الجماعات الدينية المتطرفة والمسلحة بأن جمع الزعماء الدينيين على الخروج ببيان حول طبيعة الإسلام الحقيقي "لتوضيح ما هو من الإسلام وما ليس من الإسلام، وما هي الأفعال التي تمثله والتي لا تمثله"، مؤكدين جوهر القيم الإسلامية التي

تدعو إلى الإحسان، والاحترام المتبادل والتسليم وحرية العقيدة[٢٨٠]. أوصت رسالة عمان برفض التطرف كشكل منحرف للفكر الإسلامي، كما أكدت التسامح والإنسانية كقاعدة مشتركة بين العقائد والشعوب المختلفة.

وقد طلب من أربعة وعشرين عالمًا دينيًا من مختلف أنحاء العالم الإسلامي أن يجيبوا عن ثلاثة أسئلة، وهي: (١) من هو المسلم؟ (٢) هل يجوز تكفير شخص ما؟ (٣) من له الحق في إصدار الفتاوى؟ كانت آراء هؤلاء العلماء هي الأساس للمؤتمر الإسلامي الدولي الضخم الذي عقد في يوليو عام ٢٠٠٥ بحضور ٢٠٠ عالم مسلم من خمسين دولة حول العالم. وبناء على فتاوى ثلاثة من أكبر الزعماء الدينيين من السنة والشيعة، من بينهم الشيخ سيد طنطاوي شيخ الأزهر والعالم العراقي آية الله السيستاني والشيخ يوسف القرضاوي، تناول العلماء الصراع الإسلامي الداخلي والعنف، والمتطرفين الذين يصدرون الفتاوى من أجل تبرير أجنداتهم. وقد أصدر المشاركون بيانًا ختاميًا نص على:

- تأكيد وحدة وشرعية المذاهب الإسلامية الثلاثة: السنة والشيعة والإباضية، والاتفاق على تعريف واحد للمسلم وهو: كل شخص يؤمن ويتبع أحد القوانين الثمانية لمدارس السنة والشيعة والإباضية (الإباضية هو النموذج الإسلامي في عمان).
- تحريم إعلان التكفير بين المسلمين.
- وضع قواعد للفتوى الشرعية تتلخص في أنه ليس لأحد الحق في إصدار فتوى دون التمتع ببعض المؤهلات الشخصية التي يحددها فقه المذاهب الثلاثة، وأن كل من يصدر فتوى يجب أن يلتزم بمبادئ الفقه الإسلامي.

وقد حصل هذا البيان وتلك التوصيات على إجماع عريض. وتبنت منظمة المؤتمر الإسلامي تلك التوصيات في ديسمبر ٢٠٠٥، تلك المنظمة التي تمثل الزعامة السياسية لسبع وخمسين دولة ذات أغلبية إسلامية، كما أنها واحدة من أكبر ست مجالس إسلامية دولية منها مجلس الفقه الإسلامي بأكاديمية جدة في يوليو ٢٠٠٦. في المجمل، أيد أكثر من ٥٠٠ عالم إسلامي بإجماع رسالة عمان. هكذا، وللمرة الأولى في التاريخ، يجمع عدد كبير من الزعماء الدينيين الذين يمثلون الإسلام في مختلف أنحاء العالم على إصدار بيان رسمي[٢٨١].

وبالنظر إلى مغزى هذه الأحداث والبيانات، كيف وصلت للإعلام الغربي، والجرائد الكبيرة وكتابات المعلقين السياسيين؟ لم تلق تلك البيانات أية تغطية أو حتى تغطية لا تذكر في وسائل الإعلام الشهيرة في أمريكا وأوروبا.

كلمة سواء (Acommon word):

في سبتمبر ٢٠٠٦، ألقى البابا بنديكت كلمة في رجنسبرج بألمانيا أغضبت كافة المسلمين حول العالم. نقل البابا بنديكت مقولة قالها إمبراطور بيزنطي في القرن الرابع عشر عن النبي محمد: "أروني ما هو الجديد الذي أتى به محمد، ولن نجد سوى شر ولا إنسانية مثل أوامره بنشر الدين الذي يدعو إليه بالسيف". إن الادعاء بأن محمدًا قد نشر الإسلام مستخدمًا السيف هو أمر نفاه الكثير من العلماء المسلمين وغير المسلمين لعدم دقته.

وقد جاءت كلمات البابا أكثر سخرية عندما ذكر أن الآية القرآنية التي تقول: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ [البقـرة: ٢٥٦]، قد نزلت في السنوات الأولى لنبوءة محمد في مكة، وهو الوقت الذي كان فيه محمد "مازالت دعوته ضعيفة ومهددة"، إلا أنه قد حلت محلها "أوامر" تطورت لاحقًا وسجلت في القرآن فيما يتعلق بالحروب الإلهية". لكن هاتين المقولتين ثبت خطؤهما تاريخيًا. فالسورة الثانية في القرآن ليست سورة مكية مبكرة، فهي في الواقع من عصر مدني لاحق. والقرآن لا يساوي بين الجهاد والحرب. هذا التفسير لمعنى الجهاد قد تطور بعد ذلك عقب موت محمد عندما استخدمه الخلفاء لتبرير حروبهم للتوسع الإمبراطوري والحكم باسم الدين.

وبعد شهر من إلقاء كلمة البابا، أرسل ثمانية وثلاثون عالمًا مسلمًا خطابًا إلى البابا، موضحين فيه مدى قلقهم من الخطاب. وفي الذكرى الأولى للخطاب (٣١ من أكتوبر ٢٠٠٧)، قام ١٣٨ زعيمًا من أكبر الزعماء المسلمين (المفتين والعلماء، والمفكرين، والوزراء الحكوميين، والمؤلفين) من جميع أنحاء العالم بإرسال خطاب مفتوح "كلمة سواء بيننا وبينكم" لأكبر الكنائس المسيحية في العالم. وقد انطلقت المبادرة بالتزامن مع أنباء عن انعقاد مؤتمر إخباري في دبي ولندن وواشنطن. وكان فحوى الرسالة:

"يمثل المسلمون والمسيحيون أكثر من نصف سكان العالم. وبدون سلام وعدل بين هذين المجتمعين الدينيين، لن يكون هناك سلام جاد في العالم. فمستقبل العالم يعتمد على السلام بين المسلمين والمسيحيين".

إن القاعدة للسلام والتفاهم موجودة بالفعل، وهي جزء من المبادئ الأساسية لكلا العقيدتين: حب الله الواحد، وحب الآخر. وتلك المبادئ تجدها في كتب الإسلام والمسيحية. فوحدانية الله، والحاجة لحب الله والحاجة لحب الآخر هي أسس مشتركة بين الإسلام والمسيحية.

وقد تلاحظ أهمية الوصيتين العظميّن من حب الله وحب الآخر من حيث ذكرهما في التوراه، والإنجيل (العهد الجديد). وفي عالم يعد فيه المسيحية والإسلام أكبر العقائد، فلن يكون هناك سلام ما لم يوجد بين المسيحيين والمسلمين. لذلك، فإن العلاقة بين هذين المجتمعين الدينيين تعد أكبر العوامل التي تساهم في سلام جادي حول العالم. وفي هذا يؤكد كتاب "كلمة سواء" أو Common Word على الآتي:

في ظل وجود أسلحة فتاكة بالعالم الإسلامي، وفي ظل التشابك الذي يحدث بين المسلمين والمسيحيين كما لم يكن من قبل، لا يستطيع طرف من الأطراف أن يكسب الصراع منفردًا بين أكثر من نصف سكان العالم. لذلك، فإن مستقبلنا الواحد في خطر، أو ربما مستقبل العالم كله في خطر.

كانت الاستجابة "لكلمة سواء" من الزعماء والعلماء المسيحيين فورية وعالمية. وقد تنبه إلى أهميتها مطران كانتربري، والبابا بنديكت السادس عشر، وبطريرك الأرثوذكسية الروسية أليكسي الثاني، ورئيس مطرانية الاتحاد اللوثري العالمي Lutheral World Federation وآخرون، كما تنبه إليها العديد من الأفراد والجماعات الذين كتبوا تعليقاتهم ونقدهم على الموقع الإلكتروني الرسمي A Common Word.[٢٨٢] وقد أجاب أكثر من ثلاثمائة زعيم أمريكي إنجيلي وباحث ديني في خطاب مفتوح نشر في جريدة نيويورك تايمز والعديد من المطبوعات الأخرى تحت اسم: "حب الله والآخر معًا". وقد زاد عدد الزعماء والعلماء المسلمين الذين وقعوا المبادرة من ١٣٨ إلى أكثر من ٣٠٠، مع أكثر من ٤٦٠ منظمة وجماعة إسلامية أبدت تأييدها.

وفي متابعة لما جاء بالخطاب، قامت المؤتمرات الدولية للزعماء الدينيين، والعلماء، والمنظمات غير الحكومية بجامعة Yale وجامعتي Cambridge وGeorgetown، إلى جانب الفاتيكان باكتشاف الانطباعات الدينية، والإنجيلية والاجتماعية لهذه المبادرة.

يمثل الكاثوليك الرومانيون أكثر من نصف سكان العالم من المسيحيين الذين يقدرون بحوالي ٢ مليار. بينما يمثل المسلمون حوالي ١,٥ مليار حول العالم. ومن أجل

بناء القواعد للتفاهم بين الكاثوليك والمسلمين تحت فكرة "حب الله وحب الآخر"، قام الفاتيكان باستضافة خمسين مسئولًا من الباباوات والزعماء والقادة المسلمين يوم الرابع من نوفمبر ٢٠٠٨ في لقاء تاريخي. وبنهاية اليوم الثالث للمؤتمر، قام البابا بمقابلة الوفود في مناقشة صريحة.

ترأس الوفد الإسلامي مفتي البوسنة والهرسك مصطفي سيرك، ومن جانب الفاتيكان الكاردينال جان لويس توران الذي طالب بأن يكون الحوار "بداية لفصل جديد في تاريخ طويل". وقد أكد الفاتيكان قضايا أساسية ذات اهتمام، وهي التأكيد على القيم والمعتقدات المشتركة لا على قضايا الاختلاف، وبالأخص ما يطلق عليه "المقابلة"- مثل حرية المسيحيين في دول مثل السعودية من حيث بناء الكنائس وممارسة عقيدتهم بحرية. وقد أصدر المؤتمر بيانًا رسميًّا طالب بحوار جديد بين الزعماء الدينيين المسيحيين والمسلمين، يركز على القيم المشتركة بين المسيحية والإسلام.

وعقب إصدار بيان "كلمة سواء"، حدث حوار مشترك بين المسلمين والبروتستانت الذين ظهروا، وكأن لديهم نظرة غير محببة نحو الإسلام أكثر من باقي الأمريكيين. ويشير استطلاع رأي كان قد أجري في مارس ٢٠٠٦ أن ٥٠٪ من البروتستانت يتفقون مع المقولة التي تقول: "الدين الإسلامي أكثر ميلاً لتشجيع العنف عن باقي الأديان الأخرى".(٢٨٣) كانت الواشنطن بوست قد نشرت استطلاع رأي قبلها بأسابيع أظهر أن أقل من ثلث البروتستانت قد قالوا: إن لديهم نظرة محببة للإسلام، وهو ما يوضح أن أقل من ٤٨٪ من الكاثوليك و٤٢٪ من البروتستانت و"العلمانيين" (ملحدين أو كافرين) كانت لهم وجهات نظر إيجابية(٢٨٤).

وهناك مجموعة بديلة من زعماء التيار البروتستانتي مثل: ريتشارد سيزك Richard Cizik، وجويل هانتر Joel Hunter، وبوب روبرتس Bob Rpberts، وكريس سيبل Chris Seiple، وريك وارين Rick Warren وآخرين- قد اتصلت بالزعماء الإسلاميين لاكتشاف القيم المشتركة (مثل: السلام، والعدل، والشفقة، والرحمة). وقد اشترك هؤلاء الزعماء في حوار للأديان ومشروعات تتعلق بالقضايا المشتركة من قضايا اجتماعية مثل: الفقر والبيئة إلى قضايا الأمن. وعلى عكس المسيحيين الصهيونيين، يدعم العديد من البروتستانت الحل الذي يدعو إلى قيام دولتين ويؤكد الادعاءات الشرعية والحقوق والواجبات لكلا الطرفين الفلسطيني والإسرائيلي كما جاء في وثيقة : "البروتستانت في

دعـم حـل قيـام دولتـين" خطـاب مفتـوح للـرئيس بـوش"، التـي وقعهـا العديـد مـن القـادة والرعاة البروتستانت:

"تفـرض علينـا الأمانـة التاريخيـة أن نـدرك أن لكـلا الطـرفين الإسـرائيلي والفلـسطيني حقوقًـا مـشروعة في الأرض تعـود إلى آلاف الـسنين. وقـد مـارس الإسـرائيليـون والفلسطينيون العنف والعنف المضاد. ويعد السبيل الوحيد لإنهاء دائرة العنف المأساوية بـين الإسـرائيليـين والفلـسطينيين هـو التفـاوض حـول اتفـاق عـادل ودائـم يـضمن نمـو واستقلالية وأمن الدولتين"(٢٨٥).

كانت كتابات كريس سيبل، رئيس مؤسسة Institute for Global Engagement- التي يصفها بأنها "أداة تفكير ذات أرجل تعزز من بيئة الحرية الدينية حول العالم- تعد المثال لمنظور التيار البروتستانتي. وقد قام سيبل بكتابة "عشرة مصطلحات لا نستخدمها مع المسلمين". وفيما يلي نموذج لرؤياه التي سوف تجمع المسيحيين والمسلمين معًا في القرن القادم.

يشير سيبل إلى أن "صدام الحضارات" يخلق سيناريو "نحن الأصلح وهم الأسوأ"، في الوقت الذي يكون فيه الصراع بين من هم مع الحضارة ومن هم ضدها. ويظهر سيبل تفهمًا عميقًا لمشاعر كلا الطرفين حول كلمة "علماني" التي تمثل للغرب انطباع الحاجة إلى فصل الكنيسة عن الدولة من أجل الديمقراطية ، ويمثل للمسلمين فكرة "مجتمع بدون الله لا يمكن تصوره". وعلى ذلك، يفضل سيبل استخدام كلمة "تعددية" التي يرى أنها "تشجع من هم مع (أو ليسوا مع) نظرة عالمية للأساس الرباني من أجل وجود مكان متساوٍ ورحب في الميدان العام".

عند مناقشة الأقلية المسلمة في الغرب، يشير سيبل إلى أن استخدام كلمة "تكامل" تقترح بأن "كافة الرؤى، والأغلبية والأقلية منها، تستحق احترامًا متساويًا طالما أن كلا منهـا ترغـب في أن تكـون سـلمية مـع الـرؤى الأخـرى في وسـط الميـدان العـام للمجتمـع المشترك". ويعد هذا أكثر تأثيرًا من "التمثيل" الذي يلقي الضوء على ثقافة مسيحية لأغلبية أوروبية أو شمال أمريكية يجب على الأقلية المسلمة أن "تبدو مثلها".

يضيف سيبل أن كلمة "تسامح" وهي تعني "السماح بوجود وسلوك الآخر"، لا تبني نـوع الثقـة والعلاقـات التـي نحتاجهـا لمواجهـة التحـديات العالميـة في القـرن الواحـد

والعشرين. فما نحن بحاجة إليه هو احترام حقيقي من بعضنا لبعض يمكننا من "تسمية اختلافاتنا وتشابهاتنا" بحق لمعرفة "الكرامة المتأصلة لدى كل منا كمخلوقات متساوية أمام الله"، يدعوها اختلاف العقائد إلى "المضي قدمًا في سلام وعدل، ورحمة وشفقة"(٢٨٦).

الدبلوماسية الشعبية: بناء الجسور وتحجيم الإرهاب:

سوف يستمر الإرهاب العالمي في تهديد صناع القرار في أوروبا وأمريكا إلى جانب الحكومات المسلمة. فقد تبنت إدارة بوش إستراتيجية على ثلاثة محاور من أجل محاربة الإرهاب العالمي، وكانت تلك المحاور هي: عسكرية، اقتصادية، ودبلوماسية شعبية. وعلى الرغم من أن القوة العسكرية تستطيع أن تقتل وأن تلقي القبض على الإرهابيين، أو أن تقوم بإجراءات اقتصادية لمنع وصول التمويل إليهم من أجل إنجاح الحرب، إلا أن الأفكار والظروف التي تؤدي إلى تطرف التيار الإسلامي وخلق الإرهاب مازالت تعمل على التجنيد. لكن الدبلوماسية الشعبية لديها القدرة على استهداف العالم الإسلامي العريض وغالبية التيار الرئيسي.

إن الوصول لمنهج يعتمد على البيانات ليعكس الواقع الموجود على الأرض- ما يفكر فيه المسلمون وكيف يتصرفون- سوف يتطلب أجندة تعليمية وتكنولوجية ودعمًا اقتصاديًا من ناحية، إلى جانب مبادرات سياسية أجنبية من ناحية أخرى. كم كان الوضع سيكون أكثر تأثيرًا إذا قامت إدارتا بوش وبلير بضخ دعم اقتصادي وتعليمي(كما عرضوا في البداية) من أجل إعادة إعمار العراق أو الاقتصاد والمؤسسات والبنية الأساسية في أفغانستان، أو لتعليم وتدريب الأجيال القادمة. فالتأكيد على خلق الوظائف، والتعليم والتكنولوجيا، وحقوق الإنسان وحكم القانون، بالإضافة إلى التغيير من خلال المشاركة السياسية وصندوق الانتخاب- قد يستجيب لرغبات التيار السائد ويدحض ادعاء البعض الذين يصرون على أن التغيير يمكن أن يحدث دون عنف.

في عهد إدارة بوش، كانت هناك رغبة في تقليل الدبلوماسية الشعبية لتتحول إلى حملات علاقات عامة في محاولة لإثبات كم أننا "حقيقة" أصحاب مبدأ ومحبوبون. وقد بدت الإستراتيجية وكأنها تبنى على مقدمة معيبة وهي "أنهم لا يعرفوننا أو يفهموننا"، وانحسرت المشكلة الرئيسية في أسباب دينية وثقافية أو اختلافات ("الإسلام دين عنف"، "المسلمون لا يريدون ديمقراطية")، ثم تجمع كل هذا في مصطلح

"الإسلاموفاشية" Islamofacism. غير أن العديد من المسلمين يعرفون أمريكا جيدًا، فقد درسوها، وزاروها بل وعاشوا فيها. وهناك الكثيرون الذين يعجبون بالمبادئ والقيم الأمريكية، لكنهم يأخذون على الأمريكيين عدم التواصل معهم. لذلك، فالعداء تجاه أمريكا سببه ما نفعله وليس من نحن.

وبالنظر إلى المستقبل، يلاحظ أننا بحاجة إلى نموذج جديد يستطيع أن يرى ما هو خلف الغبار الذي صنعته الأيديولوجيات المحافظة والمعادية للهجرة، يأتي على يد خبراء الإسلام والمعلقين السياسيين والحكام المستبدين عن طريق التأكيد على الإرهاب العالمي من أجل قمع المعارضة. يجب على صناع القرار الأمريكيين والأوروبيين أن يوازنوا بين انحيازهم للحلفاء المستبدين بالتقرب ناحية المعارضة، وبين حركات الإصلاح التي تحارب الغضب المكبوت والعنف. ففي السياسة الأجنبية، كما في باقي مجالات الحياة، دائمًا ما يكون الاختيار "ادفع لي الآن أو لاحقًا".

تجنبت الدبلوماسية الشعبية إدراك الفرق بين الطريقة التي نمشي بها والتي نتحدث بها. وقد عبر عن ذلك الأدميرال مايك مولن Admiral Mike Mullen، رئيس هيئة الأركان المشتركة، في مقالة نقدية لجهود "الاتصالات الإستراتيجية" للحكومة الأمريكية حيث قال: "ببساطة، نحن بحاجة لنكون أقل قلقًا على كيفية التحدث بأفعالنا أكثر مما تحدثه أفعالنا"(٢٨٧). فتهميش الإرهاب سوف يتطلب إصلاحًا حقيقيًا في سياسة أمريكا الخارجية. والفشل ليس قاصرًا على حزب سياسي بعينه. فسواء في حكومة كلينتون الديمقراطية أو حكومة بوش الجمهورية، كانت سياساتنا سببًا في عداء أمريكا. فقد قمنا بتطبيق معايير مزدوجة، بتعزيز الديمقراطية وحقوق الإنسان في الشرق الأوسط، مع دعم الأنظمة الديكتاتورية في الوقت نفسه. أظهرنا انحيازًا لإسرائيل في الصراع الفلسطيني- الإسرائيلي من خلال سياساتنا ومبيعات الأسلحة، بل وفي تاريخ تصويتنا في الأمم المتحدة. لم نلتفت بشكل كافٍ إلى الأسباب الحقيقية للإرهاب، وللظروف السياسية والاقتصادية التي تشجع العزلة، والضعف والمهانة.

بينما ليس هناك ما يساوي انحياز أمريكا لوجود ولأمن الدولة الإسرائيلية، إلا أن المصالح القومية ومصداقيتها في العالم العربي والإسلامي والدولي تعتمد على قدرتنا على أن نكون أكثر إنصافًا. هذا يعني أن نكون عادلين في حكمنا على الإرهاب الفلسطيني، والعنف والترويع الإسرائيلي على حد سواء. ففي غزة، ذهبت إسرائيل لما هو أبعد من

احتواء الإرهاب؛ حيث دمرت البنية الأساسية والسياسية والاقتصادية والمؤسسية. وقد وجه نافي بيلاي Navi Pillay، المبعوث الأعلى للأمم المتحدة لحقوق الإنسان، اللوم إلى "الحصانة الإسرائيلية شبه الكاملة" في انتهاك حقوق الإنسان، الاعتقال التعسفي، والتعذيب والمعاملة السيئة، والإعدام دون محاكمة، والطرد الإجباري وهدم المنازل، وتوسيع المستوطنات، وما يتبعه من عنف، وفرض قيود على حرية الحركة والتعبير: "إن الوجاهة الظاهرة تدل على أن الانتهاكات الجادة في حق القانون الإنساني الدولي وحقوق الإنسان قد حدثت خلال العمليات العسكرية ما بين ٢٧ من ديسمبر ٢٠٠٨ و ١٨ من يناير ٢٠٠٩، وهي الفترة المصاحبة لحصار غزة في الأشهر التي سبقت ولحقت الحرب على غزة"(٢٨٨). يجب ألا تحمل سياسة الولايات المتحدة أية استثناءات، سواء للعرب أو للإسرائيليين، عندما يتعلق الوضع بإدانة استخدام العنف، والحرب الطائفية، والعقاب الجماعي أو انتهاك حقوق الإنسان. ففي لبنان وغزة، كانت صورة قتل الأبرياء وإصابتهم وتشريدهم، خاصة النساء والأطفال، قد أدت إلى تآكل صورة أمريكا في الزعامة الأخلاقية ومصداقيتها بين حلفائها، كما أدى إلى زيادة الكراهية لدى المتطرفين.

كانت قضية التفريق بين الإصلاح أو الحركات المعارضة وبين المتطرفين أو الإرهابيين دائمًا- قضية جدلية، تعتمد على وجهة النظر الفردية. فمناحم بيجن، وإسحق شامير، ونيلسون مانديلا والكونجرس الأفريقي القومي كان ينظر إليهم معارضوهم على أنهم زعماء إرهابيون. فإرهابيو الأمس قد يكونون- مجرد إرهابيين، أو قد يكونون رجال الدولة في الغد.

وينظر لحزب الله بلبنان ولحركة حماس بفلسطين من مؤيديها على أنها حركات مقاومة، بينما تراها إسرائيل والولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي كحركات إرهابية. وقد تحولت حركة حماس وحزب الله خلال السنوات الأخيرة إلى أحزاب سياسية، تشارك في الانتخابات الديمقراطية والوزارات. وقد فازت حركة حماس على حركة فتح باكتساح في الانتخابات الديمقراطية يوم ٢٥ من يناير ٢٠٠٦. بينما يجب ألا يكون هناك أية فرصة للتسامح مع الإرهابيين، يجب أن يسمح للتيار الإسلامي، وخاصة لأحزابه السياسية، أن يشترك في الحكومة. فإذا تم منعهم أو حجبهم حتى لايصوتوا أو يمارسوا حقهم السياسي، فسوف ينتج عن هذا المزيد من الانحراف والتطرف.

يظل الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين قضية مهمة بالنسبة للعالم الإسلامي، وعقبة في طريق العلاقات الأمريكية- الإسلامية، غير أن تحقيق تقدم أو الوصول لقرار سوف يظل

بمثابة كفاح شاق. يجب ألا يقود أمريكا اللوبي الصهيوني والحلفاء من المسيحيين الصهاينة الذين يتميزون بتأثيرهم على الكونجرس. سوف يقابل الرئيس تحديًا من أجل اتباع إستراتيجيات طويلة وقصيرة الأمد لم يرغب أي رئيس أمريكي في اتباعها. تلك الإجراءات لا تنطوي على دعم للوجود والأمن لدولة إسرائيل فقط، بل تخلق أيضًا دولة فلسطينية مدعومة أمنيًّا واقتصاديًّا. كما سوف تنطوي تلك الإجراءات على إذعان لقرارات الأمم المتحدة: عودة الأراضي الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧، وعودة الأراضي التي تم ضمها لبناء المستوطنات "غير الشرعية" وإدانة العنف سواء من جانب الفلسطينيين أو من الجانب العسكري الإسرائيلي.

بدأت العلاقات بين أمريكا والعالم الإسلامي في أخذ شكل إيجابي عندما أصبحت المغرب أولي الدول التى تعترف بجمهوريتنا الوليدة، وخلال العقود الأخيرة تم اختبار العلاقات من خلال روابط أمريكا مع الأنظمة الاستبدادية، التي اتضحت من خلال الانحياز نحو إسرائيل وتأثير الجماعات الإرهابية الإسلامية عالميًّا. فقد طغى التطرف والإرهاب الديني وكأن الإرهابيين ليسوا أقلية. واختفت الأغلبية والتيار الإسلامي العام بمعتقداتها وآمالها وأحلامها من أجل حياة أفضل. وكما رأينا، وعلى العكس مما يقال: "إنهم يكرهوننا بسبب من نحن"، فهناك الكثير من المسلمين الذين يعجبون بالقيم والمبادئ الأمريكية، وفي نفس الوقت يعارضون سياسات أمريكا الخارجية. فالمسلمون يصارعون من أجل مساحة أكبر من الديمقراطية والحرية والاقتصاد والتطور التعليمي، ولكن الإصلاح الديني هو أكثر صعوبة وتعقيدًا، ليس فقط بسبب قوى الحداثة والعولمة، بل من أجل الأحداث المروعة والعمليات الإرهابية من دعاة الكراهية، والخوف من صدام الحضارات. وكما قال الرئيس أوباما في كلمته بالقاهرة: "إنه قد حان الوقت لـ(بداية جديدة) تقوم على إدراك أن (أمريكا والإسلام لا يجب أن ينفصلا أو يدخلا في منافسة).

* * *

الخاتمة

يقف مسلمو القرن الواحد والعشرين في مفترق الطرق وهم يواجهون عالمًا مليئًا بالأحداث المتغيرة من شمال أفريقيا إلى جنوب شرق آسيا، ومن شمال أمريكا وصولًا إلى أوروبا. ومثل أتباع الديانات الأخرى، يناضل المسلمون من أجل العيش وتطبيق عقيدتهم في عالم يتغير سريعًا. فهناك البعض الذين يريدون قصر الدين على الحياة الخاصة، بينما يرى الكثيرون أن الإسلام جزء لا يتجزأ من حياتهم اليومية لكنهم يختلفون على كيفية إعادة تطبيقه في حياتهم وتاريخهم. أما المسلمون من أصحاب العقول الإصلاحية، متدينين كانوا أو علمانيين، رجالًا أو نساء، فهم يعملون من أجل إطار إسلامي تقدمي وبناء. ونتيجة لمعرفتهم العميقة بالتقاليد الدينية والتعاليم العصرية في القانون والتاريخ والسياسة والطب والاقتصاد والعلوم، ينشغل المسلمون بإعادة تفسير المصادر الإسلامية والموروثات لمواجهة تحديات الحداثة والتطور والزعامة والأيديولوجية والديمقراطية والتعددية والسياسة الأجنبية. لكن مازال المصلحون يمثلون أقلية في مواجهة العقبات الهائلة. فالأنظمة الاستبدادية القمعية ترى أية محاولة للإصلاح بمثابة تهديد لسلطاتها وامتيازاتها. غير أن المتطرفين الدينيين يؤمنون أن الله قد أعطاهم الوصاية لفرض "إسلامهم" والقضاء على كل من يخالفهم في الرأي. كما أن المحافظين الدينيين يستغلون سلطاتهم لتحجيم الإصلاح بدعوى أنه "بدعة". لذلك، فالمصلحون في العديد من الدول يناضلون في المجتمعات المدنية الضعيفة التي لا تدعم الابتكار وحرية الفكر والأفعال.

بالنسبة لمن يتنبئون بالمستقبل، يظل للدين دور مؤثر سياسيًا واجتماعيًا في الإصلاح؛ حيث إن غالبية المسلمين اليوم يؤكدون أهمية الإسلام في تطوير مجتمعاتهم من حيث دعم الأغلبية المسلمة لقيم حقوق الإنسان، والاحترام المتبادل والتعاون بين المجتمعات لتحقيق الأهداف نفسها.

ليست المشكلة الأساسية وراء التطور والاستقرار طويل الأجل- في العالم العربي والإسلامي في الإسلام أو الحركات الإسلامية، لكن المشكلة هي الصراع بين الاستبدادية والتعددية. لذلك، فإن النقطة الأساسية التي تركز عليها أمريكا ليست هي الدين فقط، بل في التغير السياسي والاجتماعي والاقتصادي حيث يعيش المسلمون. وقد تأثرت السياسات الأجنبية بمصالح الديكتاتوريين العلمانيين والدينيين، والجماعات المتطرفة

(الحركات الاجتماعية والعسكرية والأمنية بجانب الميليشيات المسلحة) التي تحاول فرض إرادتها من خلال القمع والعنف والإرهاب. فجهودنا لم تعمل في تحديد وترقية تلك الشروط التي تحافظ على الاستقرار، لذا يجب أن تساق السياسات تبعًا للأحداث وفي خدمة المصالح، على أن تدعم الدين والاختلافات الثقافية. فتهديد الغرب لن يأتي من الاختلافات الحضارية، بل من الحقائق السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي تولد التطرف.

لا يرى غالبية المسلمين أن الصراع مع الغرب هو صراع ديني أو حضاري، لكنهم يعرفون القوى الغربية من سياستها. ونحن، في المقابل، نريد أن نفصل بين المخاوف من التهديدات الحضارية، وتصنيف "العالم الإسلامي" في صورة دول مختلفة، ينبع الصراع فيها من السياسات الخاصة بكل دولة وزعيمها. ويعد الحل من وجهة نظر واشنطن وحلفائها الأوروبيين هو بناء مجتمع مدني ومؤسسي بدلًا من الديكتاتوري. هذا سوف يحمي المصالح الأمريكية ويقوي العلاقات الإسلامية الغربية على المدى البعيد. وبالرغم من تورط بعض صناع السياسة الأمريكيين والأوروبيين في دعم الأنظمة الديكتاتورية، فإن هذا الدعم لاحتواء الإسلاميين يضمن بقاء الحكومات الإسلامية ضعيفة، جاعلين من الإسلام مجال تحد دائم. فثبات الثقافة وقيم الاستبداد والقمع تساهم فقط في عدم الاستقرار والسياسة الأمريكية تزيد من قوة الإرهاب.

إن السياسات في العالم الإسلامي تتطلب نظرة واقعية طويلة المدى. لكن التحول في ثقافة السياسة والقيم والمؤسسات التي تهدف إلى مجتمع مدني قوي لا يحدث بين يوم وليلة. فهو عملية طويلة تصحبها صراعات بين الأصوات والفصائل المتنافسة مع الرؤى والمصالح المتنافسة أيضًا. كما تتضمن تلك العملية تجربة قد يصيبها النجاح أو الفشل. وقد اتخذ التحول الغربي من الملكية الإقطاعية إلى الدولة الديمقراطية وقتًا طويلا ومحاولات ومصير من الفشل، وصاحب ذلك ثورات سياسية وفكرية هددت استقرار الدولة والكنيسة. ونحن نميل إلى أن ننسى أن التجارب الأمريكية والفرنسية للديمقراطية قد انطلقت من تجارب ثورية. فالديمقراطية الأمريكية الوليدة، التي خلفتها الحرب الأهلية المروعة، قد عملت لعقود في وهم المساواة، سواء أكانت مساواة الأمريكيين السود أو السكان الأصليين لأمريكا أو حتى النساء. يجب أن نتذكر أنه في عالم متعدد النماذج الحضارية، تبدو الديمقراطية الليبرالية الغربية العلمانية وكأنها طريق

"أوحد" (طريق واحد من عدة نماذج متاحة)، لا "الطريق" الأوحد للحداثة والتطور السياسي.

لكن العالم الإسلامي ليس هو الميدان الوحيد للتغيير. فمن أكبر المفارقات التاريخية أنه بالرغم من تطورنا الواضح والمعقد، إلا أننا دائمًا ما نتقيد بموروثنا الإدراكي والديني. فمثلما حدث في يوغوسلافيا (سابقًا)، وشمال أيرلندا، والهند، وفلسطين- إسرائيل، وأمريكا وأوروبا، ولأن العقائد تعيش في نفس الدول والمناطق، فإن هذا لا يعني أن أصحاب العقائد يعرفون الكثير عن عقائد الآخرين. وتُختبر همة قيمنا وتعدديتنا الديمقراطية من خلال العولمة والهجرة المتزايدة إلى الغرب متعدد الثقافات والأديان. وكما أثار الكارتون الدنماركي خلافًا هائلا، فإن التسامح والتعددية اليوم تتطلب تفاهمًا واحترامًا متبادلًا من جانب المسلمين وغير المسلمين على حد سواء. فجوهر المبادئ والقيم، مثل حرية التعبير وحرية العقيدة لا يمكن أن نصل فيها لحل وسط.

الحرية لا تأتي من فراغ ولا تعمل دون قيود. في العديد من الدول، يكون خطاب الكراهية (إنكار الهولوكوست، والتحريض على الكراهية والعنصرية، والدعوة إلى الإبادة الجماعية) هو جريمة جنائية تخضع لتشريع التحريض على الكراهية. وتمثل ديمقراطيتنا الغربية العالمية ليس فقط حرية التعبير، لكن حرية العقيدة، ولذلك، يحتاج المؤمنون وغير المؤمنين إلى الحماية. فحرية العقيدة في مجتمع تعددي تعني أن هناك أشياء مقدسة يجب التعامل معها على هذا الأساس. يجب ألا يتم تقبل السرطان الاجتماعي "الإسلاموفوبيا"، كما حدث في قضية معاداة السامية، في أن يصبح تهديدًا لنسيج التعددية الديمقراطية في الحياة. هكذا، يجب على الزعماء الدينيين والسياسيين، والمعلقين والخبراء، بل وعلى الإعلام أن يقودوا طريقًا بنَّاءً لحماية القيم التي نعتز بها.

لكن ماذا عن ردود الفعل الإسلامية؟ يتم الضغط على الزعماء الإسلاميين لتحمل المسئولية في تأكيد حقوقهم وعقائدهم الدينية وحرية التعبير، مع رفض كل من ينتهكون هذا الحق تحت غطاء التحيز الديني. في الوقت نفسه، يجب رسم خط فاصل بين الأشكال المشروعة للمعارضة والتظاهرات العنيفة أو الهجمات التي تشعل الموقف وتعزز الصورة النمطية الغربية. يلعب الزعماء الإسلاميين من أمريكا وأوروبا إلى العالم الإسلامي، والذين يُدينون العنف علنًا، دورًا بالغ الأهمية. كما أن الإعلام يعد مفتاحًا، ليس فقط

للقصص العاطفية، ولكن- كما لم يحدث من قبل- منبرًا للزعماء والجماعات الإسلامية التي تدعو إلى العنف باسم الدين.

إن فكرة "الأسرة" في تاريخ الأديان، مثلما هي في حياتنا، هي مصدر القوة والرعاية والحب والأمن، بل إنها مصدر صراع وعنف أيضًا. وبالرغم من (وقد يقول البعض بسبب) التشابه العائلي، اتسمت العلاقات بين اليهودية والمسيحية، والمسيحية والإسلام، والإسلام واليهودية- بالتوتر والصراع والاضطهاد. فإيمان كل طرف بأن عقيدته هي العقيدة الحق- مثلما هو الحال في الإسلام والمسيحية أنها جاءت لتحل محل العقائد التي سبقتها وأنها جاءت برسالة عالمية- قد جعل هناك عائقًا للتعددية الدينية والتسامح. لكن على الرغم من ذلك، هناك اليوم العديد من المبادرات التي طرحها الزعماء الإسلاميون والمنظمات غير الحكومية، والتي تذهب لما هو أبعد من المنافسة على من هو الأصح إلى معرفة واحترام والتعاون مع العقائد الأخرى من أجل خلق اختلاف إيجابي في حياة الآخرين.

إن مستقبل الإسلام والعلاقات الإسلامية الغربية- يظل هو المفتاح للقضايا السياسية والدينية في القرن الواحد والعشرين. ففهم وإدراك القيم والمعتقدات المشتركة قد أصبح أمرًا حيويًّا عقب أحداث الحادي عشر من سبتمبر، ليس فقط لعلاقات التعددية الدينية، لكن في السياسات والأمن العالمي أيضًا. فالإسلام والمسيحية هما أكبر الأديان انتشارًا في العالم. هذا بالإضافة إلى أن التواصل والتفاعل الديني والسياسي والاقتصادي والعسكري بين الولايات المتحدة وأوروبا من ناحية، ودول العالم الإسلامي من- ناحية لا يمكن تجاهله. ففي القرن الواحد والعشرين، لن يكون الحوار بين الحضارات المختلفة من أجل حفظ الزعماء والعلماء الدينيين، بل سيكون أولوية لصناع القرار ومادة للسياسة المحلية والأجنبية، وأيضًا أجندة للمنظمات الدولية.

وقد أكد المسيحيون واليهود أنهم بجانب الصراع القديم والاختلاف العقائدي بينهما، فقد تشاركوا في تراث مسيحي- يهودي مشترك. فالكثيرون منهم أدركوا علاقة الصلة بين العهدين القديم والجديد من حيث الإيمان بالله والرسل والوحي والمسئولية والمساءلة الأخلاقية. وهناك القليلون الذين تبنوا مؤخرًا الرؤية الإبراهيمية التي تعترف بتكامل المكان الذي نزل فيه إبراهيم وهاجر وإسماعيل مع المسلمين الذين يتمتعون بحقوق المواطنة والعقيدة في الغرب.

تعد الخطوة التالية هي التعرف على "الحلقة المفقودة" من أجل الاعتراف بأبناء إبراهيم كجزء من التاريخ والتراث اليهودي- المسيحي- الإسلامي. وبالرغم من أقوال وأفعال المتطرفين والإرهابيين المسلمين، والاختلافات الثقافية والدينية، فإن شعوب العالم الأمريكي والأوروبي والإسلامي تشترك في كثير من القيم والأحلام والتطلعات. فمستقبل الإسلام والمسلمين يرتبط بالجنس البشري كافة. كما سوف يعتمد مستقبلنا على العمل سويًّا من أجل الحكم الرشيد، وحرية الدين والتعبير والإجتماع، والتقدم الاقتصادي والتعليمي. فمعًا، نستطيع أن نحتوي ونقضي على دعاة الكراهية والإرهابيين الذين يهددون الأمن والأمان ورخاء أسرنا ومجتمعاتنا.

* * *

المصادر والمراجع

المقدمة:

1. Fawaz Gerges, America and Political Islam (Cambridge: Cambridge University Press, 1999); "Is Islamism a Threat? A Debate," with Graham Fuller, Martin Kramer, and Daniel Pipes, Middle East Quarterly 6, no. 4 (December 1999).

الفصل الأول:

1. Claudia Deane and Darryl Fears, "Negative Perception of Islam Increasing: Poll Numbers in U.S. Higher than in 2001," Washington Post, 9 March 2006, http://www.washingtonpost.com/wp-dyn/content/article/2006/03/08/ AR20060 3080222 i_pf.html.
2. The Great Divide: How Westerners and Muslims View Each Other, Pew Global Attitudes Project, 22 June 2006, http://pewglobal.org/reports/display.php?ReportID=253.
3. Kofi Annan, address to the DPI Seminar, "Confronting Islamophobi ," 7 December 2004, http://www.un.org/apps/sg/sgstats.asp?nid=i2 17.
4. Laurie Goodstein, "Poll Finds U.S. Muslims Thriving, but Not Content," New York Times, 2 March 2009, http://www.nytimes.com/2009/03/02/us/02muslims.html?r=l &scp=i&sq=Dalia+Mogahed&st=nyt.
5. Muslim Americans: A National Portrait, Muslim West Facts Project, Gallup Organization, 2009, 25, http://www.muslimwestfacts.com/mwf/116074/ Muslim-Americans-National-Port rait.aspx.
6. Ibid., 114.
7. Ibid., 23.
8. Ibid., 56-57.
9. Ibid., 75.
10. Ibid., 39-42.
11. Ibid., 131.
12. Pew Research Center, "Muslim Americans: Middle Class and Mostly Mainstream," 22 May 2007, http://pewresearch.org/pubs/483/muslim-americans?loc=interstitialskip.
13. National Portrait, 33.
14. Pew Research Center, "Muslim Americans: Middle Class and Mostly Mainstream."
15. Goodstein, "Poll Finds U.S. Muslims Thriving, but Not Content."
16. Muslim Americans: A National Portrait, 49—50.

17. American Muslim Poll 2004, Project MAPS/Zogby International, 13,23, http:// www.zogby.com/americanmuslims2004.pdf.

18. "CNN Debunks False Report About Obama," CNN, 23 January 2007, http:// www.cnn.com/2007/POLITICS/01/22/obama.madrassa.

19. Transcript, Meet the Press, 19 October 2008, http://www.msnbc.msn.com/id/27266223/page/2.

20. Frank Gaffney, "Obama's Islamist Problem," Washington Times, 19 August 2008, http://www.washingtontimes.com/news/2008/aug/19/obamas-islamist-problem.

21. Ibid.

22. Ann Coulter, "This Is War," National Review Online, 13 September 2001, http:// nationalreview.com/coulter/coulter/091301.shtml.

23. Will Cummins, "The Tories Must Confront Islam Instead of Kowtowing to It," Telegraph, 18 July 2004, http://www.telegraph.co.uk/comment/personal-view/3608563/ The-Tories-must-confront-Islam-instead-of-kowtowing-to-it.html.

24. "Savage: Arabs Are 'Non-humans' and 'Racist, Fascist Bigots,' " Media Matters, 14 May 2004, http://mediamatters.org/items/200405140003.

25. To hear Savage's comments on Islam and Muslims, go to http://www.cair.com/ audio/savage_i02907.asp.

26. "Michael Savage Lawsuit Links CAIR to 9/11 Plot," WorldNetDaily, 29 December 2007, http://www.worldnetdaily.com/news/article.asp?ARTICLE_ID=59440.

27. "Judge Tosses Michael Savage Copyright Suit Against CAIR," 25 July 2008, http://lawgeek.typepad.com/lawgeek/2008/07/judge-tosses-michael-savage-copyright-suit-against-cair.html.

28. Rod Parsley, Silent No More (Lake Mary, FL: Charisma House, 2005), 96, 90-91, 95.

29. Ibid., 95.

30. David Corn, "McCain's Spiritual Adviser: Destroy Islam," Mother Jones, 12 March 2008, http://www.motherjones.com/washington_dispatch/2008/03john-mccin-rod-parsley-spiritual-guide.html.

31. Ron Brown, "John Hagee Warns Against Radical Islam," News and Advance, 3 September 2006, http://www.religionnewsblog.com/15816/john-hagee-warns-against-radical-islam.

32. Transcript, Meet the Press, 19 October 2009.

33. Muslim Americans: A National Portrait, 96.

34. Ibid.

35. Haya El Nasser, "Poll: American Muslims Reject Extremes," USA Today, 23 May 2007, http://www.usatoday.com/news/nation/2007—05—22-poll-muslim-americans_N.htm.
36. Muslim Americans: A National Portrait, 59.
37. Ibid., 127.
38. David Machlis and Tovah Lazaroff, "Muslims 'About to Take Over Europe,'" Jerusalem Post, 29 January 2007, http://www.jpost.com/sendet/Satellite?cid= 1167467834546^ pagename=JPArticle%2FShowFull.
39. Jamie Glazov, "Interview with Bat Ye'or, Author of Eurabia: The Euro-Arab Axis," FrontPage, 21 September 2004, http://www.frontpagemag.com/readArticle.aspx? ARTID=ii429.
40. Melanie Phillips, "A Friendly Warning," National Review Online, 8 May 2006, http://article.nationalreview.com/?q=MTAxMWIxMGFmNDExYzBhNjFkMWEx NGJiODAwNDhjODU=.
41. "Bishop: 17th-century Battle Sparked Sept. 11 Attacks," Catholic Online, 21 September 2007, http://www.catholic.org/international/international_story.php?id= 25441.
42. Jeremy Henzell-Thomas, "Language of Islamophobia," paper presented at "Exploring Islamophobia" conference, London, 29 September 2001, http://www. network54.com/Forum/2 57194/thread/110117442 3/last-11 o 12012 60/The+Language +of+Islamophobia (posted 23 November 2004).
43. Duncan Campbell, "Abu Hamza 'Urged Followers to Bleed Enemy,'" Guardian, 13 January 2006, http://www.guardian.co.uk/uk/2006/jan/13/terrorism.world.
44. "In Quotes: Hamza's Preaching," BBC News, 7 February 2006, http://news.bbc. co.Uk/2/hi/uk_news/4690084.stm.
45. Campbell, "Abu Hamza 'Urged Followers to Bleed Enemy.'"
46. Deborah Tannen, The Argument Culture: Moving from Debate to Dialogue (New York: Ballantine, 1999), 31.
47. Michael Wilson, "Evangelist Says Muslims Haven't Adequately Apologized for Sept. 11 Attacks," New York Times, 15 August 2002, http://www.nytimes.com/2002/08/ 15/national/i 5GRAH.html.
48. Thomas Friedman, "If It's a Muslim Problem, It Needs a Muslim Solution," New York Times, 8 July 2009, http://www.nytimes.com/2005/07/08/opinion/08friedman. html _r= i&orcf=slogin.
49. "Islamic World Deplores US Losses," 14 September 2001, BBC News, http:// news.bbc.co.uk/2/hi/americas/154495 5.stm.
50. "Islamic Statements Against Terrorism in the Wake of the September 11 Mass Murders," CAIR, http://www.cair.com/AmericanMuslims/AntiTerrorism/Islamic

StatementsAgainstTerrorism.aspx; Arabic original in al-Quds al-Arabi (London), 14 September 2001, 2, http://www.alquds.co.uk/Alquds/2001/09Sep/14%20Sep%20Fri/Quds02.pdf.

51. The full English text of the fatwa and list of scholars who authored it can be found at www.unc.edu/%7Ekurzman/Qaradawi_et_al.htm.

52. Editorial, "The Enemy Withi ," Arab News (Jeddah, Saudi Arabia), 14 May 2003, http://www.aljazeerah.info/Opinion%20editorials/2003%20Opinion%20Editorials/ May/i4-b%20o/The%2oEnemy%2oWithin,%2oArab%2oNews.htm.

53. "US Muslims Issue Bombings Fatwa," BBC News, 19 July 2005, http://news.bbc.co.Uk/2/hi/uk_news/politics/4694441.stm.

54. Masoud Sabri and Sobhy Mujahid, "Muslim Scholars, Countries Condemn London Bombings," Islam Online, 7 July 2005, http://www.islamonline.net/English/ News/2005-07/o7/articleo7.shtml.

55. See "Islamic Statements Against Terrorism," http://www.unc.edu/~kurzman/ terror.htm.

56. Muslim Americans: A National Portrait, 40.

57. Ibid., 34.

58. Gallup World Poll 2007 and Muslim Americans: A National Portrait.

59. Muslim Americans: A National Portrait, 10.

60. Ibid., 132.

61. Brennan Linsley, "U.S. May Veto Islamic Law in Iraq," USA Today, 16 February 2004, http://www.mamoum.com/press6/181P10.htm.

62. "Rumsfeld Rejects 'Cleric-Led Rule,'" BBC News, 25 April 2003, http://news.bbc.co.uk/1/hi/world/middle_east/297 5 3 33.stm.

63. John Esposito and Dalia Mogahed, Who Speaks for Islam? (New York: Gallup Press, 2008), 49.

64. Richard Burkholder, "The Role of Prayer in [the] Islamic World," Gallup Organization, 17 September 2002, http://www.gallup.com/poll/6814/Role-Prayer-Islamic-World.aspx.

65. Esposito and Mogahed, Who Speaks for Islam, 13-14.

66. Sayyid Muhammad Rizvi, "Zakat in Shi'a Fiqh," July 2009, http://www.al-mubin.org/attachments/233_Zakat%20_revised_.pdf.

67. Malcolm X, letter from Mecca, April 1964, http://www.malcolm-x.org/docs/ let_mecca.htm.

68. Jeff Stein, "Can You Tell a Sunni from a Shiite?" New York Times, 17 October 2006, http://www.ny t imes.com/2006/10/17/opinion/17stein.html ?pagewanted=print.

69. Esposito and Mogahed, Who Speaks for Islam, 97.

70. Lydia Saad, "Anti-Muslim Sentiments Fairly Commonplace," Gallup Organization, 10 August 2006, http://www.gallup.com/poll/24073/AntiMuslim-Sentiments-Fairly-Commonplace.aspx.
71. Gallup World Poll, 2005/06.
72. Esposito and Mogahed, Who Speaks for Islam, 23.

الفصل الثاني:

1. This section is drawn from my Unholy War: Terror in the Name of Islam (New York: Oxford University Press, 2002), ch. 4.
2. For additional comparisons between the rhetoric of George W. Bush and Osama bin Laden, see Bruce Lincoln, Holy Terrors: Thinking About Religion After September 11 (Chicago: University of Chicago Press, 2003).
3. Richard Mitchell, The Society of Muslim Brothers (New York: Oxford University Press, 1993), 229.
4. Richard Norton, Hizbollah: A Short History (Princeton, NJ: Princeton University Press, 2007).
5. "Shiite Parties Win Iraq Poll," Gulf News, 20 January 2006, http://archive.gulfnews.com/indepth/iraqelection/sub_story/10013187.html.
6. Kim Ghattas, "Conservatives 'Win Saudi Polls,' " BBC News, 23 April 2005. http://news.bbc.co.Uk/2/hi/middle_east/4477315.stm.
7. 7."Broken Promises," Economist, 20 April 2006, http://www.economist.com/world/mideast-africa/displaystory.cfm?story_id=Ei_GRPTJJS.
8. 8.Sayyid Qutb, Milestones (Stuttgart: Ernst Klett), 221.
9. 9.As quoted in Peter L. Bergen, Holy War, Inc.: Inside the Secret World of Osama bin Laden (New York: Free Press, 2002), 56.
10. 10. Ibid.
11. Lawrence Wright, The Looming Tower: Al-Qaeda and the Road to 9/11 (New York: Knopf, 2006), 122.
12. Youssef M. Ibrahim, "Saudi Strips Citizenship from Backer of Militants," New York Times, 10 April 1994, http://partners.nytimes.com/library/world/africa/041094 binladen.html ?scp= 1 &sq=Saudi%2oStrips%2oCitizenship&st=cse.
13. For a global perspective, see Mark Juergensmeyer, Terror in the Mind of God: The Global Rise of Religious Violence, 3rd ed. (Berkeley: University of California Press, 2003), and Robert Pape, Dying to Win: The Strategic Logic of Suicide Terrorism (New York: Random House, 2006).

14. Saad Eddin Ibrahim, "Egypt's Islamic Militants," MERIP Reports 103 (February 1982): 11.

15. Vali Nasr, "Regional Implications of Shi'a Revival in Iraq," Washington Quarterly 27, no. 3 (Summer 2004): 8. See also Nasr's The Shia Revival: How Conflicts Within Islam Will Shape the Future (New York: Norton, 2006).

16. Joyce N. Wiley, The Islamic Movement of Iraqi Shi'as (Boulder, CO: Lynne Rienner, 1992).

17. "Guide: Armed Groups in Iraq," BBC News, 15 August 2006, http://news.bbc. co.Uk/2/hi/middle_east/4268904.stm#mehdi.

18. Juan Cole, "Everday Apocalypse in Iraq," Informed Comment: Thoughts on the Middle East. History, and Religion, 20 June 2007, http://www.juancole.com/2007/06/ everyday-apocolypse-i n-i raq-war-of. html.

19. Ibid.

20. Valentinas Mite, "Doubts over Young Pretender," Asia Times Online, 5 August 2003, http://www.atimes.com/atimes/Middle_East/EH05Ak03.html; Christopher Blanchard et al., Iraq: Regional Perspectives and U.S. Policy. Congressional Research Service Report RL33793, updated 4 April 2008, 12-13, htpp://fpc.state.gov/documents/ organization/1042 82 .pdf.

21. Tom Lasseter, "Mahdi Army Gains Strength Through Unwitting Aid of US," McClatchy Newspapers, 2 February 2007, http://www.commondreams.Org/headlineso7/ 0202-06.htm.

22. John L. Esposito and Dalia Mogahed, Who Speaks for Islam? What a Billion Muslims Really Think (New York: Gallup Press, 2008), 62.

23. Ibid., 83.

24. Richard Haass, "Towards Greater Democracy in the Muslim World," speech before the Council on Foreign Relations, 4 December 2002, http://www.state.g0v/s/p/ rem/i 5686.htm.

25. Esposito and Mogahed, Who Speaks for Islam, 126.

26. Richard Curtis, "In Sixth Arab-Israeli War, Hizbollah Survives, Israel Loses, Bush Missing in Action," Washington Report on Middle East Affairs 25, no. 8 (November 2006): 12.

27. David Fickling, "Amnesty Report Accuses Israel of War Crimes," Guardian, 23 August 2006, http://www.guardian.co.Uk/world/2006/aug/23/israelandthepalesti ians. syria.

28. Avi Shlaim, "How Israel Brought Gaza to the Brink of Humanitarian Catastrophe," Guardian, 7 January 2009, http://www.guardian.co.uk/world/2009/jan/ 07/gaza-israel-palestine.

29. Carol Glatz, "Gaza Strip Resembles a Concentration Camp, Says Top Vatican Official," Catholic News Service, 9 January 2009, http://www.catholicnews.com/data/ stories/cns/o900o84.htm.

الفصل الثالث:

1. John O. Voll, "Renewal and Reform in Islamic History," in Voices of Resurgent Islam, ed. John L. Esposito (New York: Oxford University, 1983), ch. 2.
2. Tariq Ramadan, "The Way of Islam," in The New Voices of Islam, ed. Mehran Khamrava (London: I. B. Tauris, 2006), 70.
3. Ibid.
4. Ibid., 72-73.
5. Ann Kull, "Modern Interpretion of Islamic History in the Indonesian Context: The Case of Nurcholish Madjid," 4, http://www.smi.uib.no/pal/kull.pdf.
6. Ibid.
7. David Waters, "Fatwas and Modernity," Washington Post, 8 June 2007, http:// newsweek.washingtonpost.com/onfaith/guestvoices/2007/06/fatwas_and_ modernity.html.
8. Ali Gomaa, 14 January 2008, written response to series of questions I posed to him.
9. Yusuf Qaradawi, Islamic Awakening Between Rejection and Extremism, new ed., ed. Nancy Roberts (Herndon, VA: International Institute of Islamic Thought, 2006), 39.
10. Tariq Ramadan, Western Muslims and the Future of Islam (New York: Oxford University Press, 2004), 35.
11. Yusuf Qaradawi, The Lawful and Prohibited in Islam (Indianapolis, IN: American Trust Publications, 1980), 14.
12. Ibid.
13. Ali Gomaa, 14 January 2008, written response to series of questions I posed to him.
14. Shaikh Abdal-Hakim Murad, "Bombing Without Moonlight: The Origins of Suicide Terrorism," October 2004, http://www.masud.co.uk/ISLAM/ahm/moonlight.htm.
15. Tim Winter (aka Dr. Abdul Hakim Murad), "Bin Laden's Violence Is a Heresy Against Islam," http://groups.colgate.edu/aarislam/abdulhak.htm.
16. Yusuf Qaradawi, Priorities of the Islamic Movement, (Swansea, U.K.: Awakening Publications, 2000), 137.
17. Ibid., 138.

18. Barbara Stowasser, "Regarding Shaykh Yusuf al-Qaradawi on Women's Political Rights in Islam," CCAS News, March 2007, 1-2, http://ccas.georgetown.edu/ files/Newsletter%203.07.pdf.

19. "Sheikh Yusuf Al-Qaradawi Condemns Attacks Against Civilians: Forbidden in Islam," Islam Online, 13 September 2001, http://www.islamonline.net/English/News/ 200i-09/i3/article2 5.shtml.

20. Ibid.

21. Murad, "Bombing Without Moonlight."

22. 22. Transcript, Analysis: The Search for Certainty, BBC Radio 4 documentary, 23 December 2004, http://news.bbc.co.uk/nol/shared/spl/hi/programmes/analysis/ transcripts/2 3_i 2_04.txt.

23. Winter, "Bin Laden's Violence Is a Heresy Against Islam."

24. Ibid.

25. Murad, "Bombing Without Moonlight."

26. Ibid.

27. Ibid.

28. Qaradawi, Islamic Awakening, 45.

29. Ibid., 43-44.

30. "Saudi Grand Mufti Condemns Terrorist Acts in U.S.," Royal Embassy of Saudi Arabia, Washington, DC, 15 September 2001, http://www.saudiembassy.net/archive/ 2001 /news/page 180 .aspx.

31. Public Statements by Senior Saudi Officials and Religious Scholars Condemning Extremism and Promoting Moderation, Royal Embassy of Saudi Arabia, Washington, DC, May 2008, 13, www.saudiembassy.net/files/PDF/.../Extremism_Report_Mayo8.pdf.l

32. "Muslim Reactions to September 11," http://www.crescentlife.com/ heal%20the%2oworld/muslim_reactions_to_sept_i 1 .htm.

33. "Qatari Sheikh Slams Top Islamic Authority for Condemning Civilian Attacks," Agence France Presse—English, 4 December 2001.

34. "Makkah Imam Condemns Terrorism, Attacks on Innocent People," 4 December 2001, http://www.saudiembassy.net/2001News/News/

35. IslDetail .asp?cIndex=3 318.

36. Ar-Rayah (Doha), 26 October 2002. See also Haim Malka, "Must Innocents Die? The Islamic Debate over Suicide Attacks," Middle East Quarterly (Spring 2003): 19-28.

37. Ash-Sharq al-Ausat (London), 12 December 2001.

38. Transcript, Analysis: The Search for Certainty, BBC Radio 4.

39. Yusuf Qaradawi, "Muslim Duty to Resist Invastion of Iraq," http://www. islamfortoday.cOm/qaradawio3.htm.

40. Winter, "Bin Laden's Voice Is a Heresy Against Islam."

41. "Feature Interview: Tim Winter (aka Abdul Hakim Murad)," Sunday Nights, 18 April 2004, http://www.abc.net.au/sundaynights/stories/s1237986.htm.

42. Ibid.

43. Communication with author.

44. Nadeem Azam, "A Conversation with Dr. Mustafa Ceric," n.d. 2005, http:// www.angelfire.com/hi/nazam/Aceric.html.

45. Erich Rathfelder, "Interview with Mustafa Ceric: 'The West Does Not Want to Share Its Values,'" Qantara.de: Dialogue with the Islamic World, 6 May 2004, http://www. qan tara.de/webcom/show_article.php/_c-47 8/_nr-105 /i .html.

46. Mustafa Ceric, "State of the State of Bosnia-Herzegovina," lecture delivered at the Muslim Community Association in San Jose, CA, 3 November 1997, http://www. sunnah.org/events/ceric/dr.htm.

47. Ibid. •

48. Jajang Jahroni, "Islam and Democratization in Indonesia," Jakarta Post, 18 February 2001, http://www.thejakartapost.com/news/2001/02/18/islam-and-democratization-indonesia.html? 1.

49. Yoginder Sikand, review of The True Face of Islam: Essays on Islam and Modernity in Indonesia, by Nurcholish Madjid, http://www.renaissance.com.pk/ SeptB0re2y5.htm.

50. Andi Faisal Bakti, "Nurcholish Madjid and the Paramadina Foundation," HAS Newsletter 34 (July 2004), http://www.iias.nl/nl/34/IIAS_NL34_22.pdf.

51. Greg Barton, "Peaceful Islam and Nurcholish's Lasting Legacy," Jakarta Post, 6 September 2005, http://www.thejakartapost.com/news/2005/09/06/peaceful-islam-and-nurcholisho39s-lasting-legacy.html.

52. 5 1. Sikand, review of The True Face of Islam.

53. Kull, "Modern Interpretation," 5.

54. Sikand, review of The True Face of Islam.

55. Devi Asmarani, "No Glitch to My Inter-faith Uni ," Straits Times (Singapore), 15 August 2004.

56. Ibid.

57. Ibid.

58. See Robert W. Heffner, Civil Islam: Muslims and Democratization in Indonesia (Princeton, NJ: Princeton University Press, 2002).

59. Mujiburrahman, "Islam and Politics in Indonesia: The Political Thought of Abdurrahman Wahid," Islam and Christian-Muslim Relations 10, no. 3 (October 1999): 342.

60. Ibid.
61. Patrick Buchanan, "Rising Islam May Overwhelm the West," New Hampshire Sunday News, 20 August 1989.
62. Rathfelder, "Interview (with) Mustafa Ceric."
63. Dominic Casciani, "Islamic Encounters of the Third Kind," BBC News, 21 February 2005, http://news.bbc.co.Uk/2/hi/uk_news/magazine/4283717.stm.
64. Rathfelder, "Interview (with) Mustafa Ceric."
65. Tariq Ramadan, "Europe's Muslims Show the Way," New Perspectives Quarterly (Winter 2005), http://www.digitalnpq.org/archive/2005_winter/05_ramadan.html.
66. Tariq Ramadan, "What the West Can Learn from Islam," Chronicle of Higher Education 53, no. 24 (16 February 2007), http://chronicle.com/weekly/v53/i24/24boo601.htm.
67. Tariq Ramadan, "Muslim Minorities in Western Europe," lecture at Georgetown University via satellite, Gaston Hall, 11 April 2007.
68. Ibid.
69. Ibid.
70. Ramadan, "Europe's Muslims Show the Way."
71. Casciani, "Islamic Encounters of the Third Kind."
72. Ibid.
73. Ibid.
74. 73. Abdal Hakim Murad, "Tradition or Extradition: The Threat to Muslim Americans," http://www.masud.co.uk/ISLAM/ahm/AHM-TradorExtradNew.htm. 74. Ibid.
75. 77. Ibid.
76. Azam, "Conversation with Dr. Mustafa Ceric."
77. Ibid.
78. 80. Tariq Ramadan, "The Global Ideology of Fear," New Perspectives Quarterly (Spring 2006), http://www.digitalnpq.org/archive/2006_winter/ramadan.html.
79. Ibid.
80. Ibid.
81. Ibid.
82. Heba Raouf, "Muslim Women at the Cross Roads: Cultural and Traditional Values vs. Religious Imperatives," paper presented at "Muslim Women in the Midst of Change" conference, 1—2 September 2007, 3.

83. Mohamed Shuman, Working Women Leaders: Current Situation and Future Horizons (Arabic; Cairo: Group for Democratic Development, 1999).

84. In this context, see an account of the situation of women in Kuwait: Haya al-Mughni, Women in Kuwait: The Politics of Gender (London: Saqi Books, 2001) 11, 153-66, 178.

85. Gerald Gaus, Political Concepts and Political Theories (Boulder, CO: Westview Press, 2000), 241-42.

86. Salwa S. Gomaa, ed., Governance (Cairo: Public Administration Research and Consultation Center, 2001),14. See also the shift in political theory from talking about state versus society in a vertical power relation to the study of state-society relation as

87. ' a complex horizontal relation, and rather as intersecting circles, or as Joel Migdal describes it, seeing "the state in society." Joel Migdal, State in Society: Studying How States and Societies I Transform and Constitute One Another (Cambridge: Cambridge University Press, 2001).

88. Heba Raouf, "On the Future of Women and Politics in the Arab World," in Islam in Transition, ed. John J. Donohue and John L. Esposito, 2nd ed. (New York: Oxford University Press, 2007), 190. On rising interest in engaging people on the local level and empowering the masses of poor men and women, see Deepa Narayan et al., Voices of the Poor: Crying out for Change (Oxford: Oxford University Press for the World Bank, 2000), 27, 86-87, 105> http://www.wds.worldbank.org/external/default/WDSContentServer/ WDSP/IB/2001 ^4/07/000094946^ 1032805491162/Rendered/PDF/multiopage.pdf.

89. For a substantial contribution to a reformist approach from an Islamic perspective, see Yusuf Al Qaradawi, "Introduction," in Abdul Halim Abou Shukka, Tahrir Al Maraa Fi Aasr Al Risala, vol. 1 (Cairo: Dar Al-Qalam, 1990), 9-14; Yusuf Qaradawi, Muslimat Al Ghadd (Cairo: Dar Al Wafaa, 1992); Yusuf Qaradawi, Awlaweyyat Al Haraka Al Islameyya Fi Al Marala Al Kadema (Beirut: Dar Al Resalah, 1991). Al-Azhar issued a fatwa in 1952 denying women the right to be elected to Parliament. See the formal magazine of al-Azhar, Resalat Al Islam no. 3, year 4 (July 1952). And note the change in the book published in 1995—just before Beijing: Al Azhar and Higher Islamic Academy, Ma' Houkouk Al Maraa Fi Al Islam (Cairo: Al Azhar, 1995).

90. 91. Amina Wadud, Gender Jihad (Oxford: Oneworld Publications, 2006), 17.

91. Timothy Winter, "Islam, Irigaray, and the Retrieval of Gender," April 1999, http://www.masud.co.uk/ISLAM/ahm/gender.htm.

92. Dr. Muzammil H. Siddiqi, "Are Women Too Inferior to Lead Men in Prayer?" 21 March 2005, http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?pagename=IslamOnline-English-Ask_Scholar/FatwaE/FatwaE&cid=i 119503549600.

93. 94- Sahar Ali, "Pakistan Women Socialites Embrace Islam," BBC News, 6 November 2003, http://news.bbc.co.Uk/go/pr/fr/-/2/hi/south_asia/3211131 .stm.

94. Sharmeen Obaid-Chinoy, "Islamic School for Women: Faithful or Fundamental?" Globe and Mail, 29 October 2005; "Al-Huda at a Glance," Al-Huda International 2005, http://www.alhudapk.com//home/about-us.

95. Abiya Ahmed, "Bringing About Change, Without Causing Much Rage," interview with Farhat Hashmi, 21 November 2002, http://jaih00n.com/pearls2/ farhathashmi.htm.

96. 97. Ali, "Pakistan Women Socialites Embrace Islam."

97. To download lectures, see "Farhat Hashmi," Aswat al-Islam: The Sounds of Islam, http://www.aswatalislam.net/DisplayFilesP.aspx?TitleID=2023.

98. "[Tariqas] Samina Ibrahim's Interview of Dr. Farhat Hashmi," Newsline, February 2001, http://stderr.org/pipermail/tariqas/2001-May/000581.html.

99. Ibid.

100. Ibid.

101. Ibid.

102. Ibid.

103. Ahmed, "Bringing About Change, Without Causing Much Rage."

104. Obaid-Chinoy, "Islamic School for Women."

105. "[Tariqas] Samina Ibrahim's Interview of Dr. Farhat Hashmi."

106. Obaid-Chinoy, "Islamic School for Women."

107. Syed A. Edmonton Rahman, "Islamophobic Sentiments," Maclean's, 7 August 2006, 4.

108. Greater London Authority, "Why the Mayor of London will maintain dialogues with all of London's faiths and communities: A reply to the dossier against the Mayor's meeting with Dr Yusuf al-Qaradawi," January 2005, 9, http://www.london.gov.uk/news/ docs/qaradawi_dossier.pdf.

109. "Reading in Qaradawism: Part 2, Arts and Entertainment," http://www.allaahuakbar.net/jamaat-e-islaami/qaradawism/arts_and_entertainment. htm.

110. in. "Egypt's Mufti Gomaa Declares Muslim Woman Can Be President," Islam Today, 5 February 2007, http://www.islamtoday.com/showme2.cfm?cat_id=29&sub_ cat_id=892.

111. Ibid.

112. Ali Gomaa, Al-Bayan Lima Yushgilal-Adhhan (Cairo: Al-Muqtam lil nashr wal tawzee', 2005), 46.

113. Ibid., 45-46.

114. "[Tariqas] Samina Ibrahim's Interview of Dr. Farhat Hashmi."

115. David Hardacker, "Amr Khaled: Islam's Billy Graham," Independent, 4 January 2006, http://news.independent.co.uk/world/middle_east/article336386.ece.
116. "Life Makers: Episode i-Introduction Part 1," Amr Khaled's official Web site, http://www .amrkhaled.net /articles/ articles62 .html.
117. Ibid.
118. Ibid.
119. "Life Makers: Episode 4: Proactiveness—Part 1," Amr Khaled's official Web site, http://www.amrkhaled.net/articles/articles65 .html.
120. "Now Danes Respect Muslims," Al-Ahram Weekly, 23-29 March 2006, http://weekly.ahram.org.eg/print/2006/787/eg11.htm.
121. Lindsay Wise, "Amr Khaled: Broadcasting the Nahda," TBS 13 (Fall 2004), http://www.tbsj0urnal.com/Archives/Fall04/wiseamrkhaled.html.
122. "Now Danes Respect Muslims."
123. Ibid.
124. Simon Elegant and Jason Tedjasukmana/Bandung, "Holy Man," Time, 4 November 2002, http://www.time.com/time/magazine/article/0,9171,386977,00.html
125. C. W. Watson, "A Popular Indonesian Preacher: The Significance of Aa Gymnast'iar," Journalof the Royal Anthropological Institute, N.S. 11, no. 4 (December 2005
126. :778).
127. Alan Sipress, "Indonesian Cleric's Media Empire," Washington Post, 2 June 2004.
128. Elegant and Tedjasukmana/Bandung, "Holy Man."
129. Shahed Amanullah, "Post-Feng Shui: Muslim Scholar Now a Management Guru,"7 April 2002, http://www.altmuslim.com/perm.php?id=262_o_26_30_C28.
130. Ibid.
131. Elegant and Tedjasukmana/Bandung, "Holy Man."
132. Greg Sheridan, "Muslim Televangelist Points the Way to Moderation," Australian, 1 February 2007.
133. Sipress, "Indonesian Cleric's Media Empire."
134. Devi Asmarani, "Jakarta May Extend Ban on Polygamy After Cleric Takes 2nd Wife," Straits Times (Singapore), 7 December 200.6.1
135. Ibid. 136. Ibid.

الفصل الرابع:

1. Barack Obama, "President Barack Obama's Inaugural Address," White House Blog, 21 January 2009, http://www.whitehouse.gov/blog/inaugural-address.
2. John L. Esposito and Dalia Mogahed, Who Speaks for Islam? What a Billion Muslims Really Think (New York: Gallup Press, 2008), 157.

3. Dalia Mogahed and John Esposito, "What a Billion Muslims Think," press statement, 7 April 2008, 2, http://www.radicalmiddleway.co.uk/articles.php?&id=5&art=49&page_49=2.
4. Esposito and Mogahed, Who Speaks for Islam, 84.
5. Ibid., 126.
6. Mogahed and Esposito, "What a Billion Muslims Think," 2.
7. Esposito and Mogahed, Who Speaks for Islam, 47.
8. Ibid., 48-50.
9. 9.Human Rights Watch, "Egypt: Call for Reform Met with Brutality," 25 May 2005, http://www.hrw.org/en/news/2005/05/25/egypt-calls-reform-met-brutality.
10. Esposito and Mogahed, Who Speaks for Islam, 101.
11. Karin Gwinn Wilkins, "Middle Eastern Women in Western Eyes: A Study of U.S. Press Photographs of Middle Eastern Women," in The U.S. Media and the Middle Bast: Images and Perception, ed. Yahya Kamalipour (Westport, CT: Greenwood, 1997), 56.
12. Dalia Mogahed, Perspectives of Women in the Muslim World, Gallup Organization, 2006, 1, http://www.gdlupxom/press/i09699/Persr^ctives-Women-Muslim-Wbrld.aspx.
13. Esposito and Mogahed, Who Speaks for Islam, ch. 2.
14. Zainah Anwar, "Bearers of Change," New York Times, 5 March 2009, http://www. nytimes.com/2009/03/05/opinion/05iht-edanwar. 1.20613 399.html?scp=i&sq=
15. % 2 2 Bearers% 2 oof% 2oChange%2 2&st=cse.
16. Ibid.
17. Esposito and Mogahed, Who Speaks for Islam, 51.
18. Mogahed, Perspectives of Women in the Muslim World.
19. Esposito and Mogahed, Who Speaks for Islam, 48.
20. Azizah al-Hibri, "Who Defines Women's Rights? A Third World Woman's Response," Human Rights Brief, 1994, http://www.wcl.american.edu/hrbrief/v2i1/ alhibr2 i.htm.
21. Esposito and Mogahed, Who Speaks for Islam, 70.
22. Ibid.
23. Ibid., 81.
24. Ibid., 80.
25. Mogahed and Esposito, "What a Billion Muslims Think," 2.
26. Esposito and Mogahed, Who Speaks for Islam, 62.

27. World Economic Forum, Islam and the West: Annual Report on the State of Dialogue, January 2008, 26, http: //www .weforum.org /pdf/C100 /Islam_West.pdf.

28. Zsolt Nyiri, "Muslims in Europe: Basis for Greater Understanding Already Exists," Muslim West Facts Project, Gallup Organization, http://www.muslimwestfacts.com/ mwf/105928/Muslims-Europe-Basis-Greater-Understanding-Already-Exists.aspx.

29. The Great Divide: How Westerners and Muslims View Each Other, Pew Global Attitudes Project, 22 June 2006, http://pewglobal.org/reports/display. php?ReportID=253.

30. Muslim Americans: A National Portrait, Muslim West Facts Project, Gallup Organization, 2009, 50, http://www.muslimwestfacts.com/mwf/116074/Muslim-Americans-National-Portrait.aspx.

31. Kate Connolly, "Germans to Put Muslims through loyalty test," Telegraph, 31 December 2005. http://www.telegraph.co.uk/news/worldnews/europe/germany/ 1506712/Germans-to-put-Muslims-through-loyalty-test.html.

32. Daniel Pipes, "The Danger Within: Militant Islam in America," November 2001, http://www.danielpipes.org/77/the-danger-within-militant-islam-in-america.

33. ' 32. David Cole, "Are We Safer?" New York Review of Books, 9 March 2006, http:// www.nybooks.com/articles/18752.

34. Center for American Progress, Center for Democracy and Technology, and Center for National Security Studies, "Strengthening America by Defending Our Liberties: An Agenda for Reform," 31 October 2003, http://www.cnss.org/Defending%200ur%20 Liberties%2oreport.pdf.

35. David Cole and Jules Lobel, Less Safe, Less Free: Why America Is Losing the War on Terror (New York: New Press, 2007), 3.

36. TRAC Reports, "Criminal Terrorism Enforcement in the United States During the Five Years Since the 9/11/01 Attacks," http://trac.syr.edu/tracreports/

37. tprrnricm / t69

38. See, for example, Haviv Retting, "Expert: Saudis Have Radicalized 80% of US Mosques," Jerusalem Post, 5 December 2005, http://www.jpost.com/servlet/Satellite? cid=i i32475689987&pagename=JPost%2FJPArticle%2FShowFull, and Discover the Networks, "Islamic Society of North America (ISNA)," 14 February 2005, http:// www.discoverthenetworks.org/groupProfile.asp?grpid=6i78.

39. "Secret FBI Report Questions Al Qaeda Capabilities," ABC News, 9 March 2005, http://abcnews.go.com/WNT/Investigation/story?id=56642 5&page=i.

40. Center for Constitutional Rights, Restore. Protect. Expand: The Right to Dissent, 2009, 4, http://ccrjustice.org/files/CCR_100days_dissent_1.pdf.

41. "Franklin Graham: Islam Still Evil," Water Cooler, 16 March 2006, http:// cbsi 1 tv.com/watercooler/Frankl in.Graham. Islam.2.2 65 2 96.html.

42. Ontario Consultants on Religious Tolerance, "Attacks on Muslims by Conservative Protestants: Graham, Finn, Falwell, Robertson, Swaggart, and Baldwin," 13 May 2003, http://www.religioustolerance.org/reac_ter18b.htm.

43. Mary Jayne McKay, "Zion's Christian Soldiers," 60 Minutes, 8 June 2003, http:// www.cbsnews.com/stories/2002/10/03/60minutes/main524268.shtml.

44. Ontario Consultants on Religious Tolerance, "Attacks on Muslims by Conservative Protestants."

45. Statement by the Patriarch and Local Heads of Church in Jerusalem, "The Jerusalem Declaration on Christian Zionism," 22 August 2006, posted with response on the International Christian Embassy Jerusalem Web site 29 August 2006, http:// www. icejusa.0rg/site/News2 ?page=NewsArticle&id=5429.

46. Reformed Church in America, "Position on Christian Zionism," 2004, http:// ! www.rca.org/Page.aspx?pid=3839.

47. McKay, "Zion's Christian Soldiers."

48. Ibid.

49. "Root Out the Preachers of Hate," 5 January 2007, http://www. shahidmalikmp.org/News/Root-out-the-preachers-of.

50. Martin Marty, "Fundamentalism in Europe," Ekklesia: A New Way of Thinking, 29 August 2008, http://www.ekklesia.co.uk/node/7618.

51. Gallup World Poll, 2007. See also Lydia Saad, "Anti-Muslim Sentiments Fairly Commonplace," Gallup Organization, 10 August 2006, http://www.gallup.com/poll/ 24073/AntiMuslim-Sentiments-Fairly-Commonplace.aspx.

52. El Nasser, "American Muslims Reject Extremes."

53. Quoted in Muslim Americans: A National Portrait, 48.

54. Quoted ibid., 80.

55. Mahmoud Ayoub, "Islam and the Challenge of Religious Pluralism," Global Dialogue 2, no. 1 (Winter 2000): 57.

56. Abdulaziz Sachedina, The Islamic Roots of Democratic Pluralism (New York: Oxford University Press, 2001), 28.

57. Ibid., 38.

58. Ingrid Mattson, "Respecting the Qur'an," Islamic Society of North America, http://www.isna.net/articles/News/RESPECTING-THE-QURAN.aspx.

59. Sarah Joseph, "Text Book Islam," emel, July 2008, 7.

60. Ibid.

61. Gallup Poll 2007 and 2009.

62. Gallup World Poll 2007. See also Saad, "Anti-Muslim Sentiments Fai Commonplace."

63. David Morris, "Unease over Islam Poll: Critical Views of Muslim Faith Growin Among Americans," ABC News, http://abcnews.go.com/sections/us/World/septii_ islampoll_030911 .html.

64. Gallup World Poll 2007.

65. Gallup Poll 2007 and 2009.

66. "World Economic Forum Initiatives Bridge Divides," Global Giving Matters, May-June 2005, http://www.synergos.org/globalgivingmatters/features/ 0506wefinitiatives.htm.

67. World Economic Forum, Islam and the West, 105-6.

68. The report is available at http://www.weforum.org/pdf/C100/Islam_West.pdf.

69. United Nations Alliance of Civilizations, Report of the High-Level Group, 13 November 2006, http://www.unaoc.org/repository/HLG_Report.pdf.

70. Alliance of Civilizations Media Fund, "About Us," http://www.aocmediafund. org/about_us.php.

71. "Summary," Amman Message official Web site, http://www.ammanmessage.com.

72. "Amman Message," 1 March 2007, ibid.

73. "A Common Word Between Us and You," 10 October 2007, "A Common Word" official Web site, http://www. acommonword.com /index. Php ?lang= en &page =optioni.

74. Pew Forum on Religion and Public Life, Prospects for Inter-religious Understanding: Will Views Toward Muslims and Islam Folloiv Historical Trends? Prepared for delivery at the International Conference on Faith and Service, Washington, DC, 22 March 2006, http:// pewforum. Org /publications /surveys/Inter-Religious-Understanding.pdf.

75. Jim Lobe, "Evangelical Christians Most Distrustful of Muslims," Inter Press Service, 23 March 2006, http:// *www.commondreams.org* /headlineso6 /0323-08.htm.

76. "Evangelicals for a Two-State Solution: An Open Letter to President Bush," Review of Faith and International Affairs, December 2007, http://www.rfiaonline.org/ archives/issues/5-4/i79-open-letter-to-president.

77. Chris Seiple, "Ten Terms Not to Use with Muslims," Christian Science Monitor, 28 March 2009, http://www.csmonitor.com/2009/0328/po9sol-coop.html.

78. Thorn Shanker, "Message to Muslim World Gets a Critique," New York Times, 28 August 2009.

79. "U.N. Rights Chief Slams Israel over Gaza Violations," Reuters, 14 August 2009, http: //news.yahoo.com /s/nm/ 20090814 /wl_nm /us_pelestinians _israel_rights_1.

مراجع إضافية

موسوعات:

Cesari, Jocelyne. Encyclopedia of Islam in the United States. Westport, CT: Greenwood Press, 2007.

Esposito, John L., ed. The Oxford Dictionary of Islam. New York: Oxford University Press,

2003.

----- . The Oxford Encyclopedia of the Islamic World. New York: Oxford University Press,2009.

----- . The Oxford Encyclopedia of the Modern Islamic World. New York: Oxford University Press, 1995.

مقدمات للإسلام:

Asian, Reza. No God but Cod: The Origins, Evolution, and Future of Islam. New York: Random House, 2005. Bloom, Jonathan, and Sheila Blair. Islam: A Thousand Years of Faith and Power. New

Haven, CT: Yale University Press, 2002. Esposito, John L. Islam: The Straight Path. 3rd rev. ed. New York: Oxford University

Press, 2005.

----- . What Everyone Needs to Know About Islam. New York: Oxford University Press, 2002.

Nasr, Sayyed Hossein. The Heart of Islam: Enduring Values for Humanity. San Francisco:Harper SanFrancisco, 2002.

----- . Ideals and Realities of Islam. New rev. ed. Chicago: Kazi Publications, 2000.

Peters, F. E. Muhammad and the Origins of Islam. Albany: State University of New York Press, 1994.

تاريخ الإسلام:

Afsaruddin, Asma. The First Muslims: History and Memory. Oxford, U.K.: Oneworld, 2008.

Armstrong, Karen. Islam: A Short History. New York: Modern Library, 2002. Donner, Fred McGraw. The Early Islamic Conquests. Princeton, NJ: Princeton University Press, 1981.

----- . The Expansion of the Early Islamic State. Burlington, VT: Ashgate, 2008.

Esposito, John L., ed The Oxford History of Islam. New York: Oxford University Press, 1999.

Lapidus, Ira. A History of Islamic Societies. 2nd ed. New York: Cambridge University Press, 2002.

Lowney, Chris. A Vanished World: Medieval Spain's Golden Age of Enlightenment. New York: Free Press, 2005.

Sonn, Tamara. Islam: A Brief History. 2nd ed. Maiden, MA: Blackwell, 2010. Voll, John Obert. Islam: Continuity and Change in the Modern World. 2nd ed. Syracuse, NY Syracuse University Press, 1994.

القانون والمجتمع:

Abou El Fadl, Khaled. Islam and the Challenge of Democracy. Ed. Joshua Cohen, and Deborah Chasman. Princeton, NJ: Princeton University Press, 2004.

----- . Speaking in God's Name: Islamic Law, Authority and Women. Oxford, U.K.:

Oneworld, 2001.

Afsaruddin, Asma, ed. Hermeneutics and Honor: Negotiating Female "Public" Space in Islamic!

ate Societies. Cambridge, MA: Distributed for the Center for Middle Eastern Studies at

Harvard University by Harvard University Press, 1999. Ahmed, Leila. Women and Gender in Islam. New Haven, CT: Yale University Press, 1993. Esposito, John L, and Natana J. Delong-Bas. Women in Muslim Family Law. 2nd ed.

Syracuse, NY: Syracuse University Press, 2001. Esposito, John L, and Dalia Mogahed. Who Speaks for Islam? What a Billion Muslims

Really Think. New York: Gallup Press, 2008. Haddad, Yvonne Yazbeck, and John L. Esposito, eds. Islam, Gender, and Social Change.

New York: Oxford University Press, 1998. Mernissi, Fatima. The Weil and the Male Elite: A Feminist Interpretation of Women's Rights in

Islam. Trans. Mary Jo Lakeland. New York: Addison-Wesley, 1991. Qaradawi, Yusuf al-. The Lawful and Prohibited in Islam. Qum, Iran: Islamic Culture and

Relations Organization, 1998. Ramadan, Tariq. Radical Reform: Islamic Ethics and Liberation. New York: Oxford

University Press, 2008.

الإسلام في الغرب:

Cesari, Jocelyne. Muslims in the West After 9/11: Religions, Politics and Law. London: Routledge, 2008.

Daniel, Norman. Islam and the West: The Making of an Image. Rev. ed. Oxford, U.K.: Oneworld-, 1993.

Esposito, John L., Yvonne Haddad, and Jane Smith. Immigrant Faiths: Christians, Jews, and Muslims Becoming Americans. Walnut Creek, CA: Alta Mira Press, 2002.

Haddad, Yvonne Yazbeck, ed. Muslims in the West: From Sojourners to Citizens. New York: Oxford University Press, 2002.

Haddad, Yvonne Yazbeck, and John L. Esposito, eds. Muslims on the Americanization Path.

New York: Oxford University Press, 2000. Haddad, Yvonne Yazbeck, Jane I. Smith, and Kathleen M. Moore. Muslim Women

in America: The Challenge of Islamic Identity. New York: Oxford University Press, 2006. Hunter, Shireen. Islam, Europe's Second Religion. Westport, CT: Praeger, 2002. Klausen, Jytte. The Islamic Challenge: Politics and Religion in Western Europe. New York:

Oxford University Press, 2005. Lewis, Philip. Islamic Britain: Religion, Politics and Identity Among British Muslims.

London: I. B. Tauris, 1994. Nielsen, Jorgen. Muslims in Western Europe. 3rd ed. Edinburgh: Edinburgh University

Press, 2005.

Ramadan, Tariq. To Be a European Muslim. Leicester, U.K.: Islamic Foundation, 2003.

------. Western Muslims and the Future of Islam. New York: Oxford University Press, 2004.

Smith, Jane I. Islam in America. New York: Columbia University Press, 1999.

السياسة و العنف و الإرهاب:

Abou El Fadl, Khaled. The Great Theft: Wrestling Islam from the Extremists. New York:

HarperSanFranscico, 2005.

I . The Place of Tolerance in Islam. Ed. Joshua Cohen and Ian Lague. Boston: Beacon

Press, 2002.

Ahmed, Akbar S. Islam Under Siege: Living Dangerously in a Post-Honor World. Maiden,

MA: Polity Press, 2003. Ahmed, Akbar S., and Brian Forst, eds. After Terror: Promoting Dialogue Among

Cnilizations. Maiden, MA: Polity Press, 2005. Bunt, Gary R. /Muslims: Rewiring the House of Islam. Chapel Hill: University of North

Carolina Press, 2009.

------. Islam in the Digital Age: E-Jihad, Online Fat was and Cyber Islamic Environments.

London: Pluto Press, 2003. Esposito, John L. The Islamic Threat: Myth or Reality? Rev. ed. New York: Oxford

University Press, 1999.
. Unholy War: Terror in the Name of Islam. New York, New York: Oxford University

Press, 2002.,

----- , ed. Voices of Resurgent Islam. New York, New York: Oxford University Press, 1983.

Esposito, John L., and John O. Voll. Islam and Democracy. New York: Oxford University Press, 1996.

------. Makers of Contemporary Islam. New York: Oxford University Press, 2001.

Esposito, John L., John O. Voll, and Osman Bakar, eds. Asian Islam in the 21st Century.

New York: Oxford University Press, 2007. Hroub, Khaled. Hamas: Political Thought and Practice. Washington, £>C: Institute for

Palestine Studies, 2000. Jansen, Johannes J. G. The Neglected Duty: The Creed of Sadat's Assassins and Islamic

Resurgence in the Middle East. New York: Free Press, 1988. Kepel, Gilles, and Jean-Pierre Milelli, eds. Al Qaeda in Its Own Words. Trans. Pascal

Ghazaleh. Annotated ed. Cambridge, MA: Belknap Press of Harvard University

Press, 2008.

Kimball, Charles. When Religion Becomes Evil. New York: HarperCollins, 2002.

Laden, Osama bin. Messages to the World: The Statements of Osama bin Laden. Ed. Bruce

Lawrence. Annotated ed. New York: Verso, 2005. Lewis, Bernard. The Crisis of Islam: Holy War and Unholy Terror. New York: Modern

Library, 2003.

----- . What Went Wrong? Western Impact and Middle Eastern Response. 4th ed. New York:

Oxford University Press, 2002. Mamdani, Mahmood. Good Muslim, Bad Muslim: America, the Cold War, and the Roots of

Terror. New York: Three Rivers, 2005. Mandaville, Peter. Global Political Islam: International Relations of the Muslim World.

London: Routledge, 2007. Nasr, Vali. The Shia Revival: How Conflicts Within Islam Will Shape the Future. New York:

Norton, 2006.

Peters, Rudolph. Jihad in Classical and Modern Islam. Princeton, NJ: Markus Wiener, 1996.

Qutb, Sayyid. Milestones. Rev. ed. Boll Ridge, IN: American Trust Publications, 1991.
. This Religion of Islam. Chicago: Kazi Publications, 1996.

Rashid, Ahmed. Taliban: Militant Islam, Oil, and Fundamentalism in Central Asia. New

Haven, CT: Yale University Press, 2000. Roy, Olivier. Globalized Islam: The Search for a New Ummah. New York: Columbia

University Press, 2004. Saad-Ghorayeb, Amal. Hizbu'llah: Politics and Religion. London: Pluto Press, 2002. Sachedina, Abdulaziz Abdulhussein. The Islamic Roots of Democratic Pluralism. New York:

Oxford University Press, 2001.

العلاقات الإسلامية المسيحية:

Armour, Rollin. Islam, Christianity, and the West: A Troubled History. Maryknoll, NY: Orbis, 2002.

Armstrong, Karen. The Battle for God: Fundamentalism in Judaism, Christianity, and Islam.

New York: Alfred A. Knopf, 2000.
. Holy War: The Crusades and Their Impact on Today's World. 2nd ed. New York:

Anchor Books, 2001.

Ayoub, Mahmoud. A Muslim View of Christianity: Essays on Dialogue. Ed. Irfan A. Omar.

Maryknoll, NY: Orbis Books, 2007. Bill, James A., and John Alden Williams. Roman Catholics and Shi'i Muslims. Chapel Hill:

University of North Carolina Press, 2002. Bulliet, Richard W. The Case for Islamo-Christian Civilization. New York: Columbia

University Press, 2004. Cragg, Kenneth. The Call of the Minaret. Oxford, U.K.: Oneworld, 2000.

----- . Islam Among the Spires: An Oxford Reverie. London: Melisende, 2000.

----- . Muhammad and the Christian: A Question of Response. Oxford: Oneworld, 1999.

Daniel, Norman. The Arabs and Mediaeval Europe. London: Longman, 1975.

. Islam and the West: The Making of an Image. London: Oneworld, 2000.

Dardess, George. Meeting Islam: A Guide for Christians. Brewster, MA: Paraclete Press,

2005.

Faruqi, Isma'il R al-. Islam and Other Faiths. Ed. Ataullah Siddiqui. Leicester, U.K.: Islamic Foundation and International Institute of Islamic Thought, 1998.

Fitzgerald, Michael L., and John Borelli. Interfaith Dialogue: A Catholic View. Maryknoll, NY: Orbis, 2006.

Griffith, Sidney. The Beginnings of Christian Theology in Arabic: Muslim-Christian Encounters

in the Early Islamic Period. Burlington, VT: Ashgate, 2002. . The Church in the Shadow of the Mosque. Princeton, NJ: Princeton University Press,

2008.

Goddard, Hugh. A History of Christian-Muslim Relations. Chicago: New Amsterdam Books, 2001.

Haddad, Yvonne Yazbeck, and Wadi Z. Haddad, eds. Christian-Muslim Encounters.

Gainesville: University Press of Florida, 1995. Kimball, Charles. Striving Together: A Way Forward in Christian-Muslim Relations.

Maryknoll, NY: Orbis, 1991. Menocal, Maria Rosa. The Ornament of the World: How Muslims, Jews, and Christians Created

a Culture of Tolerance in Medieval Spain. New York: Little, Brown, 2002. Peters, F. E. Children of Abraham. Princeton, NJ: Princeton University Press, 2006. Smith, Jane I. Muslims, Christians, and the Challenge of Interfaith Dialogue. New York:

Oxford University Press, 2007. Southern, R. W. Western Views of Islam in the Middle Ages. Cambridge, MA: Harvard

University Press, 1978. Watt, W. Montgomery. Muslim-Christian Encounters: Perceptions and Misperceptions.

London: Routledge, 1991.

* * *

فهرس الموضوعات

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

* * *